الجزء الثالث المجلد الرابع والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العربي

١ تموز سنة ١٩٥٩ م ٢٥ ذي الحجة سنة ١٣٧٨ ﻫ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثلاث رحلات

الطهطاوي — الشدياق — كردعلي

اذا بحثنا عن بدء نهضتنا الحديثة فلا مندوحة لنا عن الإشارة الى ثلاث رحلات كان لأصحابها أعمق الأثر في هذه النهضة ، فقد وقفوا على أشياء كثيرة من خصائص الغرب وأخلاق أهله وعاداتهم ومذاهبهم في السياسة والفن والأدب ، فعملوا كتباً أودعوها ما وقفوا عليه وما دهشوا منه فتركت هذه الكتب في آفاقهم آثاراً شتّى ، ولئن اختلفوا بعض الاختلاف في نظراتهم الى الأمور على قدر أمزجتهم وأذواقهم ومداركهم فقد اتفقوا في غاياتهم من رحلاتهم ، فقد كانت غاياتهم منها ايقاظ الشرق من رقدته وحثه على الأخذ بأسباب العلم والحضارة وكان لكل واحد منهم أسلوب خاص في التنبيه والإرشاد .

أما الرحلات الثلاث فأصحابها رفاعة رافع الطهطاوي وأحمد فارس الشدياق ومحمد كردعلي ، وقد وضّح كلٌ منهم في مقدمة رحلته غايته من الرحلة أكمل توضيح .

خرج الطهطاوي من مصر سنة ١٢٤١ ووضع كتاباً سماه : تخليص الإبريز في تلخيص باريز طبع الطبعة الأولى في بولاق سنة ١٢٥٠ واذا رجعنا إلى مقدمة الكتاب وجدنا فيها ما يدلّنا على الغرض من رحلة صاحبه فقد أرسل من قبل والي مصر محمد علي الى باريز في جملة من أرسل : « ليتعلّم العلوم والفنون الموجودة بهذه المدينة البهيّة » هذا ما قاله الطهطاوي ، الاّ أنه كانت له غايات أبعد فصّلها في قول آخر :

« فلما رسم اسمي في جملة المسافرين وعزمت على التوجه أشار عليّ بعض الأقارب والمحبّين لا سيما شيخنا العطّار ، فانه مولع بسماع عجائب الأخبار والاطلاع على غرائب الآثار أن أنبّه على ما يقع من هذه السفرة وعلى ما أراه وما أصادفه من الأمور الغريبة والأشياء العجيبة وأن أقيّده ليكون نافعاً في كشف القناع عن محيّا هذه البقاع ... فما قصّرت في أن قيّدت في سفري رحلة صغيرة نزّهتها عن خلل التساهل والتحامل وبرأتها عن زلل التكاسل والتفاضل ووشّحتها ببعض استطرادات نافعة واستظهارات ساطعة وأنطقتها بحث ديار الإسلام على البحث عن العلوم البرّانية والفنون والصنائع فان كمال ذلك ببلاد الافرنج أمر ثابت شائع والحق أحق أن يتبع ، ولعمر الله إنني مدّة اقامتي بهذه البلاد في حسرة على تمتعها بذلك وخلوّ ممالك الإسلام منه ، وإيّاك أن تجد ما أذكره لك خارجاً عن عادتك فيعسر عليك تصديقه ، فتظنه من باب الهذر والخرافات أو من جنس الإفراط والمبالغات ...

وقد أشهدت الله سبحانه وتعالى علي ألاّ أحيد في جميع ما أقوله عن طريق الحق وأن أفشي ما سمح به خاطري من الحكم باستحسان بعض أمور هذه البلاد وعوائدها على حسب ما يقتضيه الحال ومن المعلوم اني لا أستحسن إلاّ ما لم يخالف نصّ الشريعة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأشرف التحيّة . »

وختم مقدمته بقوله :

« وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا الكتاب مقبولاً لدى الخاص والعام وأن يوقظ به من نوم الغفلة سائر أمم الإسلام من عرب وعجم . »

من هذه المقدمة يتبيّن لنا أن الطهطاوي قد توخّى في رحلته في جملة ما توخّاه من طلب العلوم والفنون حث ديار الإسلام ، عربها وعجمها على الانصراف الى هذه العلوم والفنون وايقاظ أهل هذه الديار من غفلتهم وهذا ما يثبت لنا أن رحلته الى الغرب كانت عاملاً من عوامل نهضتنا الحديثة فقد رمى فيهـا الى الايقاظ والتنبيه .

ولم تكن هذه الفكرة فكرة الطهطاوي وحده فان الذين فكّروا في أوّل بعثة الى الغرب كانت غايتهم إحياء العمران والعلوم والفنون في بلادهم ، فهم في تفكيرهم هذا وفي إنفاذ هذا التفكير من أعظم الباعثين على النهضة الحديثة وقد وضع الطهطاوي هذه الفكرة في الباب الأوّل من رحلته فقال :

« ولهذا تنبه المتولي على بلاد مصر أن يرجع اليها شبابها القديم ويحيي رونقها الرميم ، فمن مبدإ توليته وهو يعالج في مداواة دائها الذي لولاه كان عضالاً ويصلح فسادها الذي قد كاد يكون زواله محالاً . »

ثم أفاض الطهطاوي بعد ذلك في مدح والي مصر والتنبيـه على ميله الى العمران ونشر العلوم والفنون والصناعات .

لا أريد التوسع في الكلام على رحلة الطهطاوي وعلى خصائصها في مثل هذا المقام وانما الذي رميت إليه أن أبيّن أن هذه الرحلة كانت عاملاً من عوامل النهضة الحديثة فقد رجع صاحبها الى مصر ونشر كتابه بين ظهراني قومه وقد تضمّن هذا الكتاب ما وقعت عليه عينه في الغرب من أكثر أمور الحيـاة ، ولا سيّما حرية الرأي فكان لكثير من مشاهداته تأثير في العقول ، فبدأت النهضة الحديثة .

واذا فرغنا من مطالعة تخليص الابريز وانصرفنا الى مطالعة كتابي الشدياق : الواسطة في معرفة أحوال مالطة وكشف المخبا عن فنون أوربا وجدنا أنَّ غاية الشدياق من رحلته الى الغرب لا تختلف كثيراً عن غاية الطهطاوي ، ماذا يقول الشدياق في مقدمة رحلته التي طبعت الطبعة الثانية في قسطنطينية سنة ١٢٩٩ :

« ويعلم الله اني مع كثرة ما شاهدت في تلك البلاد من الغرائب وأدركت فيها من الرغائب كنت أبداً منغَّص العيش مكدَّره كمن فقد وطره ولزمته معسرة ، لا يروقني نضار ولا نضرة ، ولا نعمة ولا مسرَّة ولا طرب ولا لهو ولا حسن ولا زهو لما أنّي كنت دائم التفكير في خلوّ بلادنا عمّا عندهم من التمدّن والبراعة والتفنن ثم تعرض لي عوارض من السلوان بأن أهل بلادنا قد اختصوا بأخلاق حسان وكرم يغطّي العيوب ويستر ما شان ولا سيّما الغيرة على الحرم وصون العرض عمّا من هذا الصوب يُذمّ ثم أعود الى التفكر في المصالح المدنية والأسباب المعاشية وانتشار المعارف العمومية والى إتقان الصنائع وتعميم الفوائد والمنافع فيجفل ذلك السلوان وأعود الى الأشجان . »

هذا كلام صريح ، فقد رحل الشدياق الى مالطة وفرنسة وانكلترة وقابل بين بلادنا وبلادهم في أبواب التمدّن والعلوم والصناعات فكانت هذه المقابلة تدخل الحزن على قلبه لخلوّ بلاده مما اشتملت عليه بلاد الافرنجة ، تكثر المقابلات والموازنات في رحلة الشدياق فهو يقابل بين أخلاق وأخلاق وبين عادات وعادات وبين طبائع وطبائع ، يقابل بين زواج وزواج ، وبين لباس ولباس وبين طعام وطعام فينتقد ويحكم ويسخر ولكنه في كل نقده وحكمه وسخريته لا يتوخّى إلاّ الإصلاح والإرشاد ، إصلاح ما اعوجّ من أخلاق بلاده وعاداتها وارشادها الى محاسن الأخلاق والعادات ، لقد نقل الشدياق الى الشرق كثيراً من محاسن الأمور التي رآها في الغرب فكان عنصراً قوياً من عناصر النهضة الحديثة فهو مصلح اجتماعي من أكبر المصلحين ولم يعرف بعدُ مقامه في هذا الإصلاح

حق المعرفة حتى يومنا هذا فلا تزال الظلمات تغطّي على ضياء عقله الراجح وأفقه الواسع .

قابل مرّة في رحلته بين بعض أوضاعنا وبعض أوضاع الافرنجة ، تكلم على العلم في بلاد الانكليز فقال :

« غير أن العلم عندهم لا يكون بمعرفة قواعد النحو والصرف أو بنظم قصائد وانما هو مطالعة اللغتين اليونانية واللاتينية ومعرفة أدبها ومعرفة التاريخ والفلسفة والهندسة والرياضيات » .

هذه المقابلات التي كانت تجري خلال رحلته كان يرمي فيها الى إرشاد أهل بلاده الى حقائق الأمور فلم يترك فرصة تمرّ به دون أن ينتهزها لإيقاظ قومه ، كان يتكلم على الوظائف في بلاد الإنكليز وعلى ترتيب أصناف الناس فقال وقد خطرت بباله حالة بلاده :

« فأمّا في بلادنا حرسها الله فان ناظر المدابغ جدير بأن ينظر في جلود بني آدم ويصبغها بلون الدرّة والسوط أو يسبر ما هي عليه من الطراوة والنعومة ، والمحتسب خليق بأن يزن أعمال عباد الله وأموالهم في بيوتهم ويروز ما في عياب صدورهم من الخواطر والأفكار والحاكم أو المطران أن يسقط حق الحق لحرف أسقطه في الكلام والضابط أن يبيّت الناس في مضاجعهم والشرطي أن يقبض على أي شخص كان والضابط العسكر أن يخترط سيفه على أي عنق سنحت له والبطرك أن يحرم أيّ شخص كان من رعيته حتى لا يعود لأحد من أقاربه وأهل بلدته استطاعة على مخاطبته ومبايعته » .

وبعد أن أحصى هذه الأمور كلها التي كانت تجري في عصره ، عصر الظلمات ، بعد أن قابل بينها وبين الأمور التي رآها في الغرب صرخ هذه الصرخة :

« وإلى من المشتكى وأين المصير وأين المجير ، فياليت شعري متى نصير نحن ولد آدم كهؤلاء البشر ومتى نعرف الحقوق الواجبة لنا وعلينا ، أتخال أن معنى

التمدن هو أن يكون الناس في مدينة وفيها ذئاب وسباع ، كلاّ ثم كلاّ ، بيد أن اجتماع الذئب والخروف في مرعى واحد ليوجب على اليهود أن يؤمنوا بأن المسيح قد جاء » .

فاذا تنبهت العقول في نهضتنا الحديثة فانها لم تتنبّه إلا بمثل هذه الأفكار التي اشتملت عليها كتب الرحلات وبمثل هذه المقابلات ، فالشدياق كان في مقدمة الذين نبّهوا الناس في نهضتنا .

أمّا كردعلي فقد سمّى رحلته : غرائب الغرب ، قال في مقدمته :

« هذه فصول ومقالات ، بل آهات وتأوهات ، كتبتها في وصف معالم الغرب وما لقيته فيه وقد زرته ثلاث مرات .... وأنا على مثل اليقين بأنها لا تحمل في مطاويها في تلك المدنية الساحرة إلاّ بقدر ما تصل اليه يد عابر سبيل ويتفطن لما التزيل والدخيل » .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

لاشك في أن كلمة آهات وتأوهات تدلنا على أن كردعلي بهره ما رأى من مدنية الغرب فتحسّر على خلوّ بلاده من هذه المدنية ، ولئن لم يوضح في هذه المقدمة غايته من الرحلة فقد وضّحها في أول فصل من فصول كتابه إذ قال :

« كان من أعظم أماني النفس منذ بضع سنين أن أرحل الى أوربا رحلة علمية ، أقضي فيها ردحاً من الدهر للتوفر على دراسة حضارة الغرب في منبتها واستطلاع طلع المعاهد التي منها نشأ المخترعون والمكتشفون والفلاسفة المتزهون والعلماء العاملون والساسة المستعمرون والقادة والغازون والتجار والصنّاع والزرّاع والماليون وهم على التحقيق مادة تلك المدنية وهيولاها » .

غاية كردعلي في هذا الكلام واضحة فانّ همّه التوفر على دراسة حضارة الغرب ولكن ما هو غرضه من هذه الدراسة ، إن هو إلاّ الإصلاح ، شأنه

في ذلك شأن الشدياق من قبله الذي سبقه الى الغرب ، لقد كثرت أوهامه وتأوهاته في الغرب ، من ذلك قوله :

« ومن الأسف العظيم أننا لو أحصينا عدد ما يصدر من جميع الجرائد والمجلات العربية والتركية والفارسية في البلاد المصرية والعثمانية والايرانية لا يبلغ بكيته قدر ما تطبع كلّ يوم جريدة : البتي‌مارسيليه ، احدى جرائد ولايات فرنسا ، وعلى هذه النسبة قس ولا تخف درجة ارتقائنا وارتقاء الفرنسيس ومحّل علينا بالفقر المدقع في كل شيء ، ولا سيّما في الأمور العقلية » .

شرع كردعلي في المقابلات على نحو ما فعله الشدياق في رحلته ، فهو يقابل بين انتشار الصحافة في مصر وتركية وايران وبين انتشارها في مدينة واحدة من مدن فرنسة ويستخرج من هذه المقابلة درجة ارتقاء بلاده وارتقاء الفرنسيين وتؤدّي به هذه المقابلة الى الحكم بانحطاط الشرق في كل شيء ، ولا سيّما في الأمور العقلية ، ليس غرضنا في هذا المقال المناقشة والمجادلة ، فقد يخطئ كردعلي في حكمه ، ان بلاد الشرق التي ذكرها كانت في أوّل نهضتها ولذلك فان عدد صحافتها قليل ، أمّا فرنسة فقد كانت في أيام رحلته تذوق نعمة الحرية من زمن بعيد ، فلا تصح المقابلة بين بلاد في أوّل نهضتها وبين بلاد في عزّ النهضة ، غير أن كردعلي لم يتحسّر هذا التحسّر إلا ليحمل بلاده على الأخذ بأسباب حضارة الغرب ، فهو لم يرحل الى الغرب إلاّ ليعود الى بلاده وينفخ فيها روح الاقتباس .

لقد كثرت دهشات كردعلي في رحلته ، دهش من حضارة الغرب حتى كاد يحسبها من باب الحلم والخيال ، ولا غرابة في ذلك فقد خرج من بلاد كلها ظلمات ، الى بلاد يستفيض فيها النور ، فقابل على حين لا تصحّ المقابلة في هذا الوجه ، ولكنه لم يقابل إلاّ ليحضّ أبناء وطنه على الاقتباس من مدنية الغرب على نحو ما أشرت إليه ، ولا بدّ من الإشارة في هذا المقام الى أن فرنسة التي

دهش كرد علي من حضارتها في رحلته اليها من نصف قرن كانت سمعتها تملأ الأرض ، فلم يكن الناس يعرفون عنها في تلك الأيام ما عرفوه عنها في هذا العصر من أساليبها في الاستعمار .

ليس هذا موضوعنا ، لنرجع الى لبّ الموضوع ، لقد كان لاتصال الشرق بالغرب أثر قوي في نهضتنا الحديثة ، كان كرد علي يرى ما يرى من سياسة الغرب ومذاهبه في الاجتماع والعلم والصناعة والزراعة والاقتصاد وغير ذلك من مظاهر الحياة فيدرس ويختبر ثم يستنبط من دراسته واختباره عبرة صالحة لينفع بها قومه ومجتمعه ، فالكتّاب الثلاثة الذين أشرنا إليهم في هذا المقال غرضهم من رحلتهم الرجوع بخواطر وأفكار تنهض ببلادهم ، وكما تحسّر الشدياق على تأخر بلاده فكذلك تحسّر كردعلي :

« فيارب ! ما هذه الروح التي تجرّد منها جسم الشرق ومرتْ في عظام الغرب وشرايينه ، فأتى أهله بالعظائم ونحن بقينا جامدين ، مبهوتين ، متحلّين ، متضائلين ! »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولئن كان هؤلاء الكتّاب الثلاثة مادّة خصبة من موادّ نهضتنا الحديثة بسبب رحلاتهم لقد كان لكل واحد منهم أسلوب خاص في النظر الى حضارة الغرب والحكم عليها ودرجة الاستفادة منها والاقتباس عنها ، فالطهطاوي غلبت عليه نزعة دينية ، فقد تمسّك باسلامه فلم يستحسن من أمور الافرنجة إلا ما كان الاسلام يسمح باستحسانه والشدياق غلبت عليه السخرية فهو يسخر بالغرب اذا رأى ما يحمل على السخرية ويعظّم منه ما يستوجب التعظيم وأمّا كردعلي فقد بلغت دهشته من حضارة الغرب كل مبلغ بحيث كاد لايرى فيها إلاّ حسنات ، وكيف كان الأمر فان هؤلاء الأئمة الثلاثة كانوا في مقدمة من بنوا نهضتنا الحديثة ، فقد نقلوا الى الشرق ما وقفوا عليه من كثير من أمور الغرب في كل باب من الأبواب ، فكان لرحلاتهم انعكاس على عقول أهل البلاد .

شفيق جبري

ثقافة الأطباء عند العرب

لم أعثر في الكتب العربية الطبية على بحث خاص يرينا كيف كان أطباء العرب في عصورهم العلية وحضاراتهم الزاهية يهيئون أنفسهم لدراسة علم الطب وماذا يتعلمون من كتبه الموجودة في زمنهم ٠

واننا وان كنا نعرف الكثير عن البيمارستانات والمشافي وأقسامها وفروعها وادارتها وأطبائها وما يلحق بها من معاهد للتدريس والتعليم ، ولكننا لا نعرف بالضبط ما هي العلوم التي كانوا يدرسونها وكيف كانت تجري امتحاناتهم ؟ ٠

ولأهمية الموضوع وجدت ضرورة البحث في مختلف المراجع القديمة والتراجم الطبية [١] علني أهتدي اليه ، والى معرفة العوامل التي أدت الى ازدهار العلوم الطبية والعلوم الطبيعية وغيرها وما كان لأطباء العرب من نصيب في هذا المضمار ٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والذي اتضح لي بعد كل جهد أن أطباء العرب في القرون الخمسة الأولى من حضاراتهم كانوا (انسكلوبيدين) أي (موسوعيين) بمعنى أنهم كانوا يتعلمون

---

(١) كعيون الأنباء في طبقات الأطباء لموفق الدين أبو العباس بن أبي أصيبعة المتوفى سنة ٦٨٨ هـ . ٢ – وتاريخ الحكماء لظهير الدين البيهقي المتوفى عام ٥٦٥ هـ . ٣ – وإخبار العلماء بأخبار الحكماء لجمال الدين القفطي المتوفى عام ٦٤٦ هـ . ٤ – وكتاب البيمارستانات في الاسلام للدكتور أحمد عيسى . ٥ – والطب عند العرب للأستاذ خير الله . ٦ – وكتاب الأعلام لخير الدين الزركلي . ٧ – والحضارة الإسلامية لكردعلي . ٨ – وتاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان . ٩ – ودائرة المعارف البريطانية ١٠ – وكتاب وفيات الأعيان لابن خلكان . ١١ – وقانون حوراني المؤلف .

علوماً عديدة يضيفونها الى ثقافتهم الطبية العامة والخاصة التي بلغوا فيها شأواً عظيماً، ما زالت آثاره الخالدة مسطّرة في كتبهم ومعاهدهم ومؤسساتهم .

واذا تساءلنا لماذا كانوا يتعلمون تلك العلوم التي كان أولها وأهمها اللغة العربية والصرف والنحو والإعراب والبيان والبديع والبلاغة ، ثم العلوم الأدبية كالشعر والأدب والروايات ، ثم العلوم الاجتماعية كالتاريخ والتراجم والسيرة والقانون والقضاء ، ثم العلوم السياسية كنظام الحكم وأصول الإدارة والعلاقات الدولية ، ثم العلوم الفلسفية كالمنطق وعلم النفس وما وراء الطبيعة وعلم الأخلاق واللاهوت . ثم العلوم الرياضية كالحساب والجبر والهندسة والفلك والمثلثات ، ثم العلوم الطبيعية كالكيمياء والنباتات والحيوانات وعلم المعادن وعلم الأقاليم والمياه ، ثم يتعلمون العلوم الطبية كالتشريح ، والطب الداخلي وأمراض الجلد ، وعلم الجراحة وعلم الولادة وأمراض النساء ، وعلم الفيسيولوجيا ، والصحة ، وأمراض العيون ، ومفردات الطب ، والأقرباذين ، والصيدلة وغيرها[1] . أقول اذا تساءلنا عن السبب لم نجد جواباً إلاّ أن عصرهم كان يحتم على أكثرهم دراسة هذه العلوم مع علوم الطب تبعاً لأصول التحصيل الجاري في زمنهم ، واستجابة لحاجات الناس الذين يعتبرون الطبيب ملماً وعارفاً بكل شيء . أما كيف وصلوا الى غاياتهم فكتب التاريخ والتراجم تدلنا على أن أطباء العرب اتبعوا أساليب اليونان في ثقافتهم التي لم تقتصر على الطب والطبابة بل تناولت ما ذكرناه من العلوم

(١) ومع تعاطي المهنة الطبية كان بينهم من اشتغل في السياسة والوزارة ، ومنهم من كان نديماً خاصاً للملوك والأمراء والوزراء ، ومنهم من كان معلماً منقطعاً للعلم والبحث والتجربة والاستقراء ، ومنهم من تعاطى الطب ثم تركه واشتغل في الفقه والتدريس ، ومنهم من تصوّف وانقطع عن الدنيا ، ومنهم من كان موسيقاراً أو شاعراً ، ومنهم من اشتغل في الفلك والرصد والرياضيات .

المتعددة والفنون المشهورة كما هو المعروف عن أبيقراط [١] ، وسقراط [٢] ، وأفلاطون [٣] ، وأريسطو [٤] ، وجالينوس [٥] أئمة العصور اليونانية والرومانية وكما هو معروف عن أئمة أطبائنا كالفارابي ، وابن رشد ، وابن سينا ، والرازي ، والزهري ، والزهراوي ، وابن البيطار ، وابن حزم ، وابن أبي أصيبعة وابن خلدون وغيرهم .

وسببه كما قلنا تأثير المجتمع وحاجات الزمن وطبيعة الثقافة التي فرضت على الطبيب أن يكون حكيماً عليماً ملماً بما وصلت اليه معارف الزمن ، ماهراً في صنعته ، ذكياً في تدقيقاته وتحرياته ، فيلسوفاً في أفكاره ، وتصرفاته ، إنسانياً في معاملاته ، مدنياً في أخلاقه ، وعليه أن يمثل الفضيلة في سيرته ، وأن يتصف بالخصائل التي تجعله قدوة في النظافة وأدب المحادثة ، وجدية العناية ، وكتم السر ، وخدمة المحتاج .

وعليه أن يكون بعيداً عن الأذى والضرر وسوء النية ، لا يقصر في معونة من يحتاجون الى علمه ، ورأيه وتدبيره ، كفؤاً في صنعته ، شريفاً في معاملاته .

وكلها صفات حميدة لا يستغرب من المجتمع الإنساني إن تطلبها من أطبائه

(١) أبيقراط Hippocratés يعتبر أبا الطب وواضع أساساته ، ولد عام ٤٥٠ ق.م

(٢) سقراط Socratés أشهر حكماء اليونان ولد عام ٤١٨ ق.م وتوفي عام ٣٩٩ ، وعلّم في أثينا وكان يلقي دروسه في الأزقة والشوارع وبين الجماعات ثم تألب عليه السوفسطائيون وجروه أمام الحكم فحكم عليه بشرب السم وهو في السجن فشربه ومات .

(٣) أفلاطون Ploton فيلسوف وطبيب يوناني ولد عام ٤٣٠ وتوفي عام ٣٤٧ قبل الميلاد .

(٤) أريسطو Aresto فيلسوف وطبيب من أكبر فلاسفة اليونان ولد في عام ٣٨٤ وتوفي عام ٣٢٢ ق.م

(٥) جالينوس Galinus من اعظم أطباء اليونان ولد عام ١٣١ بعد الميلاد وتوفي عام ٢٠١ .

فيما مضى والآن ، لأن علم الطب كان في جميع العصور التي مرّت على تطوّر البشرية ورقي الإنسان معدوداً من أرقى العلوم وأهمها ، ومعاطاة الطب كانت ولا تزال من أشرف المهن ، والطبيب العالم الحاذق الفاضل كان ولا يزال صاحب الاعتبار والتقدير في مجتمعه وبين أفراده ، لأن بيده تخفيف الألم وإزالته وشفاء السقام أو تعديله ، وجبر الكسر ، وبتر الفاسد ، ومداواة العلّة ، وحفظ الصحة ، ووقاية الجسم ، وتشخيص المرض ، ومحاربة الوباء ، ومعالجة الجروح ، واعادة النفوس العليلة الى حالها الطبيعي .

واذا كانت تلك الخصال والمزايا والعلوم من ضرورات العصر اليوناني ومن ضرورات العصور العربية ، وكانت أيضاً من ضرورات العصر المصري والبابلي والآشوري والإيراني فلماذا لا تكون من ضرورات عصرنا وان تطوّرت وتنوعت ثقافة أطبائنا وأصبحت ذات فروع وذات اختصاص ، ولها معاهد ومؤسسات ومختبرات ، ولها أدوات ومعدات ؟ أليست الفضائل التي كانت مطلوبة من الأطباء الأقدمين هي ذات الفضائل التي نتطلّبها ويجب أن نتطلّبها من كل طبيب اليوم وغداً وفي يدهم أرواحنا وحياتنا ؟ واذا كانت أساليب تعليمنا الطب قد تغيّرت اليوم وفاقت ما كانت عليه ، وثقافتنا الطبية قد اتسعت آفاقها وارتقت مقاييسها العلمية فهل من الضروري أن تتغيّر أخلاقنا الطبية وخصالنا المهنية ، وواجباتنا الأدبية ؟

قبل الإجابة على هذا السؤال المهم سلباً أو ايجاباً ، وقبل بيان ماهية ثقافة أطبائنا العرب ، يتحتم علينا ـ ولو بصورة وجيزة ـ استعراض نشأة الطب من أقدم الازمنة حتى أيام العرب الزاهية ، وبيان ما كانت عليه نظرة المجتمع الى الأطباء ومهنتهم ، وما هي مجمل الفضائل التي كانوا يتحلّون بها ؟ .

تذكر كتب التاريخ والحضارة أن الكهنة في مصر وبابل وآشور والهند

والصين كانوا يمارسون الطب ويعلمونه ويعرفون خواص الأعشاب وكيفية استعمالها ، وكانوا يتوارثون المعرفة والمهنة خلفاً عن سلف ، ويتعلمون معها السحر والتنجيم وعلم الكيمياء ، وعلوم الدين وما يتصل بالعبادات والطقوس والشرائع ، ويتعاطون التطبيب كما يتعاطون خدمة الهياكل والمعابد ، والآلهة والأصنام .

وكان لهؤلاء الكهنة الأطباء وسدنة الهياكل والمعابد صفة القداسة وسلطة القضاء والحكم بين الناس .

وكان الكهنة يعتبرون الطب والطبابة ومعرفة الكيمياء من الأمور السرية المقدسة التي لا يجوز إباحتها لكل طالب ، لأن لها أسرارها وأصالتها ، وأدعيتها ، وتعاويذها ، فلا يعلمونها إلا لمن كان من أولاد الملوك أو الأمراء أو من طبقة الأشراف النبلاء ، ويتحلون بالصفات المؤهلة التي تمكنهم من أن يكونوا خدمة الآلهة والملوك وخدمة الطبابة تقديساً للعلم والطب والطبابة ورفعاً لدرجاتها واعتبارها .

وفي أيام البابليين كان أهل المرضى يضعون مرضاهم في الشوارع العامة ويعرضونهم على المارة لعل واحداً منهم يكون قد أصيب بما أصيب به المريض ثم شفي من دائه فيصف للواقفين ما استعمله من العقاقير والأدوية والأعشاب والتعاويذ والأدعية حتى زال عنه المرض وتخلص من الروح الشريرة التي كانت سبباً لمرضه ، فيدونون ما قاله على ألواح مشوية من الآجر ويسلمونها الى سدنة الهياكل ليحفظوها ويضيفوها الى غيرها من الألواح التي اكتشف علماء الآثار الكثير منها .

ولعل ما حدث في الماضي السحيق يحدث مثله اليوم بين القبائل المتوحشة التي تعيش في حالة بدئية في مجاهل افريقيا وأمريكا الجنوبية ، وفي صحارى

أستراليا ، وفي آسيا وجزر الهند ، فان مرضاهم يلجأون الى الكهنة والسحرة لمداواتهم وطرد الأرواح الشريرة عنهم .

ومما خلده المصريون والبابليون والهنود من آثار وكتب وروايات نستطيع أن نقول بأن تاريخ الطب قد بدأ في عصور تلك الأمم وأمثالها ومن أتى بعدها .

ويدلنا تاريخ اليونان على أن الطب أيام (اسقولاييوس [١]) انحصر فيه وفي أولاده وعائلته التي انحدر منها (أبيقراط [٢]) ، وتدلنا وصية أبيقراط وهي الميثاق الخالد في عالم الطب على وجود النظام الوراثي في تعاطي الطب ومعاطاته .

على أن هذا الانحصار العائلي لم يتبدل إلا في زمن (أفلاطون [٣]) الذي أنشأ (الأكاديمية) للعلوم والطب والفلسفة والرياضيات في (أثينا) وخصها بتلامذته ومريديه يؤمونها ويحضرون دروسه . وكانت أبواب (الأكاديمية) مفتوحة لأبناء الشعب ولكن لا ينتسب اليها إلا من توجد فيه الأهلية والجدارة لتحصيل العلم من أبناء اليونان .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجاء في المصادر المصرية بأن سكان مصر هم أقدم من تعاطى صناعة الطب لاعتقاد ملوكهم وكهنتهم وعلمائهم أن الروح عائدة الى الجسم بعد مفارقتها له اذا بقيت الأجسام سليمة من الفناء .

وبدافع هذه العقيدة اشتغلوا بأمر التحنيط واكتشفوا ما يلزم له من مواد كالزيوت العطرية ، والراتينجية ، والدهنية ، والمعدنية ، وكانوا يستعملون معها

(١) أسكولابيوس Ascolepius إله أسطوري عند اليونان ويقال انه ابن « أبولو » أبو الآلهة . وكانت أمه حورية اسمها كورونيس ، ووصفه هوس بأنه طبيب ماهر وكان يمثل في المعابد ويعبد ، وله ابنة هي إلهة الصحة اسمها هياجين وولد هو إله الشفاء .

(٢) أبقراط Hippocratés .

(٣) أفلاطون Platone عاش في سني ٤٣٠ - ٣٤٧ ق.م

الكافور وزيت الصندل ، والمر ، وحصى اللبان ، ومركبات الزيبق ، ومركبات الذهب ، والانتيمون ، والارسنيك الطبيعي ، وأملاح الكلور والصوديوم والبوتاس ، والرصاص ، والبوركس والنطرون وغيرها من المواد العضوية وغير العضوية لاحكام عملياتهم الكيميائية الدقيقة المعقدة .

وأشهر من عرف من أطبائهم (هرمس الأول [١]) الذي ألف اثنين وأربعين كتاباً مقدساً كان منها ستة في الطب وتركيب البدن وأعضائه ، ولا سيما في العينين وفي الجراحة والآلات الجراحية المستخدمة لتوليد النساء ، ومعالجة أمراضهن . وكان يعتقد أن المعرّقات والمقيئات والحقن من مقتضيات المرض وموجبات الشفاء .

ثم جاء من بعده وسار على منواله الهرامسة الثلاثة الذين أورد ذكرهم صاحب طبقات الأطباء وكان أقدم كتاب طبي عرف عند المصريين « رسالة في التشريح » ورسائل طبية عديدة تأليف (أتوتيس بن منيا) من ملوك الدولة الأولى المصرية .

وتدلنا شريعة حمورابي المؤرخة في حدود عام (٢٠٨٤ — ٢٠٨٠) قبل الميلاد على أن البابليين كان لهم أطباء وجراحون ، وكحالون ، وبياطرة ، وكانت أجرة الطبيب والجراح والبيطري معينة ومنصوصاً عليها في مواد الشريعة ، وكذلك ورد فيها عقاب من يسيء عمله عمداً أو جهلاً .

وفي القرن السابع من الميلاد اكتشفت فيما بين النهرين (دجلة والفرات) احدى المدارس التي كان يدرس فيها الطب .

(١) هرمس Hermés هو الاسم اليوناني للاله (طوت أوتوت) المصرى ويقال الاسم أيضاً لرجل من حكماء مصر تنسب اليه بعض الكتب الطبية . والهرامسة عدة أشخاص اشتهروا كلهم بالطب والعرب تسمي (هرمس الأول) ادريس وهو من بابل .

والبابليون أول من بنى أساسات المعالجة على الأمزجة الأربعة [١] والأخلاط الأربعة [٢] وأول من مارس الاختصاص في مهنة الطب . وكانوا كالمصريين يستعينون بالأدوية والتعاويذ والرقى والسحر لشفاء الأمراض وطرد الأوبئة واخراج الأرواح الخبيثة من المصابين بالصرع أو الجنون . وكان التنجيم عندهم من جملة الوسائل لشرب الدواء وقطف الزهور وجمع الأعشاب وتعيين وقت العمل ووقت التناول ، ووقت الفصد والحجامة .

ولما ازدهرت حضارة اليونان كان «أبيقراط» المولود عام ٤٦٠ قبل الميلاد أول من ألف كتب الطب وأول من فصله عن الدين ، وأول من جعل مصدر الأمراض الغذاء والهواء . وكان طبيباً ماهراً وله مدرسة يدرس فيها الطب ، وعيادة خاصة يداوي فيها مرضاه . وقد عرف عنه أنه كان يعتمد في معالجة المرض ومداواته على المشاهدة والتجربة . ومن تعاليمه : (أن الأمزجة [٣] أربعة ، والعناصر [٤] أربعة ، وخواص الأشياء [٥] أربعة) ، وكان يعتني بالصحة والتشخيص ، ويتعاطى التشريح والجراحة ، وامتاز في عملياته .

وذكر التاريخ أن «أبيقراط» سكن مدينة حمص ، وذهب منها الى دمشق ، وأقام فيها في بستان غربي الصالحية في محل يسمى (قبة اليسار [٦]) . وهو واضع

---

(١) الأمزجة الأربعة : المزاج الصفرواي ، والمزاج الدموي ، المزاج البلغمي، والمزاج السوداوي .
(٢) الأخلاط الأربعة : الدم ، والبلغم ، والمرّة الصفراء ، والمرّة السوداء .
(٣) الأمزجة الأربعة : الدموي ، والبلغمي ، والصفراوي ، والسوداوي .
(٤) العناصر الأربعة : هي النار ، والهواء ، والماء ، والتراب .
(٥) خواص الأشياء الأربعة : حار ، وبارد ، ورطب ، ويابس .
(٦) قبة اليسار (ولعلها السيّار) : محل بالقرب من (دير مرّان) ذكره القفطي في أخبار الحكماء وفي معجم البلدان (٤ - ١٧٢) هو الدير الكائن بالقرب من دمشق على تل مشرف على مزارع الزعفران ورياض حسنة وبناؤه بالجص وأكثر فرشه بالبلاط الملوّن وهو دير كبير وفيه رهبان ومدحه الصنوبري . ويوجد دير آخر بهذا الاسم واقع على جبل يشرف على (كفرطاب) قرب المعرة ، ويقال ان فيه قبر عمر بن عبد العزيز .

ARCHIVE

الميثاق الطبي الشهير الذي طلب من تلامذته أن يقسموا عليه ويعملوا بموجبه ، وقد بقي منذ ذلك العهد حتى زمننا الحاضر عهداً يقسم عليه الأطباء في كلياتهم وجامعاتهم أمام أساتذتهم قبل أن يتخرجوا ويمارسوا مهنتهم .

ما هو هذا القسم ؟

جاء في كتاب (طبقات الأطباء) للطبيب ابن أبي أصيبعة أن محتويات القسم هي ما يأتي :

« اني أقسم بالله رب الحياة والموت وواهب الصحة وخالق الشفاء ، وكل علاج ، وأقسم بأسقليبوس ، وأقسم بأولياء الله من الرجال والنساء جميعاً وأشهدهم جميعاً ، على اني أفي بهذا العهد وهذا الشرط ، وأرى أن المعلم لي هذه الصناعة بمنزلة أبي وأواسيه في معاشي واذا احتاج الى مال واسيته وواصلته من مالي الخاص ، وأما الجنس المتناسل منه فأرى أنه مساو لاخوتي ، وأعلمهم هذه الصناعة ان احتاجوا الى تعلمها بغير أجرة ولا شرط ، وأشرك أولادي وأولاد المعلم لي والتلاميذ الذين كتب عليهم الشرط وحلفوا بالناموس الطبي في الوصايا والعلوم وسائر ما في الصنعة ، وأما غير هؤلاء فلا أفعل به ذلك ، وأقصد في جميع التدبير بقدر طاقتي منفعة المرضى ، وأما الأشياء التي تضر بهم وتدني بالجور عليهم فأمنع منها بحسب رأيي ، ولا أعطي اذا طلب مني دواء قتالا ولا أشير أيضاً بمثل هذه المشورة ، وكذلك أيضاً لا أرى أن أدني من النسوة فرزجة [1] تسقط الجنين وأحفظ في نفسي في تدبيري وصناعتي على الذكاء والطهارة ، ولا أشق أيضاً عمن في مثانته حجارة ولكن أترك ذلك الى من كانت حرفته هذا العمل .

(١) الفرزجة : هي التحميلة التي تحملها المرأة لاسقاط الجنين وفي الغالب تكون من عقار يهيج الرحم .

«وكل المنازل التي أدخلها انما أدخل اليها لمنفعة المرضى ، وأنا بحال خارجة عن كل جور وظلم وفساد ارادي مقصود اليه في سائر الأشياء ، وفي الجماع للنساء والرجال الأحرار منهم والعبيد . وأما الأشياء التي أعاينها في أوقات علاج المرضى أو أسمعها في غير أوقات علاجهم في تصرف الناس من الأشياء التي لا ينطق بها خارجاً فأمسك عنها وأرى أن مثالها لا ينطق به» .

ويظهر أن أبيقراط لم يكتف بهذا القسم بل تو كيداً له وضع ناموساً لتعاطي الطب ، ووضع وصايا لمن يريد أن يكون طبيباً وأبده العرب في قسمه وناموسه ووصاياه واتبعوها قولاً وعملاً .

أما الناموس[1] فقد قال فيه : «ان الطب أشرف الصنائع كلها ، إلا أن نقص فهم من ينتحلها صار سبباً لسلب الناس اياها لأنه لا يوجد لها في جميع المدن عيب غير جهل من يدعيها ممن ليس بأهل للتسمي بها . اذا كانوا يشبهون الأشباح التي يحضرها أصحاب الحكاية ليلهوا الناس بها ، فكما أنها صور لا حقيقة لها ، كذلك هؤلاء الأطباء بالاسم كثيرون وبالفعل قليل جداً . وينبغي لمن أراد تعلم صناعة الطب أن يكون ذا طبيعة جيدة مؤاتية وحرص شديد ورغبة تامة ، وأفضل ذلك كله الطبيعة لأنها اذا كانت مؤاتية فينبغي أن يقبل على التعليم ولا يضجر لينطبع في فكره ويثمر ثماراً حسنة مثل ما يرى في نبات الأرض . أما الطبيعة فمثل التربة وأما منفعة التعليم فمثل الزرع ، وأما تربية التعليم فمثل وقوع البذر في الأرض الجيدة ، فمتى قدمت العناية في صناعة الطب بما ذكرنا ثم صاروا الى المدن لم يكونوا أطباء بالاسم بل بالفعل . والعلم بالطب كنز جيد وذخيرة فاخرة لمن علمه مملوء سروراً ، سراً وجهراً ، والجهل به لمن انتحله صناعة سوء وذخيرة ردية عديم السرور ، ودائم الجزع ، والتهور ، والجزع دليل على الضعف ، والتهور دليل على قلة الخبرة بالصناعة» .

(١) نقلاً عن ابن أبي أصيبعة : ١ – ٢٦ .

وفي الوصية قال : « ينبغي أن يكون المتعلم للطب في جنسه حراً ، وفي طبعه جيداً ، حديث السن ، معتدل القامة ، متناسب الأعضاء ، جيد الفهم ، حسن الحديث ، صحيح الرأي عند المشورة ، عفيفاً ، شجاعاً ، غير محب للمال ، مالكاً لنفسه عند الغضب ، ولا يكون تاركاً له في الغاية ، ولا يكون بليداً ، وينبغي أن يكون مشاركاً للعليل ، مشفقاً عليه ، حافظاً للأسرار ، لأن كثيراً من المرضى يوقفونا على أمراض بهم لا يحبون أن يقف عليها غيرهم ، وينبغي أن يكون محتملاً للشتيمة لأن قوماً من المبرسمين [1] وأصحاب الوسواس — السيداوي) يقابلوننا بذلك . وينبغي أن نحتملهم عليه ونفهم أنه ليس منهم ، وان السبب فيه المرض الخارج عن الطبيعة ، وينبغي أن تكون ثيابه نقية ومعشره صالحاً » .

وتأييداً لما تقدم أذكر اعتقاد أطباء العرب فيمن يريد أن يكون طبيباً .

قال الطبيب مهذب الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن هبل البغدادي المتوفى عام (٦٢٠) هجري في كتابه « المختارات الطبية » [2] :

http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) المُبَرْسَم : مشتق من البرسام — وهو التهاب في الحاجز الواقع بين الكبد والأمعاء ، والمبرسم من يصاب بهذا الداء . وأصل الكلمة دخيل على العربية وهي مركبة من « بر » ومعناه الصدر بالفارسية و « سام » ومعناه (الموت) .

(٢) وما جاء في وصايا البغدادي يتفق مع ما جاء في وصايا عميد أطباء القاهرة (ابن رضوان) الذي اشترط على الطبيب أن يكون متحلياً بسبع خصال ، هي : « ١ — أن يكون تام الخلق صحيح الأعضاء ، حسن الذكاء ، جيد الروية ، عاقلاً ، ذكوراً ، خير الطبع . ٢ — أن يكون كتوماً لأسرار المرضى لا يبوح بشيء من أمراضهم . ٣ — أن يكون حسن الملبس ، طيب الرائحة نظيف البدن والثوب . ٤ — أن تكون رغبته في إبراء المرضى أكثر من رغبته فيما يلتمسه من الأجرة ، ورغبته في علاج الفقراء أكثر من رغبته في علاج الأغنياء . ٥ — أن يكون حريصاً على التعليم والمبالغة في منافع الناس . ٦ — أن يكون سليم القلب ، عفيف النظر ، صادق اللهجة ، لا يخطر بباله شيء من أمور النساء والأموال التي شاهدها في منازل الأعلاء فضلاً عن أن يتعرض لها أو الى شيء منها . ٧ — أن يكون مأموناً ثقة على الأرواح والأموال ولا يصف دواء قتالاً ولا يعمله . ولا دواء يسقط الأجنة . يعالج عدوه بنية صادقة كما يعالج حبيبه . » ابن أبي أصيبعة — جزء ٢ ص ١٠٢ — ١٠٣ .

« ان لكل واحد من الناس حداً من الاستعداد في قبول العلوم والصنائع بحسبه يكون مطبوعاً فيها ، فاذا توفر على ما هو مستعد له ومطبوع فيه انتفع به ونفع ، وان تعداه الى غيره ضر واستضر ، والصنائع والعلوم تنمى وتزيد بوقوعها الى المستعدين المطبوعين فيها ، وتنقص وتفسد بوقوعها الى غيرهم . ويعرف المطبوع في الحكمة بصحة مزاجه وتناسب أعضائه وطهارة أخلاقه » . « مجلد ٢ ص ٦ » .

ويضيف على قوله :

« ومما يمتحن به حتى يوثق بعلمه وعمله أن ينظر فيما اذا أنفق زمانه في الماضي في الاشتغال بهذه الصناعة وملازمة خدمة الكبراء ممن هو أهل لها ، وطول ملازمتهم والقراءة عليهم والعلاج بين أيديهم ، والتدرب في الدخول على المرضى في بيوتهم ، وملازمة خدمة البيمارستانات التي يجتمع فيها حذاق الأطباء وكثرة نظره الى معالجة الأستاذ فيشار اليه ويعول عليه . وكذلك هل يثني عليه الناس لحسن سيرته وديانته ، وان همته اذا خلا في بيته مطالعة الكتب ودراسة هذه الصناعة ، وأنه غير مشتغل باللهو واللعب والشرب ومواترة السكر ، ولا يبعض هذه الخلال المذمومة التي تستغرق الزمان بالتضييع ، والخاطر بالتوزيع ، فان كان ينسب الى شيء من ذلك فلا ينبغي أن يوثق اليه ولا يعول عليه في هذه الصناعة » .

وهو قول اذا نظرنا اليه بعين تلك الزمن وبعين زمننا وبعين التحليل السيكولوجي والصحي والمسلكي نجده متوافقاً مع قسم ابيقراط ومع ناموسه الطبي ومع وصاياه ومع ما كانت تتطلبه العصور العربية في معاهدها وبيمارستاناتها من أطبائها ، ومع ما نسعى الى تحقيقه والعمل به معاهدنا العلمية الحديثة في تنشئة الأطباء وتهذيب أخلاقهم وتربيتهم الصناعية لأنه قول صادر عن تجربة وعلم ، ونفس

نذرت نفسها للتعليم والتدريب والتنشئة وخدمة المهنة ، وخدمة الإنسان والإنسانية .

وبعد هذا لنعد الى متابعة بحثنا عن تطوّر الطب ونشأة الأطباء ، فأقول :

ومن بعد أفلاطون ظهر أريسطو الذي ولد في عام ٣٨٤ قبل الميلاد ومات في عام ٣٢٢ وكان من أعظم فلاسفة اليونان وهو وان لم يكن طبيباً ولكن تعاليمه أثرت تأثيراً عميقاً في تقدم الطب وفي ذهنية العرب فدعوه المعلم الأول .

ويذكر متتبعو حياته وآثاره أنه ألف في مواضيع عديدة تتعلق بالطب كعلم الأحياء ، وعلم التشريح المقارن ، وعلم الفيسيولوجيا ، وعلم الأجنة ، وعلم الحيوان ، وعلم النباتات ، علاوة على ما ألفه في الفلسفه والمنطق والبيان والسياسة وعلم النفس وعلم الأخلاق .

وكان أستاذاً ومربياً لاسكندر الكبير في صغره ولما تولى اسكندر زمام الحكم ، وقاد جيشه لفتوحات اتخذ معلمه مشاوراً له في اجراءاته وأموره السياسية .

وقد اشتهر أريسطو بالوام العلمي والتحري الواسع والدقة العلمية والنهج الرتيب .

وفي أيامه أنشأ الاسكندر مدينة الاسكندرية عام ٣٣١ قبل الميلاد وأنشأ معها مدرسة الاسكندرية التي ارتقت ارتقاءً عظيما في عهد البطالسة وبقيت مناراً للعلم ونشره ومعهداً لتخريج العلماء والفلاسفة والأطباء والحقوقيين حتى الفتح الإسلامي عام ٦٤٣ ميلادية . ومن هذه المدرسة تخرج الأطباء (هيروفيلس ، وارسطرارطس) واشتهروا بترقية علمي التشريح والفيسيولوجيا ، وتخرّج منها (جالينوس [1]) أعظم طبيب ترجم له العرب وأخذوا عنه أيام الأمويين لأنه كان خاتمة الأطباء الكبار الثانية الذين اشتهروا في هذه المدرسة .

وفي طبقات الأطباء يقول الطبيب ابن أبي أصيبعة : « ان جالينوس لما ظهر وجد صناعة الطب قد كثرت فيها أقوال الأطباء السوفسطائيين ، وامّحت

---

(١) جالينوس Galinus ولد عام ١٣١ وتوفي عام ٢٠١ . له اكتشافات خطيرة في التشريح ، ائتمّ به أئمة أطباء العرب .

محاسنها ، فانتدب لذلك وأبطل آراء أولئك وشيد أقوال (أبيقراط) وآراءه وآراء التابعين له ، وصنف في ذلك كتباً كثيرة كشف فيها عن مكنون هذه الصناعة ، وأفصح عن حقائقها ونصر القول الحق فيها ، ولم يجيء بعده من الأطباء إلاّ من هو دون منزلته ومتعلم منه» .

وكانت مدة حياة جالينوس على رأي الطبيت النحوي سبعة وثمانين سنة ، منها صبي ومتعلم (١٧) سنة ، وعالم ومتعلم (٧٠) سنة . ولكن جالينوس يقول عن نفسه في كتابه (مراتب قراءة كتبه) : «ان أبي لم يزل يؤدبني بما كان يحسنه من علم الهندسة والحساب والرياضيات التي تؤدب بها الأحداث حتى انتهيت من السن الى خمس عشرة سنة ، ثم انه أسلمني في تعليم المنطق وقصد بي حينئذ في تعليم الفلسفة وحدها ، ثم رأى رؤيا دعته الى تعليمي الطب فأسلمني في تعليمه وقد أتت عليّ سبع عشرة سنة ، وبعدها تعلمت الطب وتعاطيته حتى بلغت الثاني وثلاثين سنة» .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وكان جالينوس عبقرياً واسع المعلومات ، ذرب اللسان ، كتب الكثير في مختلف المواضيع الطبية المعروفة في زمانه انما كان ينقصها سلاسة أبيقراط ووضوحه .

وكان في حياته ومعيشته يحب الفخفخة ، وطالما ساقه عقله المولّد الى الدخول في عالم الخيال والفلسفة ، ولذلك أتى ببعض الآراء الوهمية غير المعقولة ، وأتت مؤلفاته صعبة الدرس والفهم ، ومع هذا فقد كانت بين المؤلفات الأولى التي نقلت الى العربية ، ترجمها حنين بن اسحق وولده اسحق وابن اخته حبيش الأعسم .

وكانت مدرسة الاسكندرية جمعت تآليف جالينوس كلها وبوّبتها ووضعتها في ١٦ مجلداً ليسهل درسها ، وذكر ابن أبي أصيبعة أن هذه المجموعة من الكتب المترجمة الى العربية كانت المتداولة بين الناس وفي أيديهم والمعتمد عليها في دراسة الطب (ككتاب الفرق الطبية ، وكتاب الصناعات الصغيرة ، وكتاب النبض الصغير ، وكتاب «غلوقن» الذي معناه الأزرق كتبه في التأني لشفاء

الأمراض ، وكتاب في الفطام ، وكتاب في العضل وتشريح العصب ، وتشريح العروق غير الضوارب ، وتشريح العروق الضوارب ، وكتاب الاسطقسات [1] وهو يبين جميع الأجسام التي تقبل السكون والفساد وهي أبدان الحيوان والنبات ، والأجسام التي تتولد في بطن الأرض ، وكتاب المزاج ، وكتاب القوى الطبيعية ، وكتاب العلل والأمراض ، وكتاب تعريف عمل الأعضاء الباطنة «باثالوجيا» ، وكتاب النبض الكبير ، وكتاب أصناف الحميات ، وكتاب البحران ، وكتاب حيلة البرء ، وكتاب علاج التشريح الكبير ، وكتاب فيسيولوجيا الأعضاء ، وكتاب في قوى الأدوية المسهلة ، وكتاب في العادات ، وكتاب في الأدوية المفردة ، وله كتب أخرى في أمور طبية ومسائل تتعلق بالتداوي نظر فيها وفسرها من جاء بعده من الأطباء الاسكندرانيين كاصطفان ، وانقيلاوس ، وجاسيوس ، وماربنوس ، وناودوسيوس ، وديسقوريدس ، ويحيى النحوي الذي عاش ولحق زمن عمرو بن العاص في مصر وله كتب عديدة ترجمت الى العربية أيضاً مع كتب ديسقوريدس صاحب الفضل في تعليم وتصنيف مفردات الطب) .

وبعد ما انشقت الامبراطورية الرومانية [2] الى مملكتين واضطهد رؤساء النساطرة السريان الذين كانوا في مدارس أثينا هاجر النسطوريون الى الشرق وكانوا من العلماء والفلاسفة والأطباء وحملوا معهم العلوم اليونانية وثقافتها وسكنوا بلاد الرها وما جاورها وأقاموا فيها مدارسهم .

---

(١) الاسطقسات : معناها العناصر . وهي عند الأقدمين . (الماء والأرض والهواء والنار) وأصلها مأخوذ من اليونانية .

(٢) لم يكن العصر الروماني البيزنطي الممتد من عام ٤٧٦ الى ٧٣٢ بعد الميلاد من العصور التي لها أثر كبير على العرب ، بل كانت المدنية اليونانية خلالها في انحطاط وانحصرت تعاليم أبيقراط ، وسوقراط ، وجالينوس في الأديرة .

ومنهم من سكن في نصيبين ، وقنسرين ، وميافارقين ، وأسسوا فيها مدارس علمية وطبية أخرى بلغت خمسين مدرسة ، ومنهم من هاجروا الى جنديسابور من بلاد العجم وأوجدوا أيضاً مدرستهم الشهيرة التي تخرج منها الطبيب العربي الشهير الحارث بن كلدة أول طبيب في الجاهلية قابل كسرى أنوشروان مع وفد من رؤساء العرب وتحدث اليه ووصف له فضائل العرب ومكارمهم وأجابه على عدة أسئلة سأله عنها ليمتحن معرفته .

وكان النساطرة ترجموا العلوم اليونانية الى السريانية ، ولما فتح العرب بلاد سورية والعراق وايران ، وفتحوا قلوبهم للعلم وبذلوا الأموال للحصول عليه وصرفوا حياتهم للحصول على كتبه وترجمتها وسافروا لأجل ذلك الى بلاد اليونان وايران والهند والصين وعملوا على ترجمتها ، واستقدموا العلماء والتراجمة لهذه الغاية وللتعليم والتدريس والتطبيب ، كان هؤلاء النساطرة وغيرهم من خير ما ساعد على ذلك .

والذي نستطيع استنتاجه من كل ما تقدم أن أطباء العرب بدأوا تعلم الطب من الذين كانوا في مدرسة الاسكندرية ابان فتح مصر ، ثم من أطباء النساطرة الذين كانوا يدرسون في مدارس الرها وغيرها مما ذكرنا أسماءها .

(يتبع) عبد الرحمن الكيالي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

العلاقات الجوهرية

بين اللغتين العربية والآرامية « السريانية »
في النواحي التاريخية والفنية واللغوية والأدبيـة
— ٤ —

ان المرحلة الطويلة التي عاش فيها العرب الغساسنة متحدين بالسريان في مناطق سورية وغيرها ، أتاحت أعظم فرصة للقاء اللغتين العربية والآرامية السريانية ولاتصالها الطويل ، بما كان له الأثر الفعال في كليهما ، وعلى الأخص في بلاد سورية ، وقد بقيت آثاره الى اليوم دائرة على الألسن السورية ، إذ اصطبغت اللغة العربية المحكية فيها بصفات سريانية كثيرة منذ تلك العصور الى يومنا هذا .

وأم الآثار السريانية الآرامية في اللغة العربية المحكية في بلاد الشام على الأخص هي ما يأتي :

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ — قلب (ميم الجمع) الى نون في ضميري المخاطبين والغائبين مثل (أبوكن ، أخوكن ، بيتكن) ، عوض (أبوكم ، أخوكم ، بيتكم) ، ومثل (أبوهن ، أخوهن ، بيتهن) عوض (أبوهم ، أخوهم ، بيتهم) . وذلك مستمد من السريانية الآرامية اذ يقال (ܐܒܘܟܘܢ ، ܐܚܘܟܘܢ ، ܒܝܬܟܘܢ) كما يقال (ܐܒܘܗܘܢ ، ܐܚܘܗܘܢ ، ܒܝܬܗܘܢ) . وهي صيغة سريانية لا غير .

٢ — اسكان الحرف المتحرك بحركة الاختلاس في وسط الكلمة ، وقد تنقل حركته الى الحرف الذي قبله مثال ذلك : (عِلْبَتَك ، تَمْشِيَتَك . ونحمّله ، زلقطه) وما اليها عوض (عِلْبْتُك ، تَمْشِيتْك . نحمله ، زلقطة) كما هي الحال في بقية البلاد العربية .

٣ – اسكان المتحرك في أول الكلمة وفي مواضع أخرى من ذلك : (كْبيِر ، صْغِير ، كْبار ، ثروح) وهذه توجد في لغة الموصل العامية أيضاً ، وهي مستمدة من السريانية لا غير ، لأن هذه الحالة لا توجد إلا في اللغة السريانية .

٤ – استمداد لغة الشام العربية المحكية الى الآن كلمات كثيرة سريانية صرفة من ذلك : دَقَر أي (صَدَم) ، سكر (أغلق الباب ونحوه) ، دنّق (نظر) ، فقع (انفجر) ، دلف (بمنى وكف) ، شمط (استل السيف ونحوه) ، شطح (بسط ، مدّ ، وامتدّ) فلش (هدم) ، (وهذه توجد في عامية الموصل أيضاً) ، شقل (نقل ، أخذ) . ومن الأسماء : شوب (الحر) ، شرش (جذر) ، شكارة (ما يزرع لأجل القوت القليل ، وهذه توجد في عامية الموصل أيضاً) ، القاتول (القاتل) ، الشاقول (ما يستعمله المعمار لوزن استقامة البناء) ، القرطب (نوع من الشوك معروف) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

كل هذه الأفعال والأسماء مستمد من السريانية الآرامية ، وهي فيها في هذه الصيغة . ونحن لا ندعي أنها موجودة من عهد الغساسنة العرب كلها ، فلا بد أن هنالك ألفاظاً واصطلاحات دخلت اللغة العربية منذ انتشارها بعد هروب السريانية من الألسنة السورية ، ومن هذا القبيل أيضاً أسماء كثير من القرى والأنهار والأماكن التي ورثت أسماءها من اللغة الآرامية القديمة .

وهذه الأمور تكفي للدلالة على تأثر اللغتين احداهما بالأخرى في سيرهما جنباً الى جنب كل هذه المدة الطويلة ، وتمازج أهليها في مختلف العصور التأريخية .

والآن ننتقل الى منطقة عربية أخرى هي منطقة نجران في بلاد اليمن السعيدة ، فقد تبوأها العرب المسيحيون منذ أقدم العصور المسيحية ، وكانوا متحدين مع الكنيسة السريانية الآرامية في بلاد سورية وغيرها ، وهو ما جعل اتصالاً آخر مباشراً بين اللغتين العربية والآرامية بعد الاتصالات القديمة التي عرفناها سابقاً .

في مدينة نجران العربية ازدهرت المسيحية [١]، وأقيمت الكنائس الجليلة فيها وفي بقية المدن اليمنية أمثال مأرب والمجران [٢]، وأصابها الشدة بين سنتي ٥١٩ — ٥٢٤ مذ داهمها ذو نواس اليهودي فعاث فيها وفي سائر المدن المجاورة تقتيلاً وتفظيعاً، واشتهر من الشهداء المسيحيين العرب الشجعان الحارث بن كعب وبضع مئات من الرجال والنساء والأطفال [٣]. وكذلك اشتهرت من الشهيدات عقيلة الحارث الشريفة (رومي)، وقد أثبت خبر شجاعتها المؤرخ ميخائيل الكبير نقلاً عن رسالة شمعون الأرشمي معاصر هذه الحوادث الدامية [٤].

ان المسيحية في نجران والمدن المجاورة لما كانت مسيحية عربية آرامية بآن واحد، كما كانت قبلها الوثنية وثنية عربية آرامية حيث عبد العرب وعلى الأخص قبائل حمير (الشمس) [٥] وهو (شمس) الإله الآرامي القديم، فتكون القبائل العربية في هذه المنطقة متعلقة بالآرامية في عهديها الوثني والمسيحي، لأن الفرصة أتيحت في كلا العهدين لالتقاء اللغتين العربية والآرامية، غير أنه في العهد المسيحي قويت الملاقة بين هاتين اللغتين الشقيقتين، لأن أهل حمير أخذوا يكتبون بالقلم الآرامي السرياني بدلاً من الخط المسند الشائع عندهم قبل ذلك [٦].

ويظهر من سياق حوادث التاريخ أن أهل نجران كان فيهم كثيرون ممن يقرأون اللغة الآرامية ويفهمونها. وقد وجه اليهم العلامة يعقوب السروجي الملفان رسالة ضافية يشجعهم فيها على الثبات في ايمانهم ومكافحة المعتدي الأثيم

(١) الطبري مجلد ١ ص ٩١٨ وابن خلدون، العبر ٢ ص ٥٩.
(٢) الدرر النفيسة لغبطة البطريرك أفرام برصوم ص ٣٩٣ و ٤٩١ – ٤٩٢.
(٣) ميخائيل الكبير ص ٢٧٤.
(٤) ميخائيل الكبير ص ٢٧٣ – ٢٧٦.
(٥) ابن العبري مختصر الدول ص ١٥٩.
(٦) المكتبة الشرقية للسمعاني المجلد ٣ ص ٦٠٣.

بالصمود في حومة الاستشهاد وذلك في شدة ذي نواس اليهودي سنة ٥١٩ م . وكتبت هذه الرسالة بالسريانية وهذا مطلعها : « الى المجاهدين المختارين ، محبي النصر الحقيقي ، عبيد الله المؤمنين الصادقين ٠٠٠٠ في نجران مدينة الحميريين » [١] وذكر من أساقفة نجران العرب قس بن ساعدة (الخطيب العربي المشهور) كما ذكر من أساقفتها السريان الأسقف فولا الذي كان قد توفي قبل اضطهاد ذي نواس ، فأخرجت عظامه من القبر وأحرقت بأمر هذا الطاغية [٢] .

وعلى ذكر كتابة الحميريين بالخط السرياني الآرامي نعود فنقول مع الاستاذ ولفنسون : إن العرب في عهد جاهليتهم الوثنية كانوا يستعملون الخط النبطي الآرامي المتأخر ، وكانت حضارة العرب الوثنية مرتبطة بالنبط ارتباطاً وثيقاً ، وكان نصارى العرب يستعملون الكتابة النبطية واللغة الآرامية التي كانت لغة العمران والدين عند نصارى الشرق ، وكان أهل نجران على الأخص وهم عرب خلص ، يعرفون اللغة الآرامية [٣] ، وعلى الأخص في طقوسهم الدينية ، واتصالهم بالكنيسة الأم في سورية وفي غيرها من الأصقاع الكنسية [٤] ، وهذا كاف لتأييد رأينا في اتصال اللغتين الساميتين ، وتبادل المادة بينهما كما سنرى فيما يأتي :

وكانت في العراق قبائل عربية كثيرة تسير تحت راية الكنيسة السريانية الأرثوذكسية متحدةً معها بالإيمان والعمل ، وأشهرها قبائل تغلب وطي ونمر واياد ، ومن أشهر أساقفتها الأقدمين العلامة الفيلسوف أحودامه ، وكان أسقفاً للمنطقة المعروفة بـ (باعربايي) أي ديار العرب ، وهي الواقعة بين الموصل وسنجار

(١) المتحف البريطاني – المخطوطات السريانية رقم ١٤٧٢٦ ١١ ورقم الرسالة في هذه المجموعة ١٥ وخمائل الريحان بقلمنا ص ٤٣ – ٤٥ .
(٢) ميخائيل الكبير ص ٢٧٤ .
(٣) ولفنسون ص ٢٠٢ .
(٤) تحقيقات تاريخية ص ٢٧ .

ونصيبين[١] ، وبعد أن قلده مار يعقوب البرداعي مطرانية بلاد المشرق العامة سنة ٥٥٩ م سار بنفسه الى جنوبي العراق ، فدعى بقية العرب الرحل الى النصرانية ، فهدى جماهير كثيرة منهم الى المسيحية ، وأنشأ لهم ديرين وعدة كنائس[٢] . وهذا يدل على أن هذا المبشر كان يتكلم العربية كما كان يتقن لغته السريانية ، ومن المؤكد أنه أنشأ لهم الشعائر الدينية ، هو والكهنة الذين رسمهم لهؤلاء العرب ، باللغة العربية ، كما اشتهر بعده من الأساقفة العرب جرجس أسقف العرب الفيلسوف الذائع الصيت[٣] ، وسنكتب عنه دراسة وافية إن شاء الله .

على أن أشهر القبائل العربية العراقية هي قبيلة تغلب ، وقد حدثنا التاريخ عن وحدتها مع الكنيسة السريانية الأم في العراق ؛ ورسم البطاركة الانطاكيون السريان لها أساقفة كثيرين ، يتصل بعضهم بنسب عربي والبعض الآخر ينحدر من محتد سرياني ، ومن أولئك الأساقفة يوسف التغلبي الذي رسمه البطريرك يوليان الثالث (٦٨٨ — ٧٠٩ م)[٤] ، ورسم البطريرك قرياقس التكريتي (٧٩٣ — ٨١٧) ثلاثة أساقفة لهؤلاء العرب ، أولهم الأسقف يوحنا للكوفة ، ثم الأسقف داود ، ورسمه في (دقلا)[٥] عاصمة التغالبة ، والأسقف عثمان العربي ، وهو الخامس والأربعون في عداد أساقفته[٦] ، ورسم البطريرك التلمحري (٨١٨ — ٨٤٥) خمسة أساقفة للعرب التغالبة هم : يوحنا من دير قرقفتا ، وتوما من دير بيرقوم ، وحبيب من دير كنوشيا ، ويوسف ويسمى (مرزوق) ، وجرجس ، وكذلك رسم لبقية العرب أساقفة آخرين

(١) اللؤلؤ المنثور ص ٩٠٩ الطبعة الأولى وقصته السريانية المخطوطة .
(٢) قصته السريانية المخطوطة .
(٣) اللؤلؤ المنثور ص ٣٢٢ — ٣٢٣ .
(٤) التاريخ الكنسي لابن العبري ، ترجمة البطريرك يوليان الثالث .
(٥) دقلا كلمة سريانية معناها النخل .
(٦) ثبت البطاركة والأساقفة في تاريخ ميخائيل الكبير ص ٧٥٢ — ٧٦٩ .

أشهرهم يوحنا أسقف العرب الرحل ، ويوحنا أسقف تدمر ، وسبرو من دير أطو [١] . ورسم البطريرك يوحنا الخامس (٨٤٧ — ٨٩٤ م) سبعة أساقفة للعرب من بني معد والتغالبة والنجرانيين (هم بقايا مسيحيي نجران الذين شتتهم ذو نواس اليهودي في اضطهاده لهم سنة ٥١٩ — ٥٢٤ م) وهم : الأسقف يعقوب للتغالبة وأحودامه أسقف بني معد ، وطيبري لبني معد ، وشمعون لبني نجران وبني معد من دير كنوشيا ، وماكوس للتغالبة ، ويوحنا من دير مار زكى لبني معد ، ويوحنا للتغالبة الضاربين في بادية الموصل ، ومثلها فعل البطاركة أغناطيوس الثاني ، وثيودوسيوس ، وديونسيوس الثاني ، ويوحنا السادس ، وباسيل الثاني من سنة ٨٧٨ الى سنة ٩٣٥ م [٢] ، فرسموا أساقفة كثيرين لهذه القبائل العربية المتحدة بالكنيسة السريانية في سورية والعراق .

وكان معظم هؤلاء الأساقفة ينتقلون مع قبائلهم من دار الى دار ، يسكنون الخيام ، ويقيمون الشعائر الدينية في بيوت الشعر ، وقد حدثنا الفيلسوف يحيى بن جرير التكريتي منهم قال : «وقد كان في العرب نصارى كبني تغلب وقوم من اليمن وغيرهم ، ومعهم أسقف يطوف معهم في الحلل في سفرهم ، وينقل المذبح أعني الدفة المقدسة (الطبليث) [٣] من موضع الى موضع ، الى سنة ثلاثمائة للعرب (٩١٢ م) ، فوصل الى تكريت قوم من العرب النصارى وابتاعوا لهم ميرة ليمتاروا بها ، وكان منهم رجل دين حسن الطريقة فقلده مطران تكريت الأسقفية ، وكان يقدس لهم باللفظ العربي ، وكان يقدس لهم على الإنجيل [٤] » .

(١) الثبت نفسه ص ٧٥٤ — ٧٥٥ .
(٢) الثبت نفسه .
(٣) هي قطعة من الخشب تكرس ليوضع عليها القربان المقدس .
(٤) كتاب المرشد ليحيى بن جرير التكريتي الباب ٥٤ (مخطوط) .

نستنتج من هذا كله أن العربية والآرامية ، سارتا جنباً الى جنب في جميع العصور منذ عهد الوثنية الى قرون عديدة من عهد المسيحية ، حتى بعد انتشار الاسلام ، مما أثر في كلتيهما تأثيراً عظيماً وعلى الأخص العربية التي أفادت من اختها الآرامية فوائد عظمى . قال الأستاذ محمد عطية الأبراشي : « في الوقت الذي كان للغة الآرامية الغلبة والانتصار أثرت تلك اللغة الآرامية في اللغة العربية تأثيراً عظيماً ، وكلما أمعنا في الفحص والاستقصاء أتضح لنا أن كثيراً من الكلمات العربية التي كانت تستعمل للتعبير عن الأفكار والمواد التي تدل على درجة معينة من المدنية استعيرت من اللغة الآرامية ، ومن هذا نستنبط أن العرب شعروا بالمدنية التي كانت لدى جيرانهم الآراميين في الشمال وأنهم قد تأثروا بها » (١) .

ونختم بحث العلاقات التاريخية بين اللغتين العربية والآرامية بقول الأستاذ الأبراشي أيضاً وهو : « إن اللغة العربية الفصحى . . . نشأت من الآرامية في الشمال والسبئية في الجنوب ، إلا أن آرامية الشمال تغلبت على السبئية في القرون القريبة من الإسلام » (٢) . ونضيف عليه قولنا : إن ذلك حديث بفعل الاتصال الدائم الذي رأيناه بين هاتين اللغتين الشقيقتين منذ أقدم عصورهما التاريخية الى العصور المتأخرة .

٥ ــ العلاقات الفنية في الأبجدية

ان العلاقات الفنية في نشوء الأبجدية بين اللغتين الآرامية والعربية هي من الأهمية بمكان عظيم ، بل هي الناحية الأعظم إشراقاً والأرفع شأناً في كيفية

(١) لغة العرب وكيف تنهض بها لمحمد عطية الابراشي طبع مصر سنة ١٩٤٧ ص ١١٤ – ١١٥ والآداب السامية له طبع سنة ١٩٤٦ ص ١٠٨ .

(٢) لغة العرب للأبراشي ص ١٢٢ .

تعاونهما وسيرهما جنباً الى جنب في جميع عصورهما التاريخية ، وتآزرهما على الحياة والنمو والتكامل ، وانبثاق القوى الحيوية وانسكابها من إحداهما في الأخرى ، فما هو الحق التاريخي الذي تحوزه كل من الأبجديتين ؟ وما هو التسلسل الزمني والفني الذي سار فيه كل من القلمين ، كل ذلك سندرسه في سطورنا التالية :

يذهب علماء الساميات الى أن أقدم أبجدية سامية هي الأبجدية الكنعانية [١] ، وعنها نشأت بقية الأبجديات في عصور متفاوتة ، فصدرت الأبجديات الآرامية [٢] والعبرية [٣] ، وفي العصور القريبة من الإسلام انبثقت الأبجدية العربية منحدرة من الأبجدية النبطية الآرامية [٤] ، ونحن لا يهمنا هذا التدرج التاريخي في بحثنا هذا وإن كانت فيه هنات لا يصح التغاضي عنها ، إنما تهمنا العلاقة الوثقى بين الأبجديتين الآرامية والعربية ليكون بحثنا حائزاً على كل صفاته الموضوعية الكاملة .

ARCHIVE

من البديهي أن علماء الساميات أصدروا قرارهم السابق بشأن التدرج التاريخي في نشوء الأبجديات السامية استناداً على الكشوف الأثرية التي وجدت الى الآن ، ولكن الكل يعلم أن هذه الكشوف مازالت قليلة جداً ـ رغم كثرتها ـ بالنسبة الى ماستحدثه الكشوف الأثرية القادمة في المستقبل ، لذلك لا يسوغ الركون الى تقرير يستند على مصادر ناقصة ، قد تنقلب رأساً على عقب في لحظة واحدة ، اذا اكتُشف رقيم واحد يضاد معلوماتنا الحاضرة ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية إن تقريراً يستند على مصادر مازالت آخذة في الازدياد والتكامل يوماً بعد يوم وعاماً بعد عام لا يسوغ أن تُبنى عليه حقيقة علميه تاريخية

(١) ولفنسون ص ٥٢ .
(٢) فيه .
(٣) فيه ص ٥٣ .
(٤) فيه ص ٢٠١ احمد رضا ص ١٧ و ٣٨

هامة كأصالة الأبجديات وتقديم بعضها على البعض الآخر ، ولذلك نقول إن لدينا نصوصاً تاريخية هامة من القرن السابق للميلاد والقرنين اللذين يليانه تذهب الى أن الآراميين هم أول من اخترع الكتابة ، وبالتالي تجعل الأبجدية الآرامية أول أبجدية سامية ، وتدعي أن الأبجدية الكنعانية هي الصورة الأولى البسيطة للأبجدية الآرامية ، ونورد هنا نصين من تلك النصوص بتحفظ غير جازمين الآن بصحتها المطلقة . قال ديودوروس الصقلي المؤرخ الشهير الذي عاش في القرن السابق للميلاد : « إن اختراع الكتابة يعود الفضل فيه الى الآراميين » . وقال اقليمس الإسكندري في القرن الثاني للميلاد : « ذهب كثيرون من القدماء الى أن الآراميين هم الذين اخترعوا الكتابة » [1] . وعلى هذا الأساس نقول إن لم تكن الأبجدية الآرامية أقدم أبجدية سامية فهي حتماً من أقدمها [2] .

أما العلاقة الفنية بين الأبجديتين الآرامية والعربية فتنحصر في أربع وجوه هامة هي:

١ — انحدار الأبجدية العربية من الأبجدية الآرامية .

اختلف المؤرخون العرب في المصدر الذي انحدرت منه الأبجدية العربية ، فذكر معظمهم أنها منحدرة من الخط المسند [3] . ولكننا لا نستطيع إقامة دليل ملموس على صحة هذا الرأي ، لأننا لا نحوز آثاراً خطية تؤيده ، وقد ظهرت في الآونة الأخيرة رقم حجرية عثر عليها المستشرقون في فترات متفاوتة من الزمن ، وهي تحوي دلائل ملموسة تنير طريق البحث في هذا الموضوع ، وبعد دراسة هذه الرقم الحجرية الهامة قرر علماء الساميات أن الأبجدية العربية اشتقت من الأبجدية النبطية الآرامية [4] . ولا نعدم شهادة تاريخية عربية هامة تؤيد هذا

---

(١) اللمعة الشهية . ليوسف داود . ج ١ ص ١٠١ — ١٠٢ .
(٢) اللؤلؤ المنثور . لبطريرك أفرام برصوم ص ٢٦ .
(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٤١٨ — مطبعة مصطفى محمد . صبح الاعشى ص ٨٣ .
(٤) وليفنسون ص ٢٠١ واحمد رضا ص ١٧ و ٣٨ .

الرأي . قال البلاذري في فتوح البلدان : «اجتمع ثلاثة نفر من طيء بيقة وهم مرامر بن مرة ، وأسلم بن سدرة ، وعامر بن جدرة[١] فوضعوا الخط ، وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية ، فتعلمه منهم قوم من الأنبار ، ثم تعلمه أهل الحيرة من أهل الأنبار ، وكان بشر بن عبد الملك أخو أكيدر ابن عبد الملك بن عبد الجن الكندي ثم السكوني صاحب دومة الجندل ، يأتي الحيرة ، فيقيم بها الحين ، وكان نصرانياً ، فتعلم بشر الخط العربي من أهل الحيرة ، ثم أتى مكة في بعض شأنه فرآه سفيان بن أمية بن عبد شمس ، وأبو قيس بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب يكتب ، فسألاه أن يعلمهما الخط فعلمهما الهجاء ، ثم أراهما الخط فكتبا»[٢] .

واذا دققنا هذا النص التاريخي الهام نجد أنفسنا أمام شهادة صريحة تؤيد ما ذهب اليه علماء الساميات وهو أن (النفر) الذين (اجتمعوا) بيقة (وضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية) ، والأصح أن يقال أن هؤلاء الثلاثة (تعلموه) لا وضعوه .

أما الخط المسند فانه خط حمير[٣] ، ومن المعروف أن الحميريين استبدلوا الخط المسند بالخط السرياني[٤] . والمعروف أيضاً أن الخط المسند الحميري هو خط مبيّ ، وقيل إن الخط المسند منقول من الخط الكنعاني مباشرة[٥] ، إلا أن ثقات المستشرقين ينكرون ذلك ، ويؤيدون أن خطوط شمال بلاد العرب منقولة مباشرة عن الخط الآرامي اعتماداً على ما كان بين الآراميين وهذه القبائل

(١) ذكر ابن خلدون في مقدمته غير هؤلاء (النفر) ص ٤١٨ .
(٢) البلاذري . فتوح البلدان ص ٤٧١ .
(٣) الفهرست لابن النديم ص ٨
(٤) المكتبة الشرقية السمعاني الجزء ٣ ص ٦٠٣ .
(٥) ولفنسون ص ١٧١ .

العربية من القربى والجوار [١] ، وهذا الرأي نرجحه ، لأن القبائل العربية لم تلتق مطلقاً بالمدنية الكنعانية ، بل امتزجت بالمدنية الآرامية كما رأينا في أوائل بحثنا هذا .

أما صدور الأبجدية العربية من الأبجدية النبطية الآرامية فنرى أنه تمّ على مراحل وفي فترة تقارب القرنين من الزمن ، وقد ظهرت رقم أثرية هامة أنارت الطريق أمام الباحث في هذا الموضوع .

إن هذه الرقم الأثرية توضح لنا كيف تولدت الأبجدية العربية من الأبجدية النبطية الآرامية ، ويتم لنا ذلك اذا قابلنا بين القلم النبطي المتأخر والقلم العربي القديم ، وأشهر الرقم التي يجب دراستها في هذا المضمار هي خمسة نقلها المستشرقون نبيه آبوت [٢] وسفجت ووايت [٣] ، وقد حظينا بدراسة وافية لبعضها قام بها سفجت ووايت وهو ما يساعدنا على الافادة منها في موضوعنا ، ونقلها أيضاً وعلق عليها الاستاذ اسرائيل وليفنسون [٤] كما نقلها الاستاذ ناصر النقشبندي في مقاله (منشأ الخط العربي) [٥] .

أما كيفية المقابلة بين هذه النصوص الأثرية فتتم بملاحظة القلم النبطي المتأخر ، والقلم العربي القديم ، ويمكن وضع هذين الرقيمين (النبطي المتأخر والعربي القديم) أنموذجاً للملاحظة والمقابلة والاستنتاج ، أما النبطي المتأخر فانه رقيم أم الجمال الأول الذي عُثر عليه في أم الجمال الواقعة في جنوب حوران في شرق الأردن ، وهو يعود الى قبر فهر بن جذيمة ملك تنوخ [٦] ، وتاريخه نحو سنة ٢٥٠ م ،

---

(١) ولفنسون ص ١٧١ .
(٢) نبيه آبوت لوح ١ ص ٥ .
(٣) سفجت ووايت ص ١ – ٥ .
(٤) ولفنسون ص ١١٠ و ١٩١ ، ٩٢ .
(٥) مجلة سومر المجلد ٣ الجزء ١ ص ١٣٠ – ١٣٣ كانون الثاني سنة ١٩٤٧
(٦) درسنا هذا الرقيم سابقاً وترجمناه بحسب نظم اللغة السريانية الحاضرة .

وأما العربي القديم فانه رقيم النمارة الذي عُثر عليه في موقع النمارة بجبل الدروز وتاريخه نحو سنة ٣٢٨ م ، وهو يعود لقبر امريء القيس بن عمرو ملك العرب في الحيرة [١] ، وملاحظة هذين الرقيمين تعطينا فكرة كاملة في تولد الخط العربي ، فان معظم الحروف متشابهة تقريباً ، وهذا التشابه يظهر في شكل الحروف ، ومن المعروف أن الخط النبطي القديم كانت حروفه منفصلة بعضها عن بعض على ما نراه في رقيمي (مرانا ملك النبط) [٢] و (مجرفس الملك) [٣] . أما هذا الرقيم وما اليه [٤] فنجد فيه كثيراً من الحروف متصلة بعضها ببعض ، وهو ما يوضح كيفية تطور هذا القلم حتى تولّد منه القلم العربي ، ويظهر لنا هذا التطور اذا وضعنا ازاءه رقيم النمارة الذي يُعد أقدم نص عربي ، فحروفه في معظم الأحوال متصلة على غرار الرقم النبطية المتأخرة ، وهي تتشابه تشابهاً عظيماً .

ولننتقل الى دراسة رقيمين آخرين هما رقيم زبد الذي وجد في خربة كنيسة بين قنسرين والفرات بثلاث لغات هي اليونانية والسريانية والعربية ، ويعود تاريخه الى سنة ٥١٢ م ورقيم حران الذي وجد في المنطقة الشمالية من جبل الدروز مكتوباً باليونانية والعربية على حجر فوق كنيسة قديمة ، ويعود تاريخه الى سنة ٥٦٨ م ، ويعتبر أول نص عربي كامل في جميع كلماته وأسلوبه ، ففي دراسة هذين الرقيمين نجد تطوراً عظيماً في أسلوب الخط العربي وسيره أشواطاً هامة في الاستقلال عن مصدره الخط النبطي ، فالحروف في جميع الكلمات متصلة تماماً ، وقد اتخذت اتجاهاً مستقلاً خاصاً ، ولم يبق فيها من الشكل النبطي إلا الشيء القليل ، تجده في بعض الحروف فقط وهو الدلالة الباقية على مصدره الأصلي النبطي .

(١) درسنا هذا الرقيم سابقاً وترجمناه وعلقنا عليه سابقا .
(٢) وليفنسون ص ١٤٣ .
(٣) وليفنسون ص ١٤٤ .
(٤) وليفنسون ص ١٤١ و ١٤٢ .

واذا تقدمنا في الزمن فاستعرضنا رقيم أم الجمال الثاني ، الذي يعد أحدث نص عربي عُثر عليه حتى الآن ، ويعود تاريخه الى منصرم القرن السادس الميلادي ، نجد أمامنا كتابة عربية مستقلة تمام الاستقلال ، مع الاحتفاظ بأشباح باهتة من الشكل النبطي ، وهذا آخر تطور للخط العربي بعد اتخاذه صبغته الخاصة .

وأقدم صورة للخط العربي المستقل هو الخط الكوفي الذي كان يسمى أيضاً بخط الجزم [١] ، واذا تأملنا هذا الخط نجد فيه الأشباح النبطية لم تزل ماثلة ، ثم انتقل هذا الخط من الحيرة الى مكة ، وقيل وصل من اليمن الى الحيرة والأنبار بوساطة كنده والنبط [٢] . وهكذا لم يزل الخط العربي يتطور وينحو جانب السهولة والتبسيط حتى وصل الى حالته الحاضرة ، كما أن الخط الآرامي أيضاً تطور تطوراً محسوساً فاشتقت منه عدة أقلام وأشكال مختلفة ذكر بعضها ابن النديم في فهرسته [٣] .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

وأجلّ أقلام الخط الآرامي المتأخر الاسطرنجيلي ، ويقال له الخط الرهاوي أو الثقيل ، وقد استنبطه بولس بن عرقا أو عنقا الرهاوي في مطلع القرن الثالث ، وقد تأثر به الخط الكوفي تأثراً عظيماً ، بل قيل إن أصل الخط العربي الكوفي هو الخط الأسطرنجيلي نفسه [٤] . إلا أننا نعتقد أن الخط الاسطرنجيلي هذا انتقل في القرن الثالث الى اليمن فاحتلّ كتابات آل نجران [٥] ثم وصل الى الحيرة القريبة من الكوفة ، والأظهر أن الخط الكوفي بعد أن

(١) صبح الاعشى جزء ٣ ص ١٤ واحمد رضا ص ١٣ و ٤٣ و ٦٥ .
(٢) اسرائيل وليفنسون ص ١٩٨ واحمد رضا ص ٣٩ و ٥٧ .
(٣) الفهرست ص ١٨ .
(٤) اللؤلؤ المنثور ص ٢٦ الطبعة الاولى . حمص سنة ١٩٤٣ .
(٥) المكتبة الشرقية للسمعاني ص ٦٠٣ الجزء ٣ .

أخذ عناصر من الخط النبطي تأثر بالخط الاسطرنجيلي وأخذ أشكاله عنه ، وذلك عن طريق نجران والحيرة . وقد علمنا أن اليمن والحيرة كانتا مركزين للكتابة والثقافة [١] وتأثر الخط العربي بهذا الخط الآرامي معقول جداً ، بل إنه صواب ، لأن اشكال الخطين المتقاربة تؤيد ذلك ، وقد دام استعمال الخط الاسطرنجيلي عند السريان الى المئة الرابعة عشرة ، على أنه نشأ من خط سرياني آخر في القرن التاسع ، وهو الخط السرياني الغربي الذي تطور نحو السهولة واحتفظ الآن بالخط الاسطرنجيلي كاملاً لتزيين رؤوس الفصول [٢] في الكتب الخطية الهامة ، كما نشأ عن الخط الاسطرنجيلي أيضاً ما يسمى بالخط السرياني الشرقي ، ونشأت أشكال أخرى للخط السرياني ما زالت ماثلة في المخطوطات الكثيرة النفيسة التي تملأ خزائن الشرق والغرب .

ولو عدنا مرة أخرى نستعرض هذه النصوص الأثرية الخمسة ، لرأينا أعظم نصر يحققه التعاون الوثيق بين الآرامية والعربية ، فالنص الأول (رقيم أم الجمال الأول) هو آرامي الأبجدية واللغة ، شأنُ عدد كثير من الرقم الأثرية المكتشفة في مواطن الآراميين الأول . ولكنه ينقل الينا حادثة عربية صرفة . أو بالحري إنه يُعنى بتخليد علم عربي خالص ، والنص الثاني (رقيم النمارة) نجد فيه لوناً جديداً من ألوان الحياة ، فانه آرامي عربي بلغته وأبجديته ، أي ان اللغة التي كُتب فيها وردت فيها مفردات آرامية الى جانب المفردات العربية ، وأبجديته ما زالت محافظة على لونها الآرامي ، إنما ظهرت فيها بوادر أبجدية فنية جديدة هي طلائع الأبجدية العربية ، والنص الثالث (رقيم زبد) يشبه النص الذي سبقه بامتزاج اللغتين الآرامية والعربية مادةً وحرفاً ، إلا أننا نلاحظ زيادة في جنوح الناحية العربية الى التبلور والاستقلال ، أما النص

---

(١) البلاذري . فتوح البلدان ص ٤٧٧ وصبح الاعشى جزء ٣ ص ١٢ و ١٣ و ١٤

(٢) اللؤلؤ المنثور ص ٢٦ و ٢٧ .

الرابع (رقيم حران) فقد زالت منه المفردات الآرامية ، وبقيت فيه صيغتها الحرفية ماثلةً ، ومثله النص الخامس (رقيم أم الجمال الثاني) نجد فيه تحرر العربية من الآرامية مادةً وحرفاً ، ماخلا ما بقي من الدلائل الشكلية التي تعيد الى أذهاننا صور الأبجدية الآرامية بشكل ضئيل ، وهذا لعمري أعظم دليل على سير اللغتين الشقيقتين في طريق النمو والاكتمال .

وعند انتشار اللغة العربية في مواطن الآراميين في سورية والعراق ، على أثر الفتوحات العربية ، نشأت طريقة جديدة عند الآراميين المسيحيين ، وهم السريان ، لكتابة العربية ، وهي التي تسمى (الكرشوني ، أو الجرشوني بالجيم المصرية) وهي أن تكتب اللغة العربية بالحروف السريانية ، وذلك منذ منتصف القرن السابع الميلادي . وكأني بالسريان أرادوا بهذه الطريقة إعادة مجد أبجديتهم التي كُتبت بها اللغة العربية في عهد كتابتها الأولى . وهذه الطريقة مازالت مستعملة عند عموم طوائف السريان الى يومنا هذا ، فتجد جميع طقوسهم وكتبهم المقدسة الكنسية المترجمة الى العربية تُكتب بالأبجدية السريانية . ولدينا نسخ كثيرة من هذا النوع قديمة وحديثة في جميع كنائسنا السريانية .

أما لماذا سميت هذه الطريقة من الكتابة بـ (الكرشوني) فلم يتصل بنا تعليلها من السلف ، مع أنها قديمة جداً كما علمنا الآن ، والأظهر أنها اتخذت اسمها (الكرشوني) من (قريش) . ونحن نعلم أن القرشيين في مستهل القرن السابع كانوا يؤمون أمصار الشام وغيرها لغايات تجارية ، ومن المعلوم أن التجار يحتاجون الى سجلات ودفاتر حسابية وغيرها في عملهم التجاري ، ولما كانت الأبجدية العربية في مستهل القرن السابع غير شهيرة على الأقل ، يكون من المؤكد أن تجار قريش كانوا يكتبون سجلاتهم بالحرف الآرامي واللغة العربية ، وربما شاعت هذه الطريقة في ربوع الشام قبل غيرها ، ولما كان القرشيون هم الذين روّجوها واستعملوها أكثر من غيرهم نسبت اليهم . ولكن كلمة

(كرشوني) لا تحمل طابعاً عربياً في صيغة النسبة بل تحمل طابعاً سريانياً آرامياً صرفاً ، لأن صيغة النسبة باللغة السريانيـة كثيراً ما تكون بالنون قبل الياء السابقة لألف الإطلاق ، وهكذا وضعت في هذه اللفظـة النون قبل الياء السابقة لألف الإطلاق الملغاة ، فتكون لفظة (كرشوني) والحالة هذه منسوبة الى قريش العربية ، وبذلك عادت الأبجدية الآراميـة السريانية الى معانقة صديقتها القديمة اللغة العربية ، ولما كان حرف (القاف) يُقلب في اللهجات العربية المحكية الى (ج) كالجيم المصرية (مثل القاف في : قلب ، قبر ، قصر ، ويقال فيها : كلب ، كبر ، كصر) ، قيل في نسبة هذه اللفظة (كرشوني ـ لا قرشوني) كما كان يجب أن يقال فيها وهذا أوجه تعليل نراه الآن .

ولما كان في الأبجدية السريانية اثنان وعشرون حرفاً فقط ، وهذه ليست كافية لكتابة اللغة العربية التي تحتاج الى ثمانية وعشرين حرفاً ، عمد السريان الى الطريقة التي اعتمدها العرب أولاً عندما استمدوا الأبجدية السريانية الآرامية للغتهم ، فصوروا كل حرفين متجانسين شكلاً بحرف واحـد ، فصوّروا التاء والثاء بحرف (التاو) ، والدال والذال بحرف (الدولث) ، والصاد والضاد بحرف (الصودى) ، والطاء والظاء بحرف (الطيث) ، والجيم والغين بحرف (الجومل ـ بالجيم المصرية) ، والكاف والخاء بحرف (الكوف) . وميّزوا بين هذه الحروف بطريقة الترقيق والتفشية السريانية المعروفة عندهم ، فوضعوا نقطة حمراء فوق الحرف القاسي كالدال ، (ونقطة حمراء تحت الحرف اللين كالذال) وهكذا أعادوا الحروف الآرامية السريانية الى سابق عهدها مع اللغة العربية .

(يتبع) (الموصل) غريغوريوس بولس بهنام

بطولات العرب[1]

يا دامي الجرح ، لا جرح ولا ألم الجرح بعد انتفاض العرب ملتئم
امسح دموعك إن ماجت موائجها فكل ثغر على الأيام مبتسم
أسا مجع وبطاح الأرض في لجب كأنما الأرض والأفلاك تصطدم
أتحسب الشمس من أبراجها هبطت فجنّت الشمس والأبراج والنجم
ما صيحة في سواد الليل راعبة كأنما الليل من أصدائها وَجِم
الله أكبر هذا الصوت من مضر دوّى فزلزلت الأَطواد والأَجَم
في كل غاب ضجيج من مواكبهم وكل طود على هاماته شمم
كأنهم والأعادي نصب أعينهم سيل يفيض على أعدائهم عرم
هل العيون خلال الليل في يقظ أم العيون على أجفانهـــا حلم
كلا وربك ما في العين من حلم وانما العرب ثارت فيهم الهمم

* * *

(١) القصيدة التي ألقاها الأستاذ شفيق جبري عضو المجمع العلمي العربي وعضو المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في مهرجان الشعر في دمشق في ١٦ مايس ١٩٥٩ .

شتان ما حاضر نزهى بغرّته | وغابر فاض فيه الدمع والألم
أتت ليال وعين العرب ساهية | كأنهم في ذرا ذؤبانهم غنم
على بصائرهم إن أرشدوا حجب | وفي مسامعهم إن خوطبوا صمم
تكاد تحسبهم في دارهم رمماً | وهل تثور على أكفانها الرمم
تبحبح العجم في أوطانهم زمناً | لله ما اعتسفوا فيه وما اجترموا
فما اللسان لسان العرب إن نطقوا | ولا الثغور ثغور العرب إن بسموا
أيصبح العرب في أوطانهم هملاً | ويزحم البوم هذا الأفق والرخم

٭ ٭ ٭

هوّن عليك ، فللايام دولتها | فما تدوم على حالاتها الازم
أما ترى العرب من إعفائهم نهضوا | من كل فج لهم زحف ومقتحم
كأنما بعثوا التاريخ من أمم | فاليوم مجدهم من عيننا أمم
كانوا العماليق والدنيا تساندهم | هيهات ما يستوي العملاق والقزم
هذا ابن حمدان والآثار ناطقة | فما يعفّي على آثاره القدم
حمى الديار ديار العرب فانطلقت | له الأناشيد والأوتار والنغم
سيوفه من دماء الروم قد رويت | وكاد يشرق منها السيف والقلم
ملّ البطاريق من غاراته وبدا | على البطاريق من أهوالها السأم
اضرب بعينك في آيات شاعره | تظل تنطق في آياته الكلم
تكاد تسمع صوت الروم إن صرخوا | وتلمس الخوف إن خافوا وإن وجموا

إمّا قتيل تواري الأرض أضلعه　　أو سالم من سيوف العرب منهزم
لو كان يعبد دون الله من صنم　　ما كان لي غير سيف الدولة الصنم
لولا جهاد بني حمدان في حلب　　ما كان للعرب تاريخ ولا علم

٭ ٭ ٭

تلك البطولات كالأهرام راسخة　　فاين ماطمسوا منها وما هدموا
انهض ورتّل صلاح الدين آيتها　　الأذن مصغية والعين تلتهـــم
جاءوا إليك بجيش يعصمون به　　قبر المسيح فما صانوا ولا عصموا
لو كان همهم قبر المسيح لمـــا　　تهودت منهم ذرية ظلمـــوا
أيمنحون بني صهيون تربتـــه　　ويزعمون التقى، هيهات ما زعموا
الحقد يأكل أكلاً من جوانبهم　　والحقد نار على الأكباد تضطرم
عيسى بن مريم في الإسلام حرمته　　في كل قلب له من أهله حرم
ما في شريعته إلا السلام فهل　　صمّوا عن الشرع إنكاراً له وعموا
أين السلام وقد هدّوا قواعده　　وانما السلم في أفيائنـــا عَدم
محوتهم وبطون الأرض تكتمهم　　في كل رابية عظم لهم ودم
حطين قد غذيت منهم منابتها　　فاخضوضر الشيح والقيصوم والسلم
أين الحصون وأين النازلون بها　　لم يفتهم عن جماح العرب معتصم
ودّ العباب الذي خاضوا غواربه　　لو كاد يبلعهم من بعد أن هزموا
ليغسل العار عن شنعاء هزمتهم　　وكيف يغسل هذا العار بعدهم

٭ ٭ ٭

يا أمة من تراث الدهر خالدة ... مضت ولم تستبح آثارك الأمم
ظنوا اجتياحك مأموناً عواقبه ... وما دروا أنهم في ظنهم وهموا
كم غارة لهم في الشام عاصفة ... فلم يصبك على غاراتهم هرم
في كل غور من الأغوار معترك ... وكل نجد من الأنجاد مصطدم
مضوا وخلوا هشيماً من شبابهم ... نما به العود والغيطان والأكم
حلوا بأرضك حيناً ثم ما لبثوا ... أن غادروا الأرض لم تثبت لهم قدم

* * *

لمّا رأوك وقد أعيت جحافلهم ... ولّوا وقد أورثوا الغيظ الذي كظموا
كأن أنسالهم من بعدهم حلفوا ... أن يبعثوا الحقد نيراناً وينتقموا
فأقحموا في ديار العرب شرذمة ... من آل صهيون لا عهد ولا ذمم
هذي حضارتهم والشرّ يملؤها ... ماتت على صرحها الأخلاق والشيم
يشردون شيوخاً من ديارهم ... كأنهم في صحارى تيههم بهم
قوم يموتون من بؤس يشتتهم ... وآخرون على أظلالهم نعم
خير من العلم جهل تستقرّ به ... حرية الخلق والأنفاس والنسم
هل يبعث الله نوحاً في سفينته ... حتى يعم الورى الطوفان والديم
كأنما الروض من آثامهم يبست ... فما ينضرها ورد ولا عنم

* * *

ARCHIVE
http://archivebeta.sakhrit.com

مهلاً فلا تيأسن اليوم ان عبست لك الليالي وإن ماجت بك الظلم
ما ضرّ موكبك الجرار إن طرحوا صخراً على دربه فالصخر ينحطم
فما يعوق ضياء الشمس إن سطعت غيم على جنبات الشمس يزدحم
تمضي الليالي واسرائيل جاثمة على فلسطين لا عاشوا ولا جثموا
ذل ومسكنة في كل أعصرهم هذا اللباس وهذا الجلد والأدم
أضحوا جراثيم في الأوطان ناخرة يشتد منها على أوطاننـــا السقم
تلك الثعابين إن سالت مزاحفها سال الذعاف على الأنياب والنهم
فهل تظل سفوح القدس ضائعة فأين ما سلبوا منها وما غنموا
إذا ضحكنا فما في جدهم ضحك وإن عبثنا بهم فالعـــابثون هم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ألهى بني يعرب عن نصر إخوتهم شمل على غمرة الأحداث منفصم
على الفـــراتين من آثاره ثلم فسل عبابهما هل سدّت الثلم
كأن دجلة قد ثارت أباطحـــه أما ترى هـذه الأمواج تلتطم
تخاله معرباً عن نار غضبتـــه وللخضمّ لسان معرب وفم
بيني وبينك يا بغداد واشجـــة من الأواصر ما تنفك تلتحم
أتصرمين حبالاً حاكها نسب من العروبة يا ويح الذي صرموا
ماذا تقولين للمنصور إن لمحت عيناه في حلمه الملك الذي قسموا
كانت قصور بني العباس آمنـــة واليوم ألوت بها الأحقاد والنقم
دم يسيل على أطرافها دفعـــاً وأربع ملء عين الناس تنهدم

فما تنام عيون تحتهـا وَسَن ... ولا تبين شفاه فوقهـا لجم
في الليل إن جنحت ظلماؤه ظِنن ... وفي الصبـاح على إشراقه تهم
كأنما الثورة الحمراء ديدنهـا ... ملك على ظله الأرواح تخترم
فهـل يثوب رجال بعدما جهلوا ... أم هل يثوب رجال بعد ما علموا
متى أرى حمرة الرايات صائرة ... الى البياض عليها السلم منتظم

☆ ☆ ☆

سيندم العرب إن طال الشقاق بهم ... وليس ينفع عضّ الكف والندم
لم نبن ملكاً ولم نلهج بثورتـه ... ليهدم العرب ما نبني ويختصموا
إن الدماء التي روّت جوانبـه ... يكاد منها يشيب الرأس واللمم
أيذهب اليوم ما ضحوا به هدراً ... أما لنا من هدى ايماننـا حكم
أخبثْ بها نزوة أملى وساوسها ... إبليس حتى يرى منا الذي يصم

☆ ☆ ☆

هذا فؤادي وقد هاجت هوائجه ... فكان مثل لهيب النار يحتدم
ليست قوافي ما غنيتُ سامعهـا ... وانما عـبرات القلب تنسجم
فهل أرى العرب أغصاناً يلفّهم ... على الديار بيان العرب والرحم
حتى يعيدوا ضحى التاريخ خافقةً ... أعلامه فيرف العز والكـرم

شفيق جبري

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

الزجّاجي

حياته وآثاره

ومذهبه النحوي من خلال كتابه « الإيضاح »

(٢)

مؤلّفات الزجّاجي :

ورد في إنباه الرواة ، وبغية الوعاة ، وكشف الظنون ، وكتاب بروكلمان كثير من أسماء الكتب التي ألفها أبو القاسم الزجاجي في شتى علوم اللغة . ولكن لم يصل إلينا من هذه الكتب إلا القليل ، ولم يُطبع مما وصل منها إلينا إلا كتابان ، وما زال سائرها ينتظر الجهد والعزيمة لينفض عنه الغبار ، ويأخذ مكانه في المكتبات .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وسنتحدث فيما يلي عن هذه الآثار وما يتصف به كل منها ، بادئين بما طبع منها ، ومعقّبين بعد ذلك بالمخطوطات من موجودة ومفقودة .

١ — كتاب « الجُمَل » : وهو أهمّ كتب الزجاجي ، وموضوعه النحو ، تحدثوا عنه أكثر مما تحدثوا عن صاحبه ، وذكروا أنه صنّفه بمكة ، وكان إذا فرغ من باب منه طاف به سبع مرّات داعياً أن يغفر الله له وأن ينفع بكتابه قارئه [١] . وكان عدد الذين انتفعوا به وافراً لا يُحصى ، وكلهم وصفه بالبركة حتى عمّ نفعه بلاد الإسلام [٢] .

(١) إنباه الرواة ٢ : ١٦١ ، وكشف الظنون ١ : ٦٠٣ ، وبغية الوعاة ٢٩٧

(٢) مرآة الجنان ٢ : ٣٣٢ ، وشذرات الذهب ٢ : ٣٥٧

ويبدو أنه كانت لهذا الكتاب قيمة علمية كبيرة في عصره ، حتى انشغل به الناس وجعلوا حفظه همَّهم . قال الفهري - وهو أحد شرّاح الجُمَل - : « أكثر الناس من استعمال « الجمل » ودراسته ، وألزموا أنفسهم حفظه ودرايته ، ... وإنه تصنيف قد أنجد وغار وطار في الآفاق كل مطار »[1] . و « الجمل » هو الكتاب النحويّ الذي عوّل عليه الدارسون حتى جاء الفارسي وابن جني فشغلاهم بكتبهما . قال القفطي : « وهو كتاب المصريين ، وأهل المغرب ، وأهل الحجاز واليمن والشام ، إلى أن اشتغل الناس بـ « اللمع » لابن جني ، و « الإيضاح » لأبي علي الفارسي »[2] .

وقيمة الكتاب هذه ، هي التي تفسر لنا هجوم العلماء على شرحه ، وازدحامهم على الكتابة عنه . قال صاحب مرآة الجنان : « أخبرني بعض فضلاء المغاربة بأن عندهم لكتابه - أي الجمل - مائة وعشرين شرحاً »[3] . وكذلك نقل ابن العاد في شذرات الذهب[4] . وقد طوت الأيام معظم هذه الشروح ، ودرست أسماؤها ، فلم يبلغنا إلا أقلها .

أما كتاب « الجمل » نفسه فقد ذكروا أنه كتاب جيد لولا طوله بكثرة الأمثلة . ولعلّ أحد المتقدّمين أطلق هذا الحكم ، بالقياس الى كتب النحويين الأولين ، فتناقل المؤلفون هذا الحكم دون تمحيص ، وهو حكم غير مصيب . فالكتاب جيد ومن تمام الجودة فيه وضوح الأمثلة . وقلّ أن نجد بين كتب النحو القديمة مثل كتاب الجمل وضوحاً وبياناً . وليس عيباً أن يخرج الزجاجي عمّا وضعه سيبويه من منهج في التأليف قائم على الإيجاز والاختصار ، والتكثيف ،

---

(١) مقدمة وشي الحلل .
(٢) إنباه الرواة ٢ : ١٦١
(٣) مرآة الجنان ٢ : ٣٣٢
(٤) شذرات الذهب ٢ : ٣٥٧

والبخل بتوضيح المثال أو إتمامه ، حتى بات « الكتاب » لا يفهمه إلا فقهاء العلم والراسخون فيه .

ثم إن كتب النحو لا توضع كلها لطبقة واحدة من الناس . فلئن كان كتاب سيبويه وأمثاله يصلح للشيوخ الذين تعمّقوا في العلم ، ووقفوا على دقائقه وأسراره ، فإن كتاب الزجاجي وأمثاله لينفع المبتدئين في النحو والمتطلعين الى تعلمه ، وذلك لأنه : « كانت طريقته في النحو متوسطة ، وتصانيفه يقصد بها الإفادة » [١] . ولقد شهد له بعض العلماء أنهم بتآليفه فتحوا أنظارهم على النحو ، قال ابن السِّيد البطلَيوسي : « وإنه ـ أي الزجاجي ـ من أئمة هذه الصناعة ، فإنا بكتابه قد افتتحنا النظر في هذا العلم ، وهو الذي رشّح بصائرنا لما مُنحناه من الفهم . » [٢] .

ويجدر بنا ـ ونحن بصدد الحديث عن صعوبة النحو ، وضرورة تيسيره ـ أن نعود إلى مثل كتاب الجمل ، لنرى النحو فيه واضح العبارة ، قريب المتناول ، مجليًّا بالأمثلة ، بعيداً عن التعقيد . وتظهر رغبة الزجاجي في توضيح النحو وتقريبه حين يهجر بعض المصطلحات أو يفسرها ليكون كلامه أقرب الى الفهم ، ويصرّح بذلك فيقول : « وليس هذا من ألفاظ البصريين ، ولكنه تقريب على المبتدئ » [٣] . وكذلك ينقل أفكار الكوفيين بغير عباراتهم ، لأن ألفاظهم لا يفهمها إلا من تعوّد النظر في كتبهم » [٤] . بل هو يشرح كتاب « الزاهر » ويختصره « لأنه كتاب مقصود به المبتدئون للنظر في علم اللغة ... » [٥] .

(١) إنباه الرواة ١ : ١٦٠

(٢) اصلاح الخلل : الورقة ١

(٣) الجمل : ٩٠

(٤) الايضاح

(٥) مختصر الزاهر : الورقة ١

والزجاجي ـ على عادة القدماء ـ يُلحق بالنحو في كتاب الجمل بعض ما يتصل بالإملاء كبابي الهجاء ، وهما بحثان مفصّلان في رسم الحروف ، وباب أحكام الهمزة في الخط ، وهو بحث في قواعد الهمزة الإملائية وما دار حولها من خلاف بين البصريين والكوفيين ، الذين امتدّ اختلافهم في النحو حتى شمل قواعد الخطّ فكان لكل منهم رأي فيه ! وتعرّض في كتابه أيضاً للضرورات الشعرية فخصّها بباب عنوانه « ما يجوز للشاعر أن يستعمله في ضرورة الشعر » ؛ ولكنه كان بحثاً موجزاً خالياً من الشواهد والأمثلة على خلاف العادة . وضمّن الكتاب أيضاً بعض البحوث الصوتية كباب الإمالة وباب الإدغام وما يتصل بخصائص الحروف من مهموسة ومجهورة .

ومن كتاب الجمل نسخ خطية كثيرة منتشرة في أكثر مكاتب أوربا[1] .

ومن نافلة القول أن نتحدث عن نسخه الخطية بعد أن طُبع[2] . وكان طبعه سنة ١٩٢٦ بنفقة كلية الآداب في الجزائر وبتحقيق الأستاذ الشيخ ابن أبي شنب . وجاء في هذه النسخة المطبوعة أن المستشرق الألماني « يوحنس ثولف » طبع في ليبسغ سنة ١٩٠٤ مقالة خص فيها كتاب الجمل ، وترجم إلى اللغة الألمانية الأربعة والستين شاهداً الأولى[3] .

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ٢ : ١٨٣

(٢) من الواجب ان أشير هنا الى وجود نسخة غير معروفة من كتاب الجمل ، فلعلّه ينتفع بها أحد المشتغلين بالعربية أو الطامعين إلى اعادة طبع « الجمل » بعد ان فقدت نسخه حتى من أشهر المكتبات العامّة وهذه النسخة في دار الكتب بالقاهرة مجلّدة مع مخطوطات أخرى ، ورقمها / ٤٨٦ مجاميع / وهي لا تحمل اسم الجمل ، ولكنها تحمل اسم الزجاجي ، وقد تبيّن لي لدى قراءتها ومعارضتها بالنسخة المعروفة للجمل ذات الرقم / ٦٧ ش / أنها نسخة أخرى كاملة من الكتاب نفسه . وقد كتبت في حلب سنة ٨٩٥ هـ . وهي تبدأ من الورقة ٩٦ وتنتهي في الورقة ١٧٠ .

(٣) الجمل : ٣٨٣

وأما الكتب التي ألفت حول الجمل فكثيرة جداً ، منها الشروح ، ومنها شروح الشواهد ، ومنها في التعقيب عليه أو التعليق . . وقد رأينا أن شروحه بلغت في المغرب وحده مئة وعشرين شرحاً . ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أن الجمل نسختان : كبرى وصغرى ، وأن أكثر هذه الشروح كانت للكبرى . ومن شروح الصغرى شرح ابن بابشاذ الذي شرح الجمل وألف كتاباً في الزيادة التي بين الصغرى والكبرى [1] . على أن هذه الشروح جميعاً لم يُطبع منها شيء ، فيا أعلم ، وقد ضاع أكثرها ، ولم أستطع أن أعرف منها أكثر من ثمانية وثلاثين كتاباً أقتصر على ذكر أهمها فيا يلي :

أ — شرح الجمل لأبي القاسم الحسين بن الوليد ، المعروف بابن العريف والمتوفى بطليطلة سنة ٣٩٠ [2] .

ب — عَوْن الجُمل ، وهو شرح لشواهد الجمل ألفه أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري المتوفى سنة ٤٤٩ لأبي الفتح محمد بن علي بن أبي هاشم . وهو آخر كتاب أملاه أبو العلاء [3] . وللمعرّي كتابان آخران يتصلان بجمل الزجاجي ، كما ذكر ياقوت [4] ، وهما « تعليق الجليس » [5] و « إسعاف الصديق » .

ج — شرح أبيات الجمل لابن سيده ، علي بن اسماعيل المتوفى سنة ٤٥٨ [6] .

د — شرح الجمل لأبي الحجاج ، يوسف بن سليمان ، المعروف بالأعلم الشنتمري ، المتوفى سنة ٤٧٦ . وله أيضاً شرح أبيات الجمل .

---

(١) مقدمة الجمل .

(٢) منه نسخة خطية في دار الكتب بالقاهرة . رقمها / ٤٦٤ نحو / وعدد أوراقها ١٠٥ ورقة .

(٣) معجم الأدباء ٣ : ١٦٠

(٤) المصدر السابق ٣ : ١٥٧ و ١٥٨

(٥) جاء في إنباه الرواة أنه « تعليق الخلس » ١ : ٦٤

(٦) منه نسخة في المكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة . رقمها ١٤٩٣

هـ – إصلاح الخلل الواقع في الجمل [١]، لأبي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي المتوفى سنة ٥٢١ . قال عنه صاحب كشف الظنون « إنه أحسن شروح الجمل » [٢] .

و – الحلل في شرح أبيات الجمل [٣]، للبطليوسي أيضاً، وهو يشرح فيه معاني الأبيات ويعزوها الى قائليها . وجدير بي أن أنبه على سهو القفطي حين عدَّ الكتابين السابقين كتاباً واحداً [٤] .

ز – شرح الجمل لأبي الحسن علي بن محمد، المعروف بابن خروف الأندلسي، المتوفى سنة ٦٠٦ هـ [٥] .

ح – شرح الجمل لأبي الحسن علي بن محمد بن عصفور الاشبيلي، المتوفى سنة ٦٦٩ [٦] .

ط – شرح الجمل لأبي الحسن علي بن محمد بن علي بن يوسف الاشبيلي، المعروف بابن الضائع، المتوفى سنة ٦٨٠ [٧] . وذكر السيوطي أن

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) منه نسخة في دار الكتب بالقاهرة، رقمها ١١١٠ نحو . وعدد أوراقها ٧٦ ورقة مكتوبة بخط مغربي . وذكر محقق الجمل أن منه نسخة أخرى في مكتبة ليدن

(٢) كشف الظنون ١ : ٦٠٣

(٣) منه نسخة في دار الكتب بالقاهرة، مجلَّدة مع كتاب البطليوسي السابق / رقم ١١١٠ نحو / تبتدىء من الورقة ٧٧ وتنتهي في الورقة ١٥٠ . ومنه نسخة في المكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة رقمها ١٤٩٤ . وقال ناشر الجمل ان منه نسخة في مكتبة برلين .

(٤) إنباه الرواة ٢ : ١٦٠

(٥) ذكره السيوطي في الأشباه والنظائر ٢ : ٣٠ . وأشار إليه بروكلمن . وقال ناشر الجمل إن منه نسخة في مكتبة برلين .

(٦) نقل السيوطي كثيراً منه في الاشباه والنظائر ١ : ٢٠ و ١٠٧ و ١٤٣ و ١٤٩ و ٢١٤ و ٢٩٨ و ٣٣٨ . ج ٢ : ٧٤ و ٨٠ و ٩٨ . ومنه نسخة في المكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة رقمها ١٤٩٢ . وقال ناشر الجمل إن منه نسخة في ليدن وأخرى في الاسكوريال .

(٧) قيل إنه في ثلاثة اجزاء . ورأيت منه جزأين في دار الكتب بالقاهرة . كتبا سنة ٧٣٥ الأول في ٩٨ ورقة والثاني في ٩٧ ورقة .

أبا الحسن هذا ردّ اعتراضات البطليوسي على الزجاجي .

ي- شرح الجمل لجمال الدين عبد الله بن يوسف بن هشام النحوي ، المتوفى سنة ٧٦٢ .

وقد نقل السيوطي كثيراً من جمل الزجاجي ، وأقوال شارحيه في كتبه ولا سيما الأشباه والنظائر والاقتراح .

٢ — كتاب الأمالي :

طبع هذا الكتاب في مصر سنة ١٣٢٤ هـ ، وحققه الأستاذ أحمد بن الأمين الشنقيطي ، إلا أنه لم يكلف نفسه عناء التعريف بالكتاب أو بصاحبه ، بل اكتفى بأن ذكر موجزاً لما قاله ابن خلكان عن الزجاجي .

وقد جاء ذكر الأمالي في كل الكتب التي تحدثت عن الزجاجي أو آثاره ، كما جاءت نقول عنه في الأشباه والنظائر [١] وفي خزانة الأدب [٢] . إلا أننا بمراجعة هذه النقول ومعارضتها بالنسخة المطبوعة تبين أن للأمالي أكثر من نسخة واحدة ، فقد نقل البغدادي في خزانة الأدب عمّا أسماه بالأمالي الوسطى ، ونحن لا نجد ما نقله في «الأمالي» التي بين أيدينا . وكذلك نقل السيوطي في الأشباه والنظائر كثيراً من أخبار الأمالي مما لا نجد في النسخة المطبوعة إلا بعضه فقط ، كمناظرة أبي حاتم السجستاني والتوّزي [٣] ، ومناظرة ابن الأعرابي والأصمعي [٤] . وقد يكون السبب في ذلك ، أن السيوطي كان ينقل عن نسخ الأمالي المختلفة دون أن يشير الى ذلك . فما كان منقولاً عن الأمالي الصغرى وجدناه في هذه المطبوعة وما كان عن غيرها لم نجده فيها . وهكذا

(١) خطبة الكتاب . و ج ٢ : ٢ و ج ٣ : ٢٢ و ٢٣

(٢) ج ٢ : ١٠٩

(٣) الأمالي : ٧٦ والأشباه والنظائر ٣ : ٢٢

(٤) الأمالي : ٣٩ والأشباه والنظائر ٣ : ٢٣

فما دمنا لم نجد في نسختنا ما نقله البغدادي عن الوسطى ، ولا كثيراً مما نقله السيوطي ، فالأرجح أن تكون النسخة الموجودة هي الأمالي الصغرى . وقد أشار بروكلمان الى وجود الوسطى والصغرى ، ولم أعثر على غير النسخة المطبوعة التي رجّحت أنها الصغرى ، فلذلك سأقصر حديثي عليها وحدها .

كتاب الأمالي عبارة عن مجموعة أخبار وقصص متتالية متنوّعة ، لا نظام لها ولا رابطة بينها . ينتقل القارئ فيها من تفسير آية من سورة الكهف مثلاً ، وما قيل فيها من أقوال ، إلى خبر وقع بين معاوية بن أبي سفيان وعامله رَوْح ابن زنباع [1] ؛ ومن شعر لابن أبي ربيعة وجميل بثينة الى رثاء قيل في أحمد ابن أبي دُؤاد [2] .

ولست أدري ، لعلّ ذلك يعود إلى أن الشيخ كان يُملي دروسه على طلابه ، فإذا ما انتهى الخبر انتهى معه الدرس ، ثم يأتي الدرس الجديد فيأتي معه الخبر الجديد على نحو ما كان يدور في الدروس القديمة التي تعرف بالمجالس .

على أن هذا التباين في الأخبار لا يعني أن الكتاب أشتات جمعت ، فقد تكون الناحية اللغوية هي التي تنظم كل ما ورد في الكتاب من أخبار وحكايات وأشعار . وعناية الزجاجي باللغة تظهر في هذه الأمالي أكثر من أي ناحية أخرى ، حتى كأنها هي وحدها الغرض من إملائه ؛ إنه يورد الخبر أحياناً ولا شيء فيه غير اللغة . قال : « أخبرنا أبو عبد الله نفطويه ، عن أحمد بن يحيى ، عن ابن الأعرابي ، قال : الصبر مصدر صبرت . والصَّبْر لغة في الصَّبِر هذا المرّ . والصبر الحبس ، يقال صبرت فلاناً على كذا وكذا أي حبسته عليه . وفي الحديث أن رجلاً أمسك رجلاً فقتله آخر ، فقال : اقتلوا القاتل واصبروا الصابر أي احبسوه . والصبر الاجتراء على الشيء ، ومنه قول الله عزّ وجل :

(١) الأمالي : ٦
(٢) الأمالي : ٥٥ و ٥٦

« فما أصبرهم على النار » أي ما أجرأهم عليها . وقال المبرد تأويله ما دعاهم إلى الصبر عليها (١) . وأنشد ابن الأعرابي :

سقيناهمُ كأساً سقونا بمثلها ولكننا كنّا على الموت أصبرا

أي كنا أجرأ منهم على الموت فاقتحمناه (٢) » . ومثل هذا كثير جداً في الأمالي .

وقد يتعرض لبعض المسائل النحوية فيورد أقوال النحاة فيها ثم يذكر رأيه ويعلله كما فعل حين أورد في بعض الأخبار قصيدة الأحوص التي يقول فيها :

سلام الله يا مطر عليها وليس عليك يا مطر السلام

فقال : « وأما قوله سلام الله يا مطر عليها فإنه منادى مفرد ونونه ضرورة . فأما الخليل وسيبويه والمازني فيختارون أن ينونوه مرفوعاً ويقولون : لمّا اضطررنا إلى تنوينه نونّاه على لفظه . وإلى هذا كان يذهب الفراء ويختاره . وأما أبو عمرو ابن العلاء ويونس بن حبيب وعيسى بن عمر وأبو عمر صالح بن إسحاق الجرمي فينشدونه سلام الله يا مطراً عليها بالنصب والتنوين ، ويقولون : رُدّ التنوين إلى أصله ، وأصله النصب ، وهو مثل اسم لا ينصرف ، فإذا اضطر الشاعر إلى تنوينه نونه وصرفه وردّه إلى أصله . قال الشاعر :

ما إن رأيت ولا أرى في مدّتي كجواريٍ يلعبن بالصحراء

ألا ترى كيف نوّنه وخفضه ؟

قال أبو القاسم الزجاجي رحمه الله : القول عندي قول الخليل وأصحابه ، وتلخيص ذلك ان الاسم المنادى المفرد العلم مبنيّ على الضم لمضارعته عند الخليل وأبي عمرو وأصحابهما للأصوات ، وعند غيرهما لوقوعه موقع المضمر ، فإذا لحقه التنوين في

(١) قال الفراء في هذه الآية وجهان : أحدهما فما الذي صبّرهم على النار ؟ والوجه الآخر : فما أجرأهم على النار . » معاني القرآن ١ : ١٠٣

(٢) الأمالي : ٨

ضرورة الشعر فالعلة التي من أجلها بني قائمة بعد ، فينوّن على لفظه ، لأنّا قد رأينا من المبنيّات ما هو منوّن نحو « ايه وغاق » وما أشبه ذلك ، وليس بمنزلة ما لا ينصرف أصله الصرف . وكثير من العرب لا يمتنع من صرف شيء في ضرورة شعر ولا غيره إلا « أفعل منك » وعلى هذه اللغة قرئ قواريراً قواريراً من فضة بتنوينهما جميعاً ، فإذا نوّن فإنما يردّ إلى أصله ، والمفرد المنادى العلم لم ينطق به منوّناً منصوباً في غير ضرورة شعر وهذا بين واضح . (١) »

أما طريقة الزجاجي في هذا الكتاب فهي طريقة من يُعنى بالأسانيد عناية جيدة حتى يكاد لا يخلو من السند خبر من أخبار الكتاب ، كأن يقول : « قال أبو القاسم أخبرنا أبو اسحاق الزجاج قال أخبرنا أبو العباس المبرد عن أبي عثمان المازني عن الأصمعي قال ... » وهذا أسلوب من اعتقد أن اللغة لا يعتدّ فيها بالرأي وإنما هي بنت النقل والرواية وللاسناد فيها المكان الأول ، ولما كان الزجاجي في أماليه لغوياً فقد اتبع منهج اللغويين ، أما في غير هذا الكتاب فقد يكون للزجاجي موقف آخر كما هو في الإيضاح ، حيث يحدثك عن مشاكل النحو وعلله مستغنياً عن السند ، وما ينفعك السند ما دام محدثك يعلّل لك القول حتى يقنعك قوله أكثر مما يقنعك اسم صاحب الخبر وناقله وسلسلة سنده .

وبكتاب الأمالي نختتم الحديث عن آثار الزجاجي المطبوعة لننتقل الى الحديث عن آثاره المخطوطة من موجودة ومفقودة .

٣ — الايضاح في علل النحو :

وهو الكتاب الذي سنعرض مادته ونخصّه بالحديث بعد قليل .

(١) الأمالي : ٥٤ و ٥٥

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٤ — شرح مقدّمة أدب الكاتب[1] :

وهو كتاب شرح الزجاجي فيه خطبة ابن قتيبة في كتابه المعروف بأدب الكاتب . وقد جاء في مقدمة هذا الشرح : «هذا كتاب فيه تفسير رسالة ابن قتيبة في أدب الكتاب ، تأليف أبي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي» ومما قاله الزجاجي في المقدّمة : «وقد رأيت أن أشرح رسالة الكتاب الموسوم بأدب الكتاب لابن قتيبة ، لأنه ذكر فيها جملاً من الآداب غريبة ، وأعرض عن شرحها صفحاً يسوغ المقال فيها ويتسع الكلام . ففسرت ما تضمنته من اللغة باشتقاقه وتصاريفه ، ومن النحو بعلله ومقاييسه ، وأوضحت ما أومأ إليه مما ذكر ، لحاجة الكتّاب إليه من معرفة المصادر والأبنية ، وانقلاب الياء عن الواو ، والواو عن الياء ، والألف عنهما ، وجملاً من التصريف نافعة لمن نظر فيها وتأملها بعين تدبر واستبصار . وفسرت أخبار الرسول ﷺ التي ذكرها ولم يفسرها ووصلت بها ما جانسها . وذكرت معاني الكلام الذي حكاه عن المتعقبين والمهندسين ، وجملاً من المساحة تكفي من نظرها عما سواها .

وجعلت جميع ذلك موجزاً غاية الايجاز ، ليقلّ حشوه ، وتكثر فائدته . ولم أخل كل فصل فيه من تضمينه خبراً طريفاً يشاكله ، وأبياتاً نادرة ، وبنتَ معنىً ، ليكون هذا الكتاب ـ باحتوائه على ما ذكرته للمتطلع الى المعرفة بهذه الأشياء ـ أحضر فائدة ، وأسرع نفعاً من الكتاب المقصود بالرسالة . وبالله التوفيق»[2] . (انظر صورة الأصل) . ويأخذ الزجاجي بعد ذلك بشرح كلام ابن قتيبة .

---

(١) ورد ذكر هذا الكتاب في : إنباه الرواة (٢ : ١٦٠) وبغية الوعاة (٢٩٧) وإشارة التعيين (ورقة ٢٦) وكشف الظنون (١ : ٤٨) وفهرسة ابن خير (٣٤٤) وبروكلمن (١ : ١٧١) . ومن هـــذا الكتاب نسخة خطية في دار الكتب بالقاهرة ، رقمها / ٣٩ ش أدب / وهي في ٧٠ ورقة ، كتبت سنة ٥٨٦ هـ بخط عاديّ ، وعليها شهادة بأنها عورضت بنسخة أخرى عليها خطّ ابن الخشّاب النحوي . وهي نسخة كاملة. صورها معهد المخطوطات تحت الرقم ٣٧٧ . ومنه نسخة أخرى في اسطمبول ، صورها المعهد ايضاً .

(٢) شرح مقدمة أدب الكاتب . نسخة دار الكتب رقم ٣٩ ش أدب ، الورقة ٢

٥ — مختصر الزاهر :

« الزاهر في معاني الكلام الذي يستعمله الناس » كتاب لأبي بكر محمد ابن أبي محمد القاسم الأنباري النحوي المتوفى سنة ٣٢٨ . وهو مجلد شرحه واختصره الشيخ الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي[١] » ويحدثنا الزجاجي عن هذا المختصر فيقول : « هذا كتاب جمعت فيه جمل الألفاظ التي ذكرها أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري في كتابه الموسوم بالزاهر ، فشرحتها مختصرة موجزة ، وحذفت منها الشواهد وما يتعلق بها من كلامه المطوّل . وقد كان المفضّل[٢] ، صاحب الفرّاء ، أنشأ كتاباً في هذا المعنى سماه الفاخر[٣] ، جمع فيه قطعة من اشتقاق ما يكثر ترداده في المحاورات والمخاطبات ، فعمد أبو بكر محمد بن القاسم لذلك الكتاب ، فنقله نقلاً ، وذلّل صعبه وبسطه ، وكثّره بالشواهد ، ولبس الكتاب ترصيف ولا نظم مستخرج يتعب فيه المؤلف ، وإنما هي حروف بأعيانها ، منقولة من كتب المتقدمين ، معروفة منهما ، فما ومن تكلم في هذه الحروف غيرهما سواه . إلا أني تدبرت الكتاب الزاهر ، فوجدت فيه من السهو والغلط شيئاً كثيراً ، فرأيت مع اختصاره وتهذيب ألفاظه

(١) كشف الظنون ٢ : ٩٤٧ . وورد ذكر الزاهر في المزهر (١ : ٨٧) وفهرسة ابن خير (٣٤١) وبروكلمن (١ : ١٧١) وتاريخ آداب اللغة العربية لزيدان (٢ : ١٨٣) .

ومن مختصر الزاهر للزجاجي نسخة خطية في دار الكتب بالقاهرة ، رقمها / ٥٥٧ لغة عربية / كتبت سنة ٦٢٠ هـ بخط مغربي أندلسي . وعدد أوراقها ١٧٩ ورقة ، متوسطة الحجم .

(٢) لعلّ الصواب هو « المفضّل بن سلمة بن عاصم » ثم سقط ما بعد المفضل ، وذلك لأن سلمة بن عاصم هو صاحب الفراء لا ابنه المفضل .

(٣) الفاخر كتاب لأبي طالب المفضّل بن سلمة بن عاصم الكوفي ، ألّفه لما دار واشتهر بين الناس وسار كالأمثال . وقد طبعه المستشرق الانكليزي شارلس امبروس ستوري (C. A. Story) في ليدن سنة ١٩١٥ م .

إصلاح ما فيه من الغلط ، وكشفَه وشرحه ، لأنه كتاب مقصود به المبتدئون للنظر في علم اللغة ، فمتى تعلَّق المبتدئ بشيء من هذا الكتاب ومن عليه اعتقده ، ورأى أنه الحق دون سواه . فبيَّنت للناظر فيه حقيقة الأشياء ليعرفها . ورأيته قد حكى في مواضع كثيرة للفظة الواحدة وجوهاً ، وللمسألة أجوبة ، تكثيراً لذلك ، وانما يرجع جميعه إلى أصل واحد وإن تباينت ألفاظ العلماء فيه ، فنبهت على ذلك ، وأريت كيف رجوعه إلى أصل واحد . ووجدت فيه أيضاً مواضع قد ذكرها من النحو وعلله ومن التصاريف على مذهب الكوفيين ، فذكرتها على مذهب البصريين ، ودللت على صحة مزاعمهم دون مذهب الكوفيين ، ووجدته قد ذكر في بعض الفصول شيئاً يسيراً من اشتقاق أسماء البلدان ، وترك عامة ما يحتاج إليه منها ، فأضفت إليه باباً ذكرت فيه جمهور اشتقاق أسماء البلدان ، وأسباب تسميتها . ووجدت فيه أيضاً مواضع قد ترك فيها للمسألة وجوهاً متباينة لفظاً ومعنىً قد ذكرها العلماء مشهورة ، وزيادات في الباب من اللغة لم يأت بها ، فذكرت ذلك أجمع ، ليكون الناظر في هذا الكتاب مع إحاطة علمه بما تضمنه الزاهر ، عارفاً بمواقع السهو فيه ، وبهذه الأشياء التي ذكرتها ، مع اختصار هذا الكتاب ، وأنه دون الثلث من مقدار جملة الزاهر .

وقد وقع في شيء يسير من هذا الكتاب تقديم وتأخير ، على ما اتفق من اختصار ، إلا أنا قد أتينا عليه أجمع . »[1]

ولم يترك لنا أبو القاسم ما نزيده على وصف مختصره القيم ، إلا أن السيوطي نقل لنا كلمة تبين قيمته إذ قال : قال أبو حسن الشاري في فهرسته : كان شيخنا أبو ذر يقول : المختصرات التي فضلت على الأمهات أربعة ؛ مختصر العين

(١) مختصر الزاهر ، نسخة دار الكتب بالقاهرة رقم ٥٥٧ لغة . الورقة ١ .

للزبيدي [1] ، ومختصر الزاهر للزجاجي ، ومختصر سيرة ابن اسحاق لابن هشام ، ومختصر الواضحة للفضل بن سلمة [2] . » فتأبدت بهذا القول شهادة الزجاجي بنفسه حين جعل مختصره فوق الأصل .

٦ — كتاب اشتقاق اسماء الله تعالى وصفاته المستنبطة من التنزيل وما يتعلّق بها من اللغات والمصادر والتأويل .

جاء في إشارة التعيين أن اسم هذا الكتاب هو « شرح اسماء الله الحسنى » وأكثر الذين تحدثوا عن الزجاجي لم يشيروا الى هذا الكتاب ، وقد عدّ صاحب كشف الظنون واحداً وثلاثين عالماً ممن ألّف تحت هذا العنوان ولم يشر الى الزجاجي بينهم بل لم يذكر بينهم من مات قبل سنة ٣٨٨ ، وعلى هذا فان الزجاجي قبلهم جميعاً في السبق الى هذا النوع من التأليف [3] .

ويعرّف الزجاجي بكتابه هذا فيقول في خطبته [4] : « هذا كتاب أفردته لشرح اشتقاق أسماء الله عز وجل وصفاته المذكورة في الأثر أن من أحصاها دخل الجنة حسب مارواها أهل العلم واستنبطوا بعد الرواية بشواهد من كتاب الله عز وجل فاستخرجوها منه لئلا يعارض فيها شك ، ولا يختلج في الصدور زيغ

---

(١) كتاب العين المشهور والذي ينسب للخليل ، اختصره اختصاراً حسناً ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي صاحب طبقات اللغويين والنحويين ، المتوفى سنة ٣٧٩ هـ .

(٢) الواضحة في تجويد الفاتحة ، قصيدة داليّة في اثنين وعشرين بيتاً للشيخ برهان الدين بن ابراهيم الجعبري المتوفى سنة ٧٣٢ . وقد اختصرها فضل بن سلمة .

(٣) يجب أن نشير إلى أن ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ قال في مقدمة كتابه « تفسير غريب القرآن » : « نفتتح كتابنا هذا بذكر أسماء الله الحسنى وصفاته العلى فنخبر بتأويلها واشتقاقها ... » وبذلك يكون سابقاً لغيره ولكنه لم يفرد ذلك بالتأليف كما فعل الزجاجي .

(٤) من هذا الكتاب نسخة في دار الكتب المصرية رقمها / ٣ ش لغة وهي في ١٤٩ ورقة وصورتها في معهد المخطوطات (لغ / ٣١٢) وهي من رواية أحمد بن محمد بن سلمة الغسّاني عن أستاذه الزجاجي . وسمعها منه علي بن الحسين الربعي .

في التصديق بها ، على مذاهب (أهل) العربية العلماء باللغة ، العارفين بأساليب كلام العرب واشتقاقه وتصاريفه ، غير عادل عن مذهب العرب في ذلك خاصة . وأختم الكتاب بالفرق بين الاسم والنعت ، ووجوه النعت في كلام العرب ، ومجاري صفات الله عز وجل وموقعها من ذلك ، وذكر من قال بالاشتقاق ومن أبى ذلك والردّ عليه وبالله التوفيق » (انظر صورة الأصل) .

٧ — كتاب الابدال والمعاقبة والنظائر :

وهو كتاب يبحث في تبادل الحروف بعضها مع بعض وتعاقبها وتناظرها [١] .

٨ — كتاب اللامات :

ذكره كثير ممن ترجموا للزجاجي كالسيوطي [٢] وبروكلمان [٣] وغيرهما ، وهو كتاب جيد يبحث في اللامات ومواقعها في كلام العرب . قال الزجاجي في خطبته : « هذا كتاب مختصر في ذكر اللامات ومواقعها في كلام العرب وكتاب الله عز وجل ومعانيها وتصرّفها والاحتجاج لكل موقع من مواقعها ، وما بين العلماء في بعضها من الخلاف . وبالله التوفيق [٤] . » (انظر صورة الأصل) .

٩ — شرح كتاب الألف واللام للمازني :

ذكر السيوطي [٢] هذا الكتاب في جملة كتب الزجاجي وأشار اليه صاحب عيون التواريخ [٥] كما أشار اليه صاحب كشف الظنون حين تحدث عن كتاب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) منه نسخة في اسطمبول مصوّرة ضمن مجموع في جامعة القاهرة / ٢٢٩٦٧ وفي معهد المخطوطات (فيلم ٣٥٦ / ٢ نحو) .

(٢) بغية الوعاة : ٢٩٧ والأشباه والنظائر ٢ : ٢٢٨

(٣) G. A. L . الذيل ١ : ١٧١

(٤) من « اللامات » نسخة في اسطمبول وصورتها في معهد المخطوطات (فيلم / ٧٩٢) ونحن الآن بصدد تحقيقه للنشر قريباً ان شاء الله .

(٥) عيون التواريخ . المخطوط . ورقة : ٣١٧

الألف واللام للمازني[1] . ولم أقع على نسخة منه ولا وجدت أحداً وصفه أو تحدّث عنه .

١٠ — المخترع في القوافي :

ذكره السيوطي وقال انه وقف عليه[2] وذكره صاحبا « عيون التواريخ » و « كشف الظنون »[3] . وأما ابن النديم فلم يذكر للزجاجي سواه واكتفى من عنوانه على « القوافي » فقط فقال « وله – للزجاجي – من الكتب كتاب القوافي »[4] وعدّهما محقق الجمل كتابين ثم استدرك فقال عند ذكره كتاب القوافي : « ولعله هو المخترع . »[5] وهذا هو الأرجح لأنه ما من أحد جمع بين ذكر الكتابين .

١١ — كتاب الهجاء :

لم يشر أحد إلى هذا الكتاب بين مؤلفات الزجاجي سوى بروكلمن . إلا أن الزجاجي نفسه أشار إليه في كتاب الجمل ، فقال في باب الأفعال المهموزة : « وقد ذكرت عامتها في كتاب الهجاء . » ونقل ذلك عنه ناشر الجمل ولم يزد عليه شيئاً .

١٢ — كتاب المجموع في معرفة أنواع الشعر وقوافيه :

جاء اسم هذا الكتاب منسوباً الى الزجاجي في فهرسة ابن خير[6] . ونقله عنه محمد بن أبي شنب محقق الجمل . ولم يذكره أحد سواهما .

مازن المبارك (يتبع)

(١) كشف الظنون ٢ : ١٣٩٦ .
(٢) بغية الوعاة : ٢٩٧ والأشباه والنظائر ٢ : ٢٢٨ .
(٣) كشف الظنون ٢ : ١٦٢٥ .
(٤) الفهرست : ١١٨
(٥) مقدمة الجمل .
(٦) فهرسة ابن خير : ٣١٤ .

كتاب شرح الألفات

لأبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري النحوي

-٢-

فان سأل سائل ، عن الف الوصل ، فقال همزةٌ هي أم ألف ، قيل له ، قال قطرب [(١)] ، هي همزةٌ ، كثر الكلام بها فتركت [الورقة الـ ١١/ب] لأنّ الألف ، لا تحتمل الحركة ، وهي ، في قال ، وباع ، وعمادٍ ، وحمارٍ ، ألفٌ لا [يشك] فيها ، فلو كانت في ، اضرب ، الفاً ، ما تحركت ، وردّ أبو العباس [(٢)] ، أحمد بن يحيى ، هذا القول ، عليه وقال ، لو كانت همزة ، لثبتت في الابتداء ، والوصل ، كما ثبتت ، همزة أمرٍ ، وإصرٍ ، وأذنٍ ، في كل حال . وقال الفراء [(٣)] ، وسيبويه [(٤)] ، ومن أخذ بقولها ، هي ألفٌ ، إذا كانت

---

(١) هو محمد بن المستنير ، المتوفى سنة ٢٠٦ / ٨٢١ م ، له ترجمة في الفهرست (ص : ٧٨) ، والوفيات (رقم ٦٤٦) وبغية الوعاة (ص : ١٠٤) وتاريخ ابي الفداء (ج ٢ ص ٢٨)

(٢) هو ثعلب من مشاهير نحويي الكوفة ، ولد سنة ٢٠٠/٨١٥ م ، وتوفي سنة ٢٩١/ ٩٠٣ م ، روى عنه ابن الانباري . له ترجمة في الفهرست (ص:١١٠) والوفيات (رقم ٤٢) ومعجم الادباء (ج ٢ ، ص ١٣٣) وغاية النهاية (ج ١ ، ص ١٤٨ رقم ٦٩٢) وبغية الوعاة (ص : ١٧٢) وتاريخ ابي الفداء (ج ٢/ ٦٠)

(٣) هو ابو زكريا ، يحيى بن زياد ، كان ابرع الكوفيين وأعلمهم ، توفي سنة ٢٠٧/٨٢٢ م ، له ترجمة في الفهرست (ص : ٩٨) والوفيات (رقم ٨٠٨) ومعجم الادباء (ج ٢٠ . ص ٩) وبغية الوعاة (ص ٤١١) وتاريخ ابي الفداء (ج ٢ ص ٢٨) وغاية النهاية (ج ٢ ص ٣٧١ رقم ٣٨٤٢) .

(٤) هو عمرو بن عثمان بن قنبر ، صاحب « الكتاب » ، توفي سنة ١٧٧/٧٩٣ م (مع اختلاف) وله نيفٌ واربعون سنة ، راجع الفهرست (ص : ٧٦) والوفيات (٥١٥) ومعجم الادباء (ج ٦ ص ٨٠) والبغية (ص ٣٦٦) وغاية النهاية (ج ١ ص ٦٠٢ رقم ٢٤٥٩)

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

صورتُها ، صورتَها ، وانما دخلت الألف ، في اضرب ، واصنع ، وما أشبهها ، من أجل أن الضاد والصاد ساكنتان [١] ، لايمكن الابتداء بهما ، فدخلت الألف ، ليقع الابتداء بها ، والاعتماد عليها .

وقال البصريون ، كسرت الألف ، في اضرب ، لسكونها ، وسكون [١] الضاد ، وكذلك كل الفِ للوصل ، تبتدأ مكسورةً ، علةُ كسرها ، أنها ساكنة في الوصل ، لقيَها حرفٌ ساكن ، وضُمت عندهم ، في أُعبُدْ ، وأُشكُرْ ، لأنَّ عين الفعل مضمومة ، فلما احتيجَ الى حركة الألف ، للساكن الذي لقيَها ، ضمّوها بضمِ ما بعدها ، وتنكبوا الكسرةَ ، كراهيةَ الانتقال من كسرٍ الى ضمٍّ .

والف الاستفهام ، تعرف بمجيء أم بعدها ، أو يحسن هل في موضعها ، وهي مفتوحة أبداً ، كقوله تعالى ، أفترى على [٢] الله كذبا ، ألف أفترى ، ألف استفهام ، لقوله ، أم به جِنة ، فاتيان أم بعدها ، يدل على أنها ألف استفهام ،

وكذلك ، أستغفرت [الورقة الـ ٥/ ظ] لهم أم لم تستغفر [٣] لهم ، أطّلع [٤] الغيب ، أتّخذَ ، أصطفى البنات على [٥] البنين ، (لأنه بعد [٦] ،

---

(١) في العبارة نوع تخليط يجب الانتباه اليه وذلك ان الاصل في همزة الوصل عند نحوي البصرة ان تكون متحركةً مكسورةً ، وانما تضم في أدخل ونحوه لاستثقال الخروج من كسرٍ الى ضمّ ؛ وعامة الكوفيين ذهبوا الى أنها تتبع عين الفعل وذهب بعضهم الى انها تكسر لالتقاء الساكنين (راجع الانصاف في مسائل الخلاف ص ٣٠٩ – ٣١٢ ، طبعة ليدن . سنة ١٩١٣ م) .

(٢) س ٣٤ ، ع ١ ، الآية الـ ٨ .

(٣) س ٦٣ ع ١ ، الآية الـ ٦

(٤) س ١٩ ، ع ٥ ، الآية الـ ٧٨ .

(٥) س ٣٧ ، ع ٥ ، الآية الـ ١٥٣ .

(٦) ورد فوقه – « صح » – .

أم لكم) سلطان مبين [١] ؟

وقرأ ، نافع [٢] ، لكاذبون [٣] اصطفى ، باسقاط الألف ، في الوصل ، وبكسرها في الابتداء ، يجعلها الفَ وصلٍ ، ويوجّه [٤] ، اصطفى ، الى انه حكاية من أهل الكفر ، الا [٥] انهم من إفكهم ، ليقولون اصطفى البنات ؟

والاستفهام من الله عز وجل ، تقرير ، [٦] وتوبيخ ؟

والأصل ، في هؤلاء الأفاعيل ، أإصطفى [٧] ، أإفترى ، أالشكر [٨] ، أاطلع ، فذهبت ألف الوصل ، لا تثبت في اللفظ ، إلا [عند الابتداء بها] .

وقوله ، ألم أحسب [٩] الناس أن يتركوا ، الألف في أحسب ، الف استفهام ، تحسن هل في موضعها ، وكذلك ما أشبه هذا .

وكل ألفٍ ، تدخل على حرف عطفٍ ، أو حرف جحدٍ ، في كتاب الله عز وجل ، فهي ألف التقرير ، والف التقرير ، الف الاستفهام ، هي كقوله [١٠] تعالى ، أو آباؤنا الأولون [١١] ، أو لو كان [١٢] آباؤهم ، أو لم يسيروا [١٣]

http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) س ٣٧ ، ع ٥ ، الآية الـ ١٠٦ .

(٢) توفى سنة ١٦٩ (على اختلاف الاقوال) انظـــر غاية النهاية (ج ٢ ص ٣٣٠ ، رقم ٣٧١٨) .

(٣) س ٣٧ ، ع ٥ ، الآية الـ ١٥٢ .

(٤) انظر تفسير الطبري (ج ٢٣ ص ٦١) والنيسابوري على هامش المرجع المذكور ، ومفاتيح الغيب (ج ٧ ص ١٦١ ، طبعة الشرقية سنة ١٣٠٨)

(٥) الأولى ان يُحذف .

(٦) انظر التاج (ج ١٠ ص ٤٢٢) .

(٧) الاصل – « اصطفى » – .

(٨) كذا . ولم يرد في ما تقدم .

(٩) س ٢٩ ، ع ١ ، الآية الـ ١ – ٢ .

(١٠) الاصل – « كقولك » – .

(١١) س ٣٧ ، ع ١ ، الآية الـ ١٧ .

(١٢) س ٢ ، ع ٢٠ ، الآية الـ ١٧٠ .

(١٣) س ٢٠ ، ع ١ ، الآية الـ ٩ .

في الأرض ، ألم يأتكم نذير (١) ، ألست (٢) بربكم ، هذا وما أشبهه .

وألف المخبر عن نفسه ، وتُعرف بأنا وغدٍ ، (تُضمّ اذا) كان ماضي فعلها ، على أربعة أحرف وتُفتح اذا كان الماضي على < أقلّ أو > أكثر من أربعة أحرف .

فتبتدئ ، قوله عزّ وجل ، ولكن اعبد (٣) الله ، أعبد ، بالفتح ، لأنها ألف المخبر عن نفسه ، فيقال في امتحانها ، أنا غداً ، وفتحت (لأنّ الماضي ، أقلّ من (٤)) ، [الورقة الـ ٥/ب] أربعة ، وهو عَبَد ؛

وكذلك ، استخلصه لنفسي ، ألفه ، ألف المخبر عن نفسه ، يحسن انا وغداً ، في امتحان فعلها ، اذا أنت ، كقول القائل ، استخلصه أنا غداً ، وابتدأت بالفتح ، لأن الماضي ، استخلص ، وعدّة حروفه أكثر من أربعة أحرف ؛

وتبتدئ ، قوله تعالى ، افرغ عليه (٥) قطرا ، بضم الألف ، لأنها الف المخبر عن نفسه ، في فعل ماضيه ، أربعة أحرف ، وهي أفرغ ، فألف المخبر عن نفسه ، لا تكون أبداً ، الا أوّل المستقبل ، لأنها احدى دلائل [الاستقبال ، فمحال (٦) ، أن تحل] ماضياً أو دائماً ؛

والف المخبر في فعل ما لم يسمّ فاعله ، لا تكون إلا مضمومة ، قلت حروف الماضي ، أو كثرت ، كقوله ، اكرم ، أو اضرب ، واستخلص ؛

وألف ما لم يُسمّ فاعله ، تكون في أربعة أمثلة ، في افعل ، وافتعل ،

(١) س ٦٧ ، ع ١ ، الآية الـ ٨ .
(٢) س ٧ ، ع ١٢ ، الآية الـ ١٧٢ .
(٣) س ١٠ ، ع ١١ ، الآية الـ ١٠٤ .
(٤) ورد فوقه « صح » .
(٥) س ١٨ ، ع ١١ ، الآية الـ ٩٦ .
(٦) ما بين القوسين مخروم والواضح « ان يحل » .

واستفعل ، وانفعل ، وقد تكون في فعل ، غير لازمةٍ له ؛

فأما ألف أفعل ، فألف (١) أخرج ، وأكرم ، وأحسن ؛

وألف افتعل ، ألف أكتسب ، وأصطنع ، وأضطُرَّ (٢) ، وأجتثَّ (٣) ، من أجل أنّ الأصل ، في اضطُرّ ، اضطرر ، و < في اجتُثّ > أجتثِث ، فأبدلوا من التاء ، طاءً ، لأنها أشبه بالضاد ، من التاء (٤) فاستثقلوا [الجمع بين حرفين] متحركين ، من جنسٍ واحدٍ وأسكنت الراء الأولى ، وأدغموها في التي بعدها وكذلك سكنوا الثاء (٥) الأولى ، وأدغموها ، في (٦) الثاء ، الثانية ؛

وألف استفعل ، الف استضعف ، واستخرج ، وما أشبهها [الورقة الـ ٤/ظ]

وألف انفعل ، الف انقطع بالرجل ، والف فعل ، ألف آخذ ، وأكل ، و (أمر ، وليست لازمةً (٧)) هذا المثال كله ، كلزوم أولئك الألفات ، مثلها ، من قبل انك تقول ، ضُرِب ، وشُتِم ، وذُعِر ، فلا تجد فيهن ألفاً ؛

واعلم أن الف استفعل ، وانفعل ، وافتعل ، الف ما لم يسم فاعله ، من الف الوصل ، اذا كنت تقول ، في حال تسمية الفاعل ، استفعل ، وافتعل ، وانفعل ، فلا تخل عليك أنها الف وصلٍ ، مبنيةٌ على عين الفعل .

والف أفعل ، الف ما لم يسمّ فاعله ، من الف القطع ، من قبل انك اذا سميت الفاعل قلت ، اخرج فلان الشيء ، فوضح لك الف قطع ؛

والف فُعِل ، الف ما لم يُسَمّ فاعله ، من ألف الأصل ، لأنك [تسمي] الفاعل ، فتقول ، أَخَذَ ، وأَمَرَ ، فلا يغمض عليك ، أنها ألف أصلٍ ؛

ARCHIVE
http://ArchiveBeta.Sakhrit.com

---

(١) في الاصل « والف » .

(٢) في الاصل « اصطبر » .

(٣) في الاصل « اجتثت » بفك الإدغام .

(٤) في الاصل « الثاء » .

(٥ - ٦) في الاصل « الثاء » .

(٧) ورد فوقه « صح » .

وانما ابتدئت ؛ الف ما لم يسمّ فاعله ، بالضم ، لدلالة الفعل ، الذي هي[(١)] أوّله ، على فاعل[(٢)] ومفعول ، اذ ضُرب ، لا يخلو[(٣)] من دلالةٍ على ضارب ومضروب ، فكان ضمّ أوّله دلالةً على تضمّنه[(٤)] معنيين ، كما قالوا ، زيدٌ حيثُ[(٥)] عمرو ، فالزموا حيث[(٦)] ، الضمة لمقامها مقام محلين ، كقولك في مكان فيه عمرو ، وقالوا ، نحن [قمنا] فضموا نحن في جميع الأحوال ، لتضمنه معنى التثنية ، ومعنى الجمع ، إذ كان الرجلان يخبران[(٧)] عن أنفسهما ، فيقولان ، نحن قمنا ، ويقول الرجال (مثال ذلك[(٨)]) .

[الورقة الـ ٤/ب] باب[(٩)] ذكر الألفات المبتدأة في الأسماء

اعلم أنّ ألفات الأسماء ، أربع ، ألفُ أصلٍ ، وألفُ قطعٍ ، وألف وصلٍ ، وألف استفهام ؛

فألف الأصل ، تعرف بمثل حركاتها في الفعل[(١٠)] ، ان رفعاً فرفعاً ، وان نصباً فنصباً ، وان خفضاً فخفضاً ، كقوله عزّ وجلّ ، وأخذتم على ذلكم[(١١)] إصري ، ألف إصري ، الف أصلٍ ، لأنّها فاء من الفعل ثابتةٌ في التصغير ، ووزن إصرٍ من الفعل ، فِعلٌ فاعلم ، ويقال في تصغيره أُصَيْراً ، باستينافها بالقطع ؛

(١) هامش الاصل « احسبه ُبن » ، قلت هذا التصويب ظاهر الخطأ .
(٢) في الاصل « او » .
(٣) في الأصل « لا يخلوا » .
(٤) حروف مخرومة .
(٥) في الاصل « جثيت » .
(٦) في الاصل « جيث » .
(٧) في الاصل « على » .
(٨) ورد فوقه « صح » .
(٩) نسخة برلين « ذكر الالفات الخ
(١٠) في الاصل — « الوصل » —
(١١) س ٣ ، ع ٩ ، الآية الـ ٨١ .

وكذلك ، قل اذن (١) خيرٌ لكم ، ألف اذن ، ألف أصلٍ تبتدئ بالضم على مثال فُعلٍ ، والألف فاءٌ من الفعل ، ويقال في تصغيرها ، هذه أُذينة ، فثبتت الألف فيها ، وكذلك ، وكان (٢) أمر الله ، ألف أمر الله ، الف أصلٍ ، تبتدئ بالفتح ، لأنها كالزاي في زيدٍ ، وزن أمرٍ ، من الفعل ، فَعْلٌ ، فالألف فاءٌ من الفعل ، وتصغير أمرٍ ، أُميرٌ ، فالألف ثابتةٌ فيه ، ومثله ، أبٌ ، لأنّ وزنه فَعَلٌ ، وأصله أبوٌ (٣) ، وتصغيره ، أُبَيٌّ ، وأمٌّ ، لأنّ وزنها فُعْلٌ ، وتصغيرها أُميمة ؛

وألف القطع في الأسماء ، تكون أوّل الاسم المفرد ، وأوّل الجمع (٤) ، فالتي يبتدأ بها في أوّل الاسم المفرد ، تعرف بثباتها في التصغير ، وبأنها [الورقة الـ ٣ / ظ] فاء من الفعل ، كقولك ، هو أحسن من غيره ، الف أحسن ، الف قطع (في الاسم المفرد ، (٥) لأنّ) وزنه من الفعل ، أفعل ، فألفه غير فاء من الفعل ، وتقول في تصغيره ، أُحيسن ، فتوجد الألف فيه ، ومثله ، أكبر ، وأعقل ، وأنبل وأجمل ، وأحمد ، وأحزم ، وأصبغ ، وما أشبههنّ .

وألف القطع في الأسماء المجموعة ، تعرف بحسن دخول الألف واللام عليها ؛ وانها ليست فاءً من الفعل ، ولا عيناً ، ولا لاماً ، كقوله تعالى ، مختلف (٦)

---

(١) س ٩ ، ع ٨ ، الآية الـ ٦١ .
(٢) س ٤ ، ع ٧ ، الآية الـ ٤٧ .
(٣) في الاصل « الف » .
(٤) جاء في اللسان ما نصه : وقال ابو بكر بن الانباري ، ألف القطع ، في اوائل الاسماء ، على وجهين ، احدهما ان تكون في اوائل الاسماء المنفردة ، والوجه الآخر ، ان تكون في اوائل الجمع ، فالتي في اوائل الاسماء ، تعرفها بثباتها في التصغير ، بان تمتحن الالف فلا تجدها فاء ، ولا عينا ولا لاماً ، وكذلك فميّزوا باحسن منها الخ (اللسان : ج ٢٠ ص ٣١٣) .
(٥) ورد فوقه – « صح » – .
(٦) س ١٦ ، ع ٩ ، الآية الـ ٦٩ ، س ٣٥ ع ٤ ، الآية الـ ٢٨ .

ألوانه ، ألف ألوان ألف قطع في الجمع من الأسماء ، لأنّ وزن ألوان ، أفعال ، فالألف غير فاء ، ولا عين ، ولا لام ، وتدخل عليها الألف واللام ، فتقول الأوزان [1] ، وكذلك ، ألسنة والألسنة [2] ، وأبيات ، والأبيات ، وأثواب ، والأثواب .

وألف القطع في هذين النوعين ، مفتوحة ، ومتى وردت عليهم مكسورةً أو مضمومةً كانت بمنزلة المفتوحة ، فاذا كانت أول الاسم الاعجمي ، ألفٌ فهي ألف قطع ، وتعرف الاسم الأعجمي [بامتناعه] من الاجراء [3] ، وبأنه معدوم من عتيق كلام العرب ، الا ان تخلوه عن العجم ، كقولك ابراهيم ، واسماعيل ، واسحق ، وإدريس ، وهي مكسورة في الوصل والقطع ، كسر بناء ، لازم غير محكوم عليها ، بأنها ألف أصل ، إذ كان الأعجمي مجهول الاشتقاق ، والف استبرق [4] أيضاً ، ألف قطع في الاسم الأعجمي ، وان كان مجرى (لأنّ العرب أخذته [5]) [الورقة ال ٣/ب] عن العجم ، وأجرته لتنكيره ، ومنعت ابراهيم ودونه الاجراء [6] ، للتعريف والعجمة ؛ فان أتت الألف في أول الأعجمي مفتوحة أو مضمومة فهي أيضاً بمنزلة المكسورة ، ألف القطع ؛

(١) كذا ولو كان « الالوان » لكان اوفق بالسياق .
(٢) في اللسان – « السِّنَة » – مصحفا (ج ٢٠ ص ٣١٣) .
(٣) في الاصل : الاجزاء .
(٤) زعم بعضهم انه استفعل من البرق (انظر الملائكة : ص ٢٢ مع الحاشية) ونسبه المرّي الى الزجاج والذي حكى عنه صاحب اللسان ينفيه (انظر اللسان ج ١١ ص ٢٨٥ .
(٥) ورد قوله – « صح » –
(٦) في الاصل : الاجزاء .

وألفات الوصل ، في الأسماء ، تسعة [١] ، ألف ابن ، وابنة ، واثنين ، واثنتين [٢] ، وامرئ ، وامرأة ، واسم ، واست ، والرجل .

فثمانية منها ، تعرف بسقوطها في التصغير [٣] ، وتكسر في الابتداء ، فتقول في تصغير <ها> : بُنَيٌّ ، وبُنَيَّة ، وثُنَيَّان ، وثُنَيْتان ، ومُرَيٌّ ، ومُرَيْئة ، وسُمَيّ ، وسُتَيهة .

والتاسعة تعرف بدخولها مع اللام للتعريف ، وسقوطها عند [٤] التنكير ، كقولك رجلٌ ، والرجل ، وطفلٌ ، والطفل ، وحمدٌ ، والحمدُ [٥] ؛

وأما ألف ابن ، فكسرت لأن أصله أمرٌ من بنيت ، والف اثنين كسرت لأنّ أصله أمر من ثنيت ، اثني [٦] على مثال ، افض من قضيت ، إرم من رميت ، والف اسم كسرت ، لأن أصله أمرٌ من سميت ، وألف امرئ لم يصلح بناؤها على الثالث إذ كان يضم في الرفع ، ويفتح في النصب ، ويكسر في الخفض ، فيقال : قام امرؤٌ ، ورأيت امرأً ، ومررت بامرئٍ ، فلما لم يصلح ذلك ، ألحقت بأخواتها من ألف ابن ، وابنة ، واثنين ، واثنتين ، وألف است أيضاً ملحقة بأخواتها .

وألف الرجل تبتدأ بالفتح ، لأنها دخلت مع اللام للتعريف ، فشبّه ألْ ،

---

(١) هذه العبارة لخّصها صاحب اللسان والتاج ، فيما حكياه عن ابن الانباري (راجع : اللسان ج ٢٠ ص ٣١٣ ، والتاج ، ج ١٠ ص ٤٢٣)

(٢) اللسان والتاج : ابنين وابنتين ، مصحّفاً .

(٣) اللسان والتاج : « ويحذف في الوصل » .

(٤) في المرجعين : وهي مفتوحة في الابتداء ، ساقطة في الوصل .

(٥) من هذا الباب أيم الله في القسم قال ابن خالويه : وليس في كلام العرب ، الف وصل مفتوحة الا في هذين ، يعني حرف اللام للتعريف وأيم الله (راجع كتاب ليس : ص ١٢ ، ٦٩ طبعة مصر سنة ١٣٢٧)

(٦) في الاصل – اثنى –

بِهَلْ ، وبَل ، ومَن ، وكم ، فان قال قائل ، فهلاّ (١) كسرت وشبّهت بإن [الورقة الـ ٢/ظ] وإن (٢) ، فقل كرهوا أن يكسروها ، فتلتبس بألف إبن ، وإثنين ، وهي مخالفة (لما من جهة (٣) امتحانها) فآثرنا فتحها (٤) لذلك ؛

وألف الاستفهام ، تمتحن في الأسماء ، بمثل الذي تعرف به في الأفعال ، فان سأل سائل ، عن قوله عز وجل ، قل آالذكرين حرم أم الانثيين (٥) ، قيل له ، الألف في آالذكرين ، ألف استفهام [بدليل] أم بعدها ، وانما زيدت المدّة ليفرّق بها بين الاستفهام والخبر ، من أجل أنهم لو قالوا ، ألذكرين حرّم ، بغير مدّ ، لم يقع بين الاستفهام والخبر فرق ، وكذلك ، «الآن وقد عصيت (٦) ، وءالله (٧) خير < أمّا يشركون > .

فان قال قائل ، فلِمَ لم يزيدوا ، مدّة في قوله ، أفترى ، والفه ، الف استفهام كالف الذكرين ، قيل له ، ألف الخبر افترى ، مكسورة ، وألف الاستفهام مفتوحة ، فانفتاح الألف فرّق بينهما في الاستفهام والخبر ، فأغنى عن المدّة ، وألف الذكرين ، مفتوحة في الاستفهام والخبر ، فمن أجل ذلك ، فرّقوا بينهما في المدّة ؛

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) في الاصل – فهل –
(٢) ترقيع
(٣) ورد فوقه – صح –
(٤) لفظ ابن خالويه : . . . . فتحت لانها خالفت بدخولها موضعها ، فخالفوا بحركتها حركتها ، لان الف الوصل ، انما تدخل على الافعال وعلى الاسماء ، وهي فيها مكسورة أو مضمومة (كتاب ليس : ص ٦٩ ، ١٢)
(٥) س ٦ ، ع ١٧ ، الآية الـ ١٤٤
(٦) س ١٠ ، ع ٩ ، الآية الـ ٩١
(٧) س ٢٧ ، ع ٥ ، الآية الـ ٥٩

واعلم أن ألف الدعاء(١) ، كألف الاستفهام في اللفظ ، تعرف بأن يحسن في موضعها ، يا ، كقولك ، أزيد أقبل ، معناه ، يازيد أقبل ، من ذلك ، قرأ نافع ، وغيره(٢) ، أمن هو قانت(٣) بالتخفيف في الميم ، كأنه(٤) يا من هو قانت ؟

باب(*) الألفات المستأنفات في الأدوات وما تجري في مجراها من المكاني وأسماء الاشارات

اعلم أن الألفات ، المبتدأة ، في الأدوات المحضة ، أصلية ، حظها الكسر ، كقولك (إن ، وإذا ، وإمّا ، وإلاّ ، وإذ) [الورقة الـ ٣٥/ب] وإذن(٦) وإلى . وقد تأتي ، مفتوحة كقولك ، أمّا ، وأما(٧) ، وأنا ، وتعرف الأدوات ، بافتتاح الكلام بها ، وبأنها لا يصحبها خبرٌ لها يرفعها ، ولا يقع بهما خبرٌ تخبر عنه ، فينصبها ولا يدخل عليها حرف خفض ، فيكسرها .

وألف الاسم المحوّل ، من الأداة أصلية ، لا تكون إلا مفتوحة ، كقولك أنّ ، وأنما ، وأن ، ويدلك على أنهنّ أسماء ، دخول عوامل الرفع والخفض عليهن ، كقولك يعجبني أنك قائم ، وان تقوم ، موضعها رفع بالاعجاب ،

(١) يعني الف النداء
(٢) منهم ابن كثير وحمزة (مفاتيح الغيب ج ٧ ص ٢٢٨) وانظر تفسير الطبري (ج ٢٣ ، ص ١١٨/٧)
(٣) س ٣٩ ، ع ١ ، الآية الـ ٩
(٤) هذا قول الفرّاء . وفي التخفيف ايضاً ان تكون الالف ، الف استفهام ، داخلة على مَن (انظر مفاتيح الغيب ج ٧ ص ٢٢٨)
(٥) هذا الباب اغفله اهلوردت في فهرسته
(٦) في الاصل : اذا
(٧) في الاصل : إما

واعلم أنك قائم ، وان تقوم ، موضعها نصب بالعلم ، وتقول فكرت في أنك قائم ، وفي أن تقوم فيخفضها بقي يكشف لك أنهن محولات عن الأدوات سقوط الإعراب عنهن ، إذ العوامل لا تؤثر فيهن أثراً من ضم ولا كسر ولا فتح ؛

وألف المكاني الأصلية المرفوعة ، تستأنف بالفتح ، كقولك أنا ، وأنت ، وأنتما ، وأنتم ، وأنتن ، وقد تأتي في مواضع الخفض عند الضرورة ، كقولك إياك أنت موضع أنت خفض بالكاف ، وكذلك أنت كأنا [1] ، الكاف خافضة أنا ، وتأتي أيضاً في موضع النصب ، كقولك ضربتك أنت ، موضع أنت نصبٌ على التوكيد للكاف المنصوبة إلا ان الأكثر فيهن والأغلب عليهن الوقوع في موضع اياك نعبد ، ومثله اياكما ، واياك ، واياكن ، وربما وقعت في موضع الخفض كقولهم أنا كأنك ، وأنت كأني ، قال الشاعر [2] :

[الورقة الـ ٢٢ / ظ]

فاحسن [3] وأجمل في أسيرك انه ... ضعيف ولم يأسر كأياك آسر [4]

والأغلب عليهن التعرف [5] بالنصب ؛

وألف أسماء الإشارات ، أصلية تستأنف بالضم ، كقولهم أولياء [6] ، وأولئكم ، وأولئكن ، وألف وأولي مال ، أصلية تبتدأ بالضم للبناء ، وكذلك

(١) الاصل : كأنت

(٢) هذا الشاعر لم يطلعوا عليه والبيت استشهد به الفراء وهشام عن الكسائي ، وثعلب في اماليه وابن عصفور في كتاب الضرائر (راجع خزانة الادب : ج ٤ ص ٢٧٤)

(٣) في رواية : فاجمل وأحسن

(٤) في الاصل : أسير

(٥) ترفيع

(٦) يُمَدّ ويُقصر ، وهو تصغير أول

ألف أولات ، وواحد أولي ، ذو (١) ، وواحد أولات ، ذات (٢) ، وهذان الحرفان ليسا من أسماء الإشارة ، إذ كان أولو مال بمعنى أصحاب مال وأولات بمعنى صاحبات يقاس (٣) على هذا ما يرد من هذا الباب إن شاء الله تعالى ، (٤)

تمّ كتاب شرح الألفات للأنباري النحوي ، رضي الله عنه ، بحمد الله وعونه

(عبارة من كتاب الوقف والابتداء)

هذا نصّ ما ورد ، في حاشية الورقتين الـ ١١/ظ — الـ ١٠/ب ، من نسخة الأصل :

«من كتاب الوقف والابتداء ، لابن الأنباري ، أيضاً : كان الأصل في قولهم ، ايت يا رجل ، ائت (٥) يا رجل ، ائتوا (٦) يا رجال ، فجعلوا الهمزة الساكنة ياء ، لسكونها وانكسار ما قبلها ، وذلك ان العرب ، تجعل الهمزة ياء ، اذا انكسر ما قبلها و كانت ساكنة ، ويجعلونها ألفاً اذا سكنت وانفتح ما قبلها ، ويجعلونها واواً اذا سكنت وانضمّ ما قبلها ، وأما الهمزة التي سكنت وانكسر ما قبلها ، فنحو الذيب ، كان الأصل فيه الذئب ، فأبدلوا من الهمزة ياء (٧) ، لسكونها وانكسار ما قبلها ، وأما حكمنا على الذيب بالهمز ،

(١) في الاصل : ذووا ، وفي نسخة برلين : ذى

(٢) في الاصل : ذاتي

(٣) في نسخة برلين : يقاس على ما شرحنا ، ما يرد مما يشاكله ان شاء الله تعالى

(واجع فهرس اهلوردت ، ج ٦ ص ٢٠٠)

(٤) ورد هنا ما نصه : بلغت المقابلة

(٥) في الاصل : ايت

(٦) في الاصل : ايتوا

(٧) خرق وتخليف

لأنه مأخوذ من تذاءب الريح و < هو > مجيئُها من كل وجه ، قال ذو (١) الرمة :

فبات يشئزه (٢) ثأد (٣) وسهّده (٤) تذاؤب (٥) الريح والوسواس والهضب (٦)

فمعنى يشئزه (٧) ، يشخصه (٨) ويُقلقه (٩) ، والثأد (١٠) ، الندى ، وتذاؤب الريح مجيئها من كل وجه ، والهضب ، الدفعات من المطر ، وقال ذو الرمة (١١) أيضاً :

غدا كأنّ له جنّاً تذاءبه (١٢) من كل أقطاره يُخشى ويُرتقَبُ

فمعناه كأن به جنًّا يأخذه من كل وجهٍ ؛

وأما الهمزة التي جعلت ألفاً ، لانفتاح ما قبلها ، فكقوله ، آمن الرسول ، كان الأصل فيه أأمن الرسول ، فجعلوا الهمزة الساكنة ألفاً ، لانفتاح ما قبلها ، وذلك أنها اذا سكنت ضعفت ، فنقلت الحركة عليها ، وكذلك ، يا بني آدم ، كان الأصل فيه أأدم ، فجعلوا الهمزة الساكنة ألفاً لانفتاح ما قبلها .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) ديوانه : ص ٢٢ ، ب ٨٤ ، واللسان : ج ٧ ص ٢٢٨ ، ج ٨ ، ص ١٤١ ، والتاج : ج ٢ ، ص ٣٠٩ ، ج ٤ ، ص ٢٦٨ ، ج ٤ ص ٤٣

(٢) في الاصل : يشره

(٣) في الاصل : ثأد ، وبخط الزبيدي في التـاج : ثاه (ج ١ ص ٢٤٨) وكلاهما مصحّف

(٤) الرواية السائرة : يسهره

(٥) في رواية : تذوّب

(٦) جمع هاضب مثل تابع وتبع عن ابي عمر ، ويروى « الهيضب » كعنب (التاج ج ١ ص ٥١٥)

(٧) في الاصل : يشثره

(٨) في الاصل : سحصه ، بلا نقط

(٩) في الاصل : يقلقله

(١٠) في الاصل : الثاد

(١١) ديوانه : ص ٢٢ ب ٨٧

(١٢) في الاصل : يدابه

وأما الهمزة التي سكنت ، وانضم ما قبلها فكقولك ، يُومن كان الأصل فيه يُؤمن فجعلت الهمزة الساكنة واواً ، لانضمام ما قبلها ،

فان قال قائل ، اذا قلنا في الدرج ، لقائنا ائت ، فما هذه الهمزة ، قيل له ، هذه الهمزة ، هي الساكنة التي في ائت ، وهي فاء الفعل [الورقة الـ ١٠/ب] < وألف[1] الوصل > ساقطة ، وقد أجاز الكسائي ، أن تثبت الهمزة في الابتداء ، فأجاز للمبتدي أن يقرأ ، إئت بقرآن ، بهمزتين محققتين ، قال ابن الأنباري : حدثنا بذلك إدريس[2] عن خلف[3] عن الكسائي ، قال أبو بكر ، وهذا قبيح ، لأن العرب لا تجمع بين همزتين ، الثانية منها ساكنة ، ومع هذا ان أبا العباس حدثنا عن سلمة بن[4] عاصم عن الفراء ، أنه قال : العرب لا تنطق بهمزة ساكنة إلا بنو تميم ، فانهم يهمزون فيقولون ، الذئب ، والكأس ، والرأس ، من كتاب الوقف والابتداء لابن الأنباري» .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أبو محفوظ الكريم معصومي

---

(١) ما بين المكفين خرق.

(٢) هو ادريس بن عبد الكريم الحداد ، المتوفى سنة ٢٦٢/٣ (٩٠٤/٥ م) راجع غاية النهاية (ج ١ ص ١٥٤ ، رقم ٧١٧)

(٣) هو خلف بن هشام البزار المقدم الذكر ، وهو من المقلّين عن الكسائي (راجع غاية النهاية ج ١ ص ٥٣٦)

(٤) في الاصل : سلمة عن عاصم - والصواب ما قدرته وهو صاحب الفراء ، المتوفى بعد الـ ٨٨٣/٢٧٠ م (راجع الفهرست : ص ١٠١ ، وغاية النهاية ج ١ ص ٣١١)

نظرة في
معجم المصطلحات الطبية
الكثير اللغات

للدكتور ا٠ل٠ كليرفيل
نقله الى العربية الأساتذة مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط
ومحمد صلاح الدين الكواكبي
(لجنة المصطلحات العلمية في كلية الطب من جامعة دمشق)

– ٣ –

رقم المصطلح			رقم المصطلح
٥٦١	غيبة الثدي وأرجع اللاثديةَ (مجمع اللغة) ٠	Amastie	561
٥٦٢	كُمْنة، عَمى مُطْبِق (بدون تلف طَبَقَات العين)	Amaurore, cécité (comptète sans alté- (-ration des milieux de l'œil)	562

الكُمْنة ظلمة تأخذ في البصر (اللسان) وقد أقرها مجمع اللغة ٠ والغالب أن تطلق على ذهاب البصر من العين الواحدة ٠ أما العمى المطبق وغير المطبق فلا يطلق في اللغة العربية إلا على ذهاب البصر من العينين وإلا فهو عَوَر ، ففي اللسان : العمى ذهاب البصر كله ، وفي الأزهري من العينين كلتيهما الى أن قال رجل أعمى وامرأة عمياء ولا يقع هذا النعت على العين الواحدة لأن المعنى يقع عليهما جميعاً فيقال عَميت عيناه ٠

٥٦٤ غَطَش Amblyopie 564

وأقر مجمع اللغة كلمة كَمَش . ودرج كاتب هذه السطور على استعمال كلمة غَمَش ، ففي اللسان : الأكمش الذي لا يكاد يبصر ، والغَمَش ظلام البصر من جوع أو عَطَش ، والغمش سوء البصر ، والغمش عارض ثم يذهب ؛ أما الغَطَش في العين فشبه العَمَش ، الغطش الضعف في البصر كما ينظر ببعض بصره ، ويقال هو الذي لا يفتح عينيه في الشمس . واللفظة الافرنجية تطلق على الضعف العارض على البصر ولا سيما ما كان منه غير متأت عن علة عضوية أو عن زيغ في طبقات العين . لذا أفضل الغَمَش والكَمَش على الغَطَش .

٥٦٧ غيبة الأطراف الأربعة Amélie 567

والأفضل أن يقال اللاطرفية قياساً على ما تقدم في اللفظين المرقومين بـ ٧ و ٥٦١ .

٥٧٤ تيه البصر Amétropie 574

وهو فقد انطباق بؤرة المرئي على الشبكية ، أرجح أن يقال فقد القياس البصري أو اللاقياس البصري ؛ أما تيه البصر فقد جاء في اللسان تاه بصرُ الرجل وتاف اذا نظر الى الشيء في دوام ، وتاف عني بصرك وتاه اذا تخطى كما أن التيه يعني الصَّلَف والكِبْر [1] .

٥٧٨ متحول ، متمور Amibe 598

والأفضل تعريب الكلمة الفرنجية كما فعل مجمع اللغة فيقال آميبا أو أميبة و ج آميبات .

٥٩١ غوليات Aminoalcools 591

الأفضل أن يقال الأغوال الأمينية .

---

(١) وكذلك يمكن استعمال زيغ القياس . ففي اللسان الزيغ الميل ، زاغت الأبصار مالت عن مكانها كما يعرض للانسان من الخوف .

٥٩٢ نُشادرينات Ammines 592

وقد عرفت اللفظة بأنه مركب يحوي ذرات الأمونيـاك (النُّشادر) المرتبطة مع أحد المعادن • بينما قد يفهم من نشادرينات المواد أو المادة المستخرجة من النشادر على غرار الكافئين وما اليها • والأفضل أن تبدل بما يفي بهـذا المعنى كالنشادر المعدني أو سواه •

٦٠٠ نسيان سابق أو نسيان التثبيت Amnésie antéro-grade ou de fixation 600

والأصح أن يقال نسيان لاحق ، لأنه يتعلق بالأمور المستحدثة بعد الإصابة بالعلة • وقد انتبهت اللجنة الى ذلك في ترجمة (Antérograde) رقم ٨٣٢ بقولها نسيان ما بعد الحادث •

٦٠٠ نسيان لاحق Amnésie rétrograde 600

والصحيح نسيان سابق لأن الأمور المنسية هنا تتعلق بما سبق أن كان متذكَّراً قبل الإصابة بالعلة •

٦٠١ سابياء Amnios 601

ويطلق على الغشاء الباطن الذي يحوي سائلاً يحفظ الجنين ، وأقر مجمع اللغة السَّلَى فقد جاء في اللسان السَّلَى لفافة الولد من الدواب والإبل وهو من الناس المَشيمة مما يدل على تخصيص السلى بالحيوان • والسابياء الماء الكثير الذي يخرج على رأس الولد لأن الشيء قد يسمى بما يكون فيه على المجاز ، ولذلك يصح أن تدعى المشيمة (وهي الدارجة) كما أن السابياء صحيحة وتعريب الكلمة بقولنا أمنيوس (عن الفرنسية) أو أمنيون (عن الانكليزية) ممكن وربما كان أقل عجمة وأخف على اللسان •

٦٠٢ نُخط Amniotique (liquide) 602

والمشهور عنه السخد • ففي اللسان : دم وماء في السابياء وهو السلى الذي

يكون فيه الولد . وفي اللسان أيضاً ويقال للسُخْد وهو الماء الذي في المشيمة : النُخط . وأرجح السُخْد لأنها دارجة متعارفة وألطف من الثانية .

627 Amusie ٦٢٧ نسيان اللحن (أو الموسيقى)

الأفضل أن يقال اللاموسيقية لأن هذه الحالة المرضية تبـدو تارة بنسيان اللحن أو النغم وأخرى بفقد قراءة النوطة الموسيقية على غرار الخَرَس واللاقراءة واللاكتابة [١] .

641 Analeptique ٦٤١ مُقوٍ ، منشط

وقد عرف اللفظ الفرنجي بأنه الدواء الذي يُصلح التنفس وخوَر الشعور بالضعف ، وفقد الوعي أو السبات . وأرجح أن يقال عنه الناعش ففي اللسان نَعَش الإنسان ينعَشُه نَعْشاً تداركه من هلَكة . وفي الأساس نعشته فانتعش اذا تداركته من ورطة وانتعش نعشك الله ونعشني نعشة كريم والربيع ينعش الناس .

وأرى أن تخصص المقويات بـ (Toniques) والمنشطات بـ (Stimulants) وناعشات بـ (Analeptiques) .

643 Analgésie ٦٤٣ فقد الألم ، لا ألم

وكذلك بطلان الألم .

659 Anaphylaxie ٦٥٩ تأق

وأقر مجمع اللغة التحساس واللاوقاية . ودرج كاتب هذه السطور على استعمال كلمة الاستهداف اقتباساً من معجم شرَف ، ومدلول الكلمة العلمي هو فقـد الوقاية (اللاوقاية) وأن يصبح من به هذه الحال عرضة للإصابة بأحد المسببات المرضية ، وبالتالي مستهدَفاً للإصابة .

(١) واجع الشرح الوارد في المقال السابق في رقم ٤٨٩ والصفحة ٣١٤

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما التأق فقد جاء في اللسان : التأق شدة الامتلاء تَئِق السقاء يتأق تأقاً فهو تَئِق امتلأ وأتأق إتآقاً ، إلى أن قال ورجل تَئِق ملآن غيظاً أو حزناً أو سروراً وقيل هو الضيق الخلق ، وقيل تئق اذا امتلأ حزناً وكاد يبكي واغ .

وعلى ذلك فان لكلمة تأق معناها اللغوي الصريح والأفضل أن لا نقحمها في المعنى الطبي البعيد عنها كل البعد ، مما يرجح أن يقال في ترجمة (Anaphylaxie) الاستهداف واللاوقاية دون غيرهما .

661 Anaplasie ترقيع ٦٦١

وأقر مجمع اللغة ارتكاس — ارتداد ، وعرّف هذه اللفظة معجم (M. Garnier [1]) الفرنسي بما يلي : (لفظ استعمله بقراط للدلالة على رد كسر أو خلع) يرادفه (Cataplasie) ، الحَدَث الذي بمقتضاه تفقد بعض الخلايا مميزاتها الخاصة دون أن ترد الى حالة الخلايا البدئية . وعرّفها معجم (Blakiston's) [2] بتراجع الشكل في الخلية أو في الخلايا الى الحالة الجنينية مع ازدياد خاصتها على التكثر ، ويغلب أن تطلق هذه اللفظة على تراجع الشكل وحده دون النظر الى خاصة التكثر اه . كما ان معجم كليرفيل نفسه ذكر في ترجمة اللفظة الى الانكليزية بـ (anaplasia ؛ reversionary atrophy) أي الضمور التراجعي ، والى الألمانية بـ (Rückschlag) ومعناه التراجع .

وعلى ذلك أرى أن تترجم لفظة (Anaplasie) بالحؤول أو التحول الراجع أو التراجعي أو الارتداد ، ولا أرى لاستعمال ترقيع مسوغاً .

678 Anelectrode قُطب ايجابي (بطارية غلوانية) ٦٧٨

والصحيح منفذ ايجابي ، لأن القطب الايجابي ترجمة لـ (Anode) كما فعلت

(١) M. Garnier & V. Delamare, Dictionnaire des termes techniques de médecine

(٢) Blakiston's new Gould medical Dictionary

اللجنة في ترجمة هذه اللفظة برقم ٨٠٩ والقطب الايجابي غير المنفذ الايجابي ، وينبغي التمييز بينهما .

681 Anémie de déperdi- -tion après hémorragie — فاقة دم بالانقراض بعد النزف ٦٨١

وهي فاقة الدم المتأتية عن نزف الدم ، وأرجح أن يقال في الترجمة فاقة دم نزفية أو بالنزف ؛ ففي اللسان نزفه الدم اذا خرج منه كثيراً حتى يضعف ، والنُزف الضعف الحادث عن ذلك ، وانقرض القوم درجوا ولم يبق منهم أحد .

690 Anergie — تصام ، عدم التجاوب ٦٩٠

وأرجح أن تعرّب هذه اللفظة بـ أنيرجيا على غرار لفظة أليرجيا [1] . في اللسان أصمه الداء ، وتصام عنه أراه أنه أصم وليس به تصام عن الحديث وتصامه أرى صاحبه الصَمَم .

ARCHIVE

691 Anesthésie, narcose — فقدان الحس ، خَدَر ٦٩١

وتطلق لفظة (Anesthésie) على فقد حاسة الحس فقداً تاماً أو جزئياً ، منه ما يتأتى عن حالة مرضية ويدعى بطلان الحس (شأن ما يكون في بعض علل الجملة العصبية المركزية والمحيطية) ومنه ما يكون محدثاً بأحد الأدوية سواء أثر هذا موضعياً أو عاماً ، وهذا ما يدعى بالتخدير (التخدير الموضعي والتخدير العام) . ولعلّ القصد من إثبات كلمة (Anesthésie) وبجانبها (Narcose) يقصد منه التخدير . أما الخدر فالأفضل أن تخصص لكلمة (engourdissement) [2] .

714 Anévrisme — أمدّم ٧١٤

وأقر مجمع اللغة كلمة انورسما تعريباً . وهي الكلمة ذاتها المستعملة في كتب

---

(١) الصفحة ٣١٨ من الجزء الثاني من هذه المجلة في الرقم ٥٢٨

(٢) جاء في اللسان والخدر امذلال يغشى الأعضاء : الرجل واليد والجسد ، وقد خدرت الرجل تخدّر والخدر من الشراب والدواء فتور يعتري الشارب وضعف .

الطب القديمة [1] . ودرجنا على استعمال كلمة أم الدم التي استعملها الأقدمون أيضاً ولا أرى حاجة الى هذا النحت .

٧٢٢ ذات العروق الشعرية، التهاب العروق الدقاق Angéite 722

والصحيح ذات العروق أو ذات الأوعية أو التهاب العِرْق أو التهاب الوعاء دون تخصيص بالعروق الشعرية أو الدقاق .

فقد جاء في معجمي غارنيه (M. Garnier) وبلاكستون (Blakiston's) [2] في شرح لفظة (Angéite) ان قال الأول اسم عام يشمل جميع التهابات العروق (التهابات الشريان والتهاب الوريد والتهاب العروق اللنفاوية وغيره) وذكر الثاني في مادة (Angitis) أنه التهاب عرق الدم أو اللنفا .

٧٢٤ توسع الأوعية الشعرية Angéectasie 724

والأصح توسع العِرْق أو الوعاء

٧٢٥ خُناق Angine 725

وأقر مجمع اللغة كلمتي ذبحة وذُباح .

٧٣١ خناق الصدر، انقباض القلب Angine de poitrine, Angor, Sténocardie 731

اللفظة ذات الرقم ٧٢٥ تطلق على التهاب البلعوم وكلمة الخناق تفيد هذا المعنى وكذلك الذبحة والذباح أيضاً، والكلمات الثلاث قد وردت في كتب الأقدمين ولا ما يميز بينها فيها . وحبذا لو خصصت كلمة خناق وجمعه خناقات بالتهاب البلعوم

---

(١) كامل الصناعة الصفحة ٣١٢ من الجزء الأول وقد جاءت في جملة مواضع مصحّفة بـ (أبورسما) وعرفت بأنها ورم يحدث من دم وريح وحدوثه يكون من انخراق الشريان مفتوحاً لا يلتئم ولا ينبت عليه الدَّشْبذ وعلامة هذا الورم أن يكون موضعه ينبض واذا غمز عليه باليد ذهب أكثر الورم ويسمع له في بعض الأوقات الصرير ويكون لون الورم على مثال لون الباذنجان أو البنفسج .

(٢) وهما المذكور اسمها في الصفحة (٤٦٦)

العادي ، والخانوق بالتهاب البلعوم الدفتريائي (Angine diphthérique) ·
وجمعه خوانيق (كذا وردت في كتب الطب القديمة ، وهي كلمة دارجة على ألسنة الناس أيضاً)[1] ، وخناق الصدر على الألم الشديد البادي في مقدم الصدر ، وأن تخصص الذبحة والذباح بالتهاب الحنجرة الدفتريائي (Laryngite diphtérique ou croup) · أما ترجمة الجنة لـ (Sténocardie) بانقباض القلب فلا أراه في موضعه لأن انقباض القلب ينبغي له أن يدل على (Systole cardiaque) كما جاء في ترجمة لفظة (Systole) في الرقم ٣١٠٠
والصحيح أن تترجم بضيق القلب وهو ما ينطبق على اشتقاق الكلمة ذاتها ·

734 Angine pseudo - mem - raneuse خناق غشائي موهم غمامي ٧٣٤

والمشهور عنه خناق غشائي كاذب ، لأن وصفه بالوهم قد يتعدى الكذب ويستدعي الوهم والايهام (بينما الإصابة به صليمة في الغالب) وكثيراً ما استعمل العرب الكذب بالمعنى المجازي كقولهم الفجر الصادق والفجر الكاذب وفي الكتاب العزيز « وجاءوا على قميصه بدم كذب » (سورة يوسف) ·

735 Angine rouge érythémateuse, catarrhale خُناق أحمر ، حَمامي ، نزلي ٧٣٥

لقد ضبطت صفة حَمامي بالفتح والصواب بالضم حُمامي وهو غلط مطبعي ·

739 Angiologie, angéiologie مبحث الأوعية ٧٣٩

740 Angiome ورم وعائي ٧٤٠

أرجح أن يستعمل العِرْق مكان الوعاء لأنه أخص ·

---

(١) لقد جاء ذكر سنة الخوانيق (ولولا أن عندي بقية من موسم سنة الخوانيق أتزوق بها وإلا كنت من الهالكين) في دعوة الأطباء لابن بطلان سنة ٤٥٥ هـ (الصفحة ١٥ من كتاب دعوة الأطباء على مذهب كليلة ودمنة تحقيق الدكتور بشارة زلزل وطبع المطبعة الخديوية بالاسكندرية سنة ١٩٠١)

754 Angoisse, anxiété ضجر ، ملَل ، ضيق ٧٥٤

وكذلك القَلَق .

759 Anhidrose, anidrose صلد ، انحباس العرَق ٧٥٩

والصحيح أن يقال احتباس العرَق لأن مطاوع حبس احتبس لا انحبس .

769 Anhydride carbonique, gaz carbonique بلاماء الفحم، غازالفحم ٧٦٩

سبق أن رجحت كربون على الفحم في هذه الترجمة وأضرابها .

782 Anion شارصَبية (آنيون) ٧٨٢

والأفضل أن يقال شاردة سلبية أو آنيون .

784 Ankylose, raideur articulaire ُجسأة ، يبوسة المفصل ٧٨٤

وأقر مجمع اللغة القسَط وهي الكلمة الدارجة على ألسنة الأطباء ولا أرى حاجة الى تبديلها بأخرى قاموسية .

885 Ankylostome duodénal مَلْقوّة عَفَجية ٧٨٥

789 Ankylostomiase داء الملقوّات، فاقة الدم المدنية الخ ٧٨٦

وأقر مجمع اللغة تعريب الكلمة بأنكيلوستوما ولا أراها إلا أقل عجمة وألطف من الملقوّات .

819 Anox (b) émie, anoxyémie, anoxie عدم تأكسد الدم ٨١٩

والأفضل نقص أوكسيجين الدم ونقص الأوكسيجين، فقدعرفت أنوكسيميا[1] فقد الأوكسيجين من الدم بقصور التهوئة الناجم عن الارتفاع الزائد ، أو نقص الضغط في الأوكسيجين في التخدير أو في قصور القلب أو في الخنق ،

(١) معجم بلاكستون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وعرفت الآنوكسيا بأنها فقد الأوكسجين وهي حالة لا يمكن للحياة أن تدوم معها ، أو قصور النسيج عن ضبط الأوكسجين أو استعمال ما يكفي منه . ويقول صاحب المعجم المذكور أن الأفضل أن تحل الآن كلمة نقص الأوكسجين (Hypopexie) محل (Anoxie) .

أقول : ولا صلة بين نقص الأوكسجين أو فقده ، بحدوث التأكسد أو عدم حدوثه .

٨٣٢ نسيان ما بعد الحادث Antérograde 832

وهو النسيان اللاحق (انظر الرقم ٦٠٠) .

٨٣٣ خَنَث Antéversion 833

٨٣٤ خَنَث الرحم Antéversion de l'utérus 884

اللفظة الأولى تعني الميل أو الانثناء الى الأمام والثانية الانقلاب الأمامي تستعمل الأولى في بعض العلل العصبية التي تمتاز بانعطاف جذع البدن الى الأمام أثناء المشي أو الانتصاب ، والثانية انقلاب جدار الرحم وميله الى الأمام . فالكلمتان اذن ليستا مترادفتين ولا يصح أن يطلق عليهما اسم واحد وهو الخنث . وإني لم أتوصل بمراجعة المعاجم التي بين يدي الى ما يشير فيها الى الميل والانقلاب . فقد جاء في اللسان : الخنثى الذي لا يخلص لذكر أو أنثى ، وخنث الرجل خنثاً فهو خنث وتخنث وانخنث تثنى وتكسر وخنث الشيء فتخنث ان عطفته فتعطف (ولعلّ الجنة أخذت بهذا المعنى) والخنث من ذلك للينه وتكسره .

أقول ما أغنانا عن استعمال هذه الكلمة التي تفيد المعنى غير المطلوب من اللفظين الآتيين .

٨٣٥ وتيرة ، وترة (الأذن) Anthélix 835

عرّفت اللفظة الفرنجية بأنه الجزء المنحني من عمود الأذن والكائن أمام

الكِفاف (Hélix) والذي يماشيه في معظم أجزائه . وجاء في المخصص الوترة غُضَيرف في أعلى الأذن يأخذ من أعلى الصماخ ، والصماخ هذا الخرق الذي يفضي الى الرأس . كما أن الوَتَرة والوتيرة الحاجز بين المنخرين (وهو المشهور المتعارف) .

أفضل أن تترجم الكلمة بصَحْن الأذن فقد جاء في المخصص هو جوف الأذن الظاهر المتقعر فنبعد الالتباس بين الأذن ووترة الأنف .

٨٤٤ مضادات عن الحياة ، مُرْديات Antibiotiques 844

ومانعات التعايش (Symbiose) لأن تماسها لأحد الجراثيم يجعل هذا يتوقف عن نشاطه الحيوي . ومُرْديات تعني مُهْلكات الجرثوم أو الجراثيم ، وأرجح تخصيص هذه اللفظة لمضادات العفونة .

٨٤٥ ذيل القطب السالب Anticathode 845

وأفضل أن تترجم اللفظة بنظير القطب السالب .

فقد عرفت بأنها الصفحة المعدنية أو الهَدَف في مصباح كروكس (Crookes) الشعاعي ، ومقرها مقابل القطب السلبي ، وتتلقى صدمة الأشعة السلبية مولدة الأشعة السينية .

٨٤٧ ضد أُلخثرات Anticoagulants 847

والأفضل مضادات التخثر ، لأن استعمالها الطبي انما يكون لتخفيف وطأة حدَث التخثر لا لكبح جماح مواد مخثرة غير طبيعية .

٨٥١ بادزَهر ، ضد السم Antidote, contre - poison 851

وأقر مجمع اللغة كلمة ترْياق ولا شك أنها تفضل على بادزهر التي سبق واستعملت في هذا المعنى ولا أرى داعياً الى بعثها .

٨٥٨ ضد الخمج Antiinfectieux 858

وأرجح ضد العفونة أو ضد الانتان[1] .

(١) لقد تقدم رأيي في الخمج (الصفحة ٩٠ من الجزء الأول من هذه المجلة) .

873 Antiputride ضد التدعُّص ٨٧٣

وأرجح ضد التفسخ باعتبارها دارجة ومعروفة .

875 Antisepsie تطهير ٨٧٥

876 Antiseptique مُطَهِّر ٨٧٦

877 Antiseptiques désin--fectants مضادات الفساد ، مُطهِّرات ٨٧٧

وأقر مجمع اللغة لفظة مانع العفونة لـ (Antiseptique) ومطهر لـ (désinfectant) بينما أطلقت اللجنة على اللفظتين الافرنجيتين كلتيهما مطهر .

وعليه أرجح أن يقال للأولى منع الفساد والثانية مانع العفونة أو الانتان ومانعات العفونة أو الانتان ومُطهِّرات تباعاً .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

882 Antitoxique ضد السم ٨٨٢

وكذلك الترياق .

883 Antitragus مقابل الوتدة (الأذن) ٨٨٣

وهي الترجمة الحرفية للفظة الفرنجية . ولعلها المحارة والصَّدَفة كما جاء في المخصص . فالوَتِدة كما جاء في الأخير الناشز في مقدمة الأذن مثل الثؤلول يلي العارض من اللحية ، والمحارة والصَّدَفة هي ما تحت الإطار .

888 Anurie زُرام ٨٨٨

وهو انقطاع البول . ففي اللسان وزَرِم دمعُهُ وبولُهُ وحلفُتُهُ وكلامه وازرأمّ انقطع ، وكل ما انقطع فقد زَرِم . فالزرام اذن ليس خاصاً بانقطاع البول . ألا تفضل الكلمتان البينتان على الكلمة الواحدة القاموسية والغامضة ؟

910 Aphasie حُبْسة ٩١٠

وأقر مجمع اللغة هذه اللفظة ، ودرج كاتب هـذه السطور على أستعمال

الخَرَس [1] . فالخَرَس فقد النُطق من جراء إصابة في مركز التكلم الكائن في الدماغ ، والمصاب بهذه العاهة العصبية لا يستطيع الإفصاح عما يجول في خاطره لفظاً ، ويشفى صاحب العلة اذا كان حدثاً ، وعلى ذلك يلازمه فقد النطق دون انقطاع . بينما الحُبْسة بخلاف ذلك فقد جاء في اللسان : الحُبْسة والاحتباس في الكلام التوقف وتحَبَّسَ في الكلام توقف قال المبرد في باب علل اللسان الحُبْسة تعذر الكلام عند ارادته . وعليه فان الحُبْسة تنطبق على ما نسميه بالخَرَس الموقَّت والعارض (Aphasie transitoire) وهو أن يتوقف المتكلم في أثناء الكلام مدة من الزمن ويستطيع الكلام بعد ذلك شأنه في السابق .

وكلمة الخَرَس سبق المجوسي أن استعملها في كامل الصناعة [2] في علل اللسان .

٩١٦ متَعظات Aphrodisiaques 916

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولعلَّ اللجنة استعملت هذه اللفظة قياساً . والمشهور عنها مَغْلَمة . ففي اللسان

(١) الجزء الأول من علم الأمراض الباطنة طبع سنة ١٩٣٥

(٢) الصفحة ٣٤٨ من الجزء الأول من كامل الصناعة الطبية . بقوله : وأما ما يعرض للعصب الذي في اللسان من العلل فنها ما يعرض للعصب الذي يكون به حس المذاق وهي نقصان المذاق وعدمه وهذا يكون اذا لم يحس الانسان بشيء من الطعوم في فمه البتة . ومنها ما يعرض للعصب الذي يكون به الكلام والحركة وهي ثقل اللسان وعدم الكلام الذي يقال له الخرس وهذه الأشياء تعرض : إمّا لسوء المزاج الغالب على العصب ، وإما لسدة تعرض فيه إما من ورم ، وإما من ضعف ، وإما من خلط بلغمي غليظ ينصب الى الأعصاب ، وإما أن يكون من تفرق الاتصال يعرض للعصب بمنزلة الهتك ، أو يكون ذلك من خلط حار ، أو من ضربة أو من صدمة تقع على الدماغ ؛ والعلامات الدالة على كل واحد من هذه الأسباب كالعلامات الدالة على علل الحواس التي ذكرنا قبل وقد يعرض ثقل اللسان وعدم الكلام لعلة تكون في الجزء المقدم من الدماغ الذي ينبعث منه العصب الذي يأتي اللسان وفي الدماغ نفسه اهـ .

الغُلْمة بالضم شهوة الضّراب غَلِم الرجل وغيره بالكسر يغلَم غَلْماً واغتلم اغتلاماً اذا هاج الى أن قال وقد أغلمه الشيء وقالوا أغلمُ الألبان لبن الخلفة يريدون أغلمُ الألبان لمن شربه وقالوا شرب لبن الإبل مَغْلَمَة أي انه تشتد عنه الغُلْمة .

٩١٩ حُكْلة Aphtongie 919

عرفت اللفظة الفرنجية بأنها ضرب من اضطراب النطق يمتاز بتشنج العضلات الموكلة باللفظ والمعصّبة بعصب تحت اللسان كما أنه جاء في الترجمة الانكليزية للمعجم نفسه ما يفيد المعنى المذكور نفسه ؛ أما الحُكْلة فقد جاء في اللسان : الحُكْلة كالعُجْمة لا يبين صاحبها الكلام ، والحُكلة والحكيلة الشُّنْعة . ابن الأعرابي في لسانه حُكْلة أي عُجْمة لا يبين الكلام .

لذا أرجح في ترجمة هذه اللفظة كلمة العُقْلة ففي اللسان واعتَقَل لسانه امتَسَكَ ، مَرِض فاعتُقِل لسانه اذا لم يقدر على الكلام ، أقول : والاعتقال أكثر انطباقاً على التشنج في عضل اللسان من سواه .

٩٢٣ غشاء عضلي ، لُفافة Aponévrose, fascia 923

وأقر مجمع اللغة كلمة الصِفاق وهي الدارجة على ألسنة الأطباء . بينما اللجنة خصّت كلمة الصفاق بالغشاء المعروف بالبريطون ، وسأعود الى النظر في صحة هذه الكلمة عند الكلام على لفظة البريطون . وقد جاء في اللسان الصفاق جلدة رقيقة تحت الجلد الأعلى وفوق اللحم ، وهو ما ينطبق على معنى اللفظ الافرنجي تماماً .

٩٩٦ عمى البصيرة Apyroxie 997

وفي الأصل من المعجم (Apyrexie) ومعناها لا حُمّى ، وهو لا شك غلط مطبعي في اللفظة الفرنجية وغلط ترجمة في اللفظ العربي ، إذ لا محل لعمى البصيرة هنا . ولم تنتبه اللجنة الى تصويب هذا الخطأ .

997 Aquatique ذو ماء ، مائي ٩٩٧

والفظة تفيد ما هو منسوب الى المستنقع · وتستعمل في الغالب لحيوان أو النبات الذي يعيش في المنافع أو الجداول مما ينبغي أن تميز عن (Aqueux) كأن يقال مستنقعي أو منافعي ·

1030 Aréole du mamelon لُغوة ١٠٣٠

والمشهور عنها السَّمدانة ، فقد جاء في المخصص : السَّمدانة ما اسود من الثدي حول الحلمة ، وفي اللسان : والسمدانة الشُّنْدُوَةُ ، وهو ما استدار من السواد حول الحَلَمَة ، وقال بعضهم : سمدانة الثدي ما أطاف به كالفلكة · ولم أهتد الى مصدر لُغوة ·

1042 Ariboflavinose داء لاحيين ب ، داء اللاحيين ١٠٤٢

الناجم عن نقص الريبوفلافين

وأدعوه عَوَز الريبوفلافين ·

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

1043 Arithmomanie جنون حسابي ١٠٤٣

وأرجح وَلَع العَدّ ، لأن المصاب بهذا الخلل لا يفتأ يعد الأشياء ، ويشتغل في الأرقام دوماً ·

1056 Arsenal thérapeutique دار صناعة الأدوية ، ١٠٥٦

مصنع الأدوية

جاء في تعريف كلمة (Arsenal) مصنع الأسلحة ومدخرها ، على حين أن المراد بـ (Arsenal thérapeutique) ليس مصنع الأدوية كما ذهبت اليه اللجنة ، ولو كان ذلك هو المقصود لجاء بالفرنسية (Usine) أو (Fabrique) · والمراد هو جَعْبَة المداواة أو خزانتها[1] · وعلى ذلك نرى الترجمة الانكليزية

---

(١) كقولك ليس في جعبة أدويتنا أو مداواتنا أو خزانتها أفضل من العقار الفلاني في معالجة الداء الذي نحن بصدده (Il est le meilleur médicament dans notre arsenal thérapeutique) .

لهذا المصطلح في المعجم الأصلي هي (Therapeutique Armement) ومعناه السلاح الدوائي ، والترجمة الألمانية (Heilschatz) ومعناها خزانة الشفاء .

1124 Arthralgie, arthydie عُصاب المَفصِل، ظُلاع ١١٢٤

ويعنى باللفظة الفرنجية ألم المَفصِل ووجعه . وأقر مجمع اللغة البدَل (ألم المفاصل) فقد جاء في اللسان : والبَدَل وجع في اليدين والرجلين ، بَدِل بالكسر يَبْدَل بَدَلاً فهو بَدِل اذا وَجع يديه ورجليه .

أما استعمال اللجنة كلمة عُصاب فقد ذكرت اللجنة في الأسلوب الذي اتبعته في وضع المصطلحات [1] وزن فُعال للداء في حشى أو عضو كالكباد وعُصاب وقلاب ، مما ينبغي معه تخصيص عُصاب بالألم العصبي (Névralgie) وألم المفصل لا صلة له بإيلام العصب ، وأما ظُلاع فقد جاء في اللسان : الظَّلْعُ كالغَمْز ، ظَلَعَ الرجل والدابة في مشيه يَظْلَعُ ظَلْعاً عَرَجَ وغمز في مشيه ثم قال : والظُلاع داء يأخذ في قوائم الدواب والإبل من غير سير ولا تعب فتَظْلَعُ منه ، وطبيعي أن ألم المفصل أو المفاصل لا يشترط فيه أن يكون في الرجلين فكثيراً ما يبدو في اليدين .

1125 Arthrite التهاب المَفصِل ١١٢٥

أقر المجمع الرثية لهذا المصطلح ، والأفضل تخصيص الرثية للروماتيزما ، شأن ما فعلته اللجنة .

1127 Arthritisme, diathèse arthritique, bradytro- -phique ou dystrophique حَرَض ، تأهب حَرَضي اغتذائي أو حَثَلي ١١٢٧

ويقصد من المصطلح الفرنجي (Arthritisme) التأهب المرضي الناجم عن الإبطاء في التطور الاغتذائي والبادي سريرياً بجملة حالات مرضية كالبدانة

(١) الصفحة ٩٣ من الجزء الأول من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة أنها تستعمل .

والداء السكري والرمال البولية والنقرس وغيره ، فهو إذن تأهب للإصابة يبعض العلل لا علة معينة وخيمة . أما الحَرَض فقد جاء في اللسان أحرضَه الحرض فهو حَرِض وحارض إذا فسد بدنه وأشرف على الملاك وحَرَض يحرضُ ويَحْرُض حَرْضاً وحُروضاً هلك . ويقال كَذَبَ كِذْبَةً فأحْرَضَ نفسه أي أهلكها وجاء يقول حَرَض هالك الى أن قال : وقال الفراء في قوله تعالى : «حتى تكون حَرَضاً أو تكون من الهالكين» . أقول مما يدل على أن الحَرَض هي حالة الهلاك أو الاشراف عليها ، وليس الأمر كذلك في اللفظة الافرنجية .

لذا أرجع في ترجمة هذا المصطلح : تأهب مَفْصِلي (لأن الآراء الحديثة تكاد تحصر التأهب في الإصابة المفصلية دون سواها وهكذا استبعد الداء السكري منه) إبطاء التغذية (bradytrophie) أو فساد التغذية (dystrophie) .

وبعد كتابة ما تقدم اطلعت على تصحيح ورد لهذه اللفظة لم أنتبه اليه ، وهو تصحيح اللجنة لحَرَض واستبدالها بـ قُفاص الذي لا يفيد المعنى المطلوب فقد جاء في اللسان والقُفاص داء يصيب الدواب فتيبسُ قوائمها .

1131 Arthropathie مَرَض مفصلي ١١٣١

ودرج كاتب هذه السطور على ترجمة اللاحقة (pathie) باعتلال تمييزاً لها عن العلة (Affection) ، والمرض أو الداء (Maladie) فأقول إعْتلال المفصل أو الاعتلال المفصلي ، ومن المعلوم أن العلة احدى ظاهرات المَرَض .

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح

مختارات مما لم يُنشر

من شعر البحتري

- ٤ -

قال البحتري [١] يمدح الفتح بن خاقان [٢] ، واقترح عليه هذا الوزن لأنه قيل له إنه ينتحل أشعار العرب :

أصُدودٌ غلا بها أم دلالُ يومَ زُمَّتْ [٣] برامةَ [٤] الأجمالُ

(١) القصيدة من الخفيف ، عدد أبياتها ٣٧ ، نقلناها من مخطوطة ديوان البحتري بالمكتبة الوطنية بباريس (رقم ٣٠٦٨ من القسم العربي) الورقة : ٣٣٤ ظ — ٣٣٥ ظ ؛ ومما يؤكد صحة نسبتها إلى البحتري أن عبد القاهر الجرجاني أثبت أحد أبياتها ـ البيت ١٩ ـ فيا اختاره من ديوان البحتري (المختار من دواوين المتنبي والبحتري وأبي تمام بتحقيق السيد عبد العزيز الميمني : الطرائف الأدبية مصر ١٩٣٧ : ص ٣٧٠) .

(٢) الفتح بن خاقان صاحب المتوكل وأمين سره وقد قتل معه عام ٢٤٧ هـ ، وهو أديب شاعر من كبار مثقفي القرن الثالث ؛ كان يملك خزانة كتب حافلة ، وله ألف البحتري (كتاب الحماسة) على نهج حماسة أبي تمام ، ومدحه بما يقرب من ثلاثين قصيدة (راجع ترجمته في الفهرست ، مصر ١٣٤٨ هـ ص ١٦٩ — ١٧٠ ؛ ومعجم الأدباء لياقوت ، المأمون ١٩٣٦ م ج ١٦/ ١٧٤ — ١٨٦ ؛ وفوات الوفيات ، مصر ١٩٥١ ج ٢/٢٤٦ — ٢٤٧ ؛ وانظر الفصل الرابع من كتاب أخبار البحتري : ٨٣ — ٩٩) .

(٣) زَمَّ البعيرَ : خَطَمه بالزمام .

(٤) موضع بالبادية ، قيل بالعقيق ، وقيل وراءَ القريتين في طريق البصرة إلى مكة ، وقيل إنه من ديار بني عامر . (راجع المحيط وما على الهامش من تعليقات) .

أعرَضَتْ عطفَةَ القضيبِ وحادَتْ[1] من قريبٍ كما يحيدُ الغزالُ
عَهِدَتْني وللشّبيبةِ سِرْبا لٌ جديدٌ فأنْهجَ[2] السّرْبالُ
ورأتني تَداركَ الحلمُ منّي وتَناهَى عن عَذْلِيَ العُذّالُ
إنْ يَدُمْ هجرُها جديداً فقد كا نَ جديداً منها ومنّا الوِصالُ
إذْ حواشي الزمانِ خُضرٌ رِقاقٌ وقَناةُ الأيامِ فيها اعتدالُ
ولَها بالكثيبِ من جنبِ حُزْوى[3] أَنسٌ[4] قاطنٌ وحيٌّ حِلالُ
ذكّرتني الرسومُ والأطلالُ صَبَواتٍ ذِكرِي لهنَّ ضلالُ
تَلَفُ الحِلمِ أنْ يُطاعَ التصابي ودَدَى اللهوِ أن يَشِيبَ القذالُ[5]
أبرحَ[6] العيشُ فالمشيبُ قذًى في أعينِ البِيضِ[7] والشبابُ جمالُ
نَوِّلينا وأين منكِ النَّوالُ وَعِدِينا ووَعْدُ مثلِكِ آلُ[8]

---

(١) حاد عن الشيء يحيد : صدّ عنه وعدل .

(٢) أنهج الثوب : إذا أخذ في البلى ولم يتشقق .

(٣) حُزوى : موضع بنجد في ديار تميم ، وقيل هو جبلٌ من جبال الدهناء (معجم البلدان ، بيروت : ٢/ ٢٥٥) .

(٤) الأَنسُ : الناسُ والحيّ المقيمون ، والأَنس ضدّ الوحشة .

(٥) القذال : ما بين الأذنين من مؤخر الرأس .

(٦) أبْرَحَ : آذى وآلم وعذّب .

(٧) كناية عن النساء .

(٨) سرابٌ خادع .

أنا راضٍ بأن تجودي بقولٍ كاذبٍ أو يُطيفَ منكِ خيالُ
أيُّها المبتغي مُساجلةَ الفتـح لحاوَلتَ نَيْلَ ما لا يُنالُ
أين تلك الأخلاقُ منكَ إذا رُمْـتَ مداها وأين تلك الخِلالُ
لن تُجارى البحارُ حينَ تجيشُ الـمَدُّ فيها ولن تُوازى الجبالُ
يَبْعُـدُ البائنُ[1] المُبرِّزُ فوتاً وَتَدانى[2] الضُّروبُ والأشكالُ
لم تُسَلِّمْ لهُ المقادةَ حتى عرفتْ فضلَهُ عليها الرِّجالُ
رفعتْ مجدَها[3] عليه تَنُوخٌ فله فوق غيرِهِ إظلالُ
قائلٌ فاعلٌ وليس يكونُ الـقولُ مجداً حتى يكونَ الفَعالُ[4]
وصحيحُ السَّماحِ بينَ أناسٍ في سَجاياهُمُ علينا اعتلالُ
ثابتٌ في المَكَرِّ إن زاحَ[5] للأمـرِ سانٍ عن جانبِ الصريعِ مجالُ
ملكٌ يستقِلُّ في رأيِهِ المُلْـكُ ويَحيا في فضلِهِ الإفضالُ
وإذا ما حللتَ رَبْعَ أبي الفضـلِ فَثَمَّ السَّماحُ والإبلالُ
مُتَعَلٍّ على الخطوبِ إذ[6] العا ثرُ كابٍ في صرفِها ما يُقالُ

---

(١) الغالب في الفضل والمزية .

(٢) بحذف التاء : تتدانى = تتقارب .

(٣) في الأصل : مجده .

(٤) اختار الجرجاني هذا البيت في مختاره .

(٥) تباعد ، وفي الأصل : راح للفرسان عن جانب الصريع محال .

(٦) في الأصل : إذا .

ومقيمٌ صَغَا (١) الأمور وفيهـا حِيَدٌ (٢) عن جهاتها وانفتـالُ
مُتحَرٍّ (٣) عَلَى الخلافة ما ينـــقُصُ في حظها ولا يغتـالُ
شاهرٌ دونَ حَقِّهـا عَزَماتٍ تَتحامى مكروهَها الأبطـالُ
وسيوفاً إيماضُها أوجالٌ للأعادي ووقعُهـا آجـالُ
مرهفات لها ، إذا أظلم النَقْــعُ عليها ، توقُّدٌ واشتعالُ
أبداً يَستَجِدُّ منهـا حديثا نِ : دمٌ من عَدُوِّه وَصِقالُ
كلّما جئتَـهُ تعرَّفتَ مَجْداً مُستفاداً للطرف فيه مُخالُ (٤)
حيث لا تَدْفَعُ الحقوقَ المعاذيـــرُ ولا يَسْبِقُ العطـاءَ السؤالُ
أعوزتْ من سواكَ عارفةُ الجو دِ وخابتْ في غـيركَ الآمالُ
أنا من بَلَّهُ نـداكَ وأعلت منه آلاؤكَ العِراضُ الطوالُ
وتولَّتْهُ أنعمٌ منـكَ يُحمَلْـــنَ خفافاً وهُنّ وِقْرٌ (٥) ثِقالُ
مالئاتٌ بذكرك الأرضَ شكراً وثناءً وسيرُها أرْسـالُ (٦)
طالعاتٌ تلك النجادَ ففي كُلِّ مَقـامٍ لمنْ فيكَ مَقـالُ

* * *

(١) الصغا : الميل .
(٢) جمع حَيْد : اعوجاج والتواء .
(٣) تحرّى الأمر : قصده وتوخاه واجتهد في طلبه وفي الأصل : متحن .
(٤) في الأصل : محال ، ومخال من أخال فيه : تفرّس وتوسّم .
(٥) الوقر : الحمل الثقيل .
(٦) أفواج بعد أفواج .

ملاحظات ونظرات

١ — للبحتري في الفتح بن خاقان شعر كثير، أكثره في ديوانه المطبوع، والذي لا يزال مخطوطاً منه قليل لا يزيد على ثلاث قصائد، منها هذه القصيدة التي تنشر لأول مرة .

٢ — أول اتصال للبحتري بالفتح كان في سنة ٢٣٣ هـ ـ كما يذكر الصولي في أخبار البحتري ص ٨٣ ـ وقد لقي الشاعر من ممدوحه تشجيعاً أثار عليه نقمة حسّاده الكثيرين، فراحوا يكيدون له عنده، ويتهمونه بانتحال أشعار العرب، وقد كانت هذه القصيدة امتحاناً لشاعرية البحتري، ذلك أن الفتح اقترح عليه وزنها، وقد دلّ الشاعر بنجاحه فيها على أصالة موهبته وامتلاكه لناصية فنه، وحُقّ له أن يقول في قصيدة أخرى يمدح بها الفتح، ولا تزال مخطوطة أيضاً :

إذا كساني الفتح أثواب الغنى فكسوتي إياه مدحٌ منتخبْ

قصائد تطرب من تهدى له ولذّةُ النفس من العيش الطرب

لم أستعرْ حليتها يوماً ولا أغرتُ حين قلتُها على الكتب

(مخطوطة باريس : الورقة ٣٩ و — ظ) .

٣ — ولهذا نرجح أن يكون تاريخ نظم القصيدة في الفترة الأولى من اتصال البحتري بالفتح، عام ٢٣٣ هـ، وقبل أن يتيقن الفتح من أصالة موهبة البحتري وغنى طاقته الشعرية .

٤ — تقع القصيدة في قسمين متميزين : نسيب ومديح .

أما النسيب فيشغل الأبيات (١ — ١٢) وهو غزل تقليدي يتحدث في رشاقة وبراعة عن صد المحبوبة ودلالها وهجرها وإعراضها عن الشاعر منذ ولّى شبابه، وأصبحت الصبوات من بعد ذلك ذكريات حلوة تهيجها الأطلال والرسوم، وأمسى الشاعر يقنع بالوعد الكاذب والخيال الزائر .

وأما المديح فيشغل بقية الأبيات (١٣ — ٣٧) وقد أغناه البحتري بكثرة الصور

وتنوعها ، وفيها يمجّد أخلاق الفتح وسجاياه ، فهو فرد لا نظير له ، عرف الجميع فضله فأسلوا له المقادة ، وهو قوّال فعّال ، سمح شجاع صائب الرأي ، كريم مضياف ، لا تنال منه الخطوب ، مصلح يقوّم اعوجاج الأمور ، ويحمي أمجاد الخلافة بعزماته وجهاده وحروبه ، وهو سخيٌّ يسبق عطاؤه سؤاله ، والشاعر غارق في فيض من آلائه وعطاياه ، شاكر حامد ، لا يفتر عن الحمد والثناء .

٥ – الانتقال من النسيب إلى المديح انتقال مفاجئ ، وتلك عادة من البحتري ألفناها منه ، وقد أهمل في المديح تمجيد شرف نسب ممدوحه ، ووفّى المنصرين الآخرين (الكرم والشجاعة) تصويراً وتلويناً ، وأبرز دور الفتح في دعم الخلافة وإسهامه في تدبير أمورها ، ولم يكن الشاعر في كل ذلك مغالياً ، فالفتح بن خاقان كان دون ريب من أخطر شخصيات عهد المتوكل وأشدها وعياً وأحكمها سياسة وتدبيراً .

٦ – تمتاز القصيدة بالصنعة الكثيرة المتأنقة ، ففيها فيضٌ من التشابيه والاستعارات والمحسنات البديعية ، وذلك تأثير أبي تمام في تلميذه البحتري لا يزال غضاً شديد الوضوح ، ولمّا تمض على وفاة (الأستاذ) – كما كان البحتري يسمي أبا تمام – سنةٌ وبعض السنة ، وسيتحلّل الشاعر كلّما امتد به العمر من طوابع مدرسة أبي تمام وسماتها حتى يصبح الطبع غلاّباً على الصنعة في فنه .

ARCHIVE

٧ – تظهرنا القصيدة على مقدار الجهد الفني الذي بذله البحتري في نظمها ، ففي النسيب وحده ثلاثة أبيات مصرّعة (الأول والثامن والحادي عشر) وأكثر القوافي فيه مرشّحة ، والصور تزدحم في القصيدة كلها في إحكام متين ، وإيجازٍ خاطف ، وعرض حيٍ مثير ، وليس هذا عجيباً فهذه القصيدة التي يختبر بها الفتح شاعرية مدّاحه هي أجود ما تستطيع عبقرية البحتري أن تتمخّض عنه آنذاك ، وما كان للشاعر إلا أن يفجّر كل طاقته وإمكاناته التي يتملكها إلى ذلك اليوم ، وهو يثبت للتحدي ، ويخوض معركته الحاسمة مع حسّاده ، مناضلاً في سبيل مستقبله ومجده الأدبي في بغداد .

٨ – القصيدة إذاً من جيّد شعر البحتري ومختاره ، وكفى البحتريَّ فخراً أن يقول مثل هذا الشعر وهو شابٌّ لمّا يبلغ الثلاثين !

- ٥ -

قال البحتري (١) يرثي أمّ المتوكل (٢) :

غروبُ (٣) دمع من الأجفان تنهلُ ... وحرقةٌ بغليل الحزن تشتعلُ
وليس يطفيء نارَ الحزن إذ وقدت ... على الجوانح إلا الواكفُ (٤) الخضلُ (٥)
إن لجّ حزنٌ فلا بدعٌ ولا عجبٌ ... وقلّ صبرٌ فلا لومٌ ولا عذلُ

(١) القصيدة من البسيط ، عدد أبياتها عشرون ، نقلناها من مخطوطة ديوان البحتري بالمكتبة الوطنية بباريس ، الورقة : ٣٤٩ ظ — ٣٥٠ و ؛ ومما يؤكد صحة نسبتها إلى البحتري أن المعري يذكر الشطر الأول من المطلع والبيت ١٦ منها في عبث الوليد (مطبعة الترقي بدمشق ١٩٣٦ : ص ١٦٩ — ١٧٠) .

(٢) أم المتوكل خوارزمية اسمها شجاع ، كانت أم ولد ، وكانت تدعى السيدة ، ويذكر ابن تغري بردي أنها « كانت صالحة كثيرة الصدقات والمعروف » وقد حزن المتوكل لوفاتها حزناً شديداً ، وكانت وفاتها لست خلون من ربيع الآخر سنة ٢٤٧ هـ ، وقتل المتوكل بعد وفاتها بستة أشهر (راجع النجوم الزاهرة : مصر ج ٢/٣٢٣ ومروج الذهب للمسعودي مصر البهية ١٣٤٦ هـ ج ٢/٣٦٨ ، ٣٩١ وتاريخ الطبري في حوادث سنة ٢٤٧ هـ) .

(٣) جمع غرب : الدلو العظيمة ، والدمع ومسيله أو انهلاله من العين أو الفيضة منه .

(٤) الدمع السائل .

(٥) الندي المبتلّ .

عمري لقد فدح الخطب الذي طرقت … به الليالي وجلّ الحادث الجلل

لله أيُّ يد بان الحمام بها … منّا وأيّة نفس غالها الأجل

سيّدة الناس (١) حقاً بعد سيّدهم … ومن لها المأثرات السُّبَّق الأول

جرى لها قدرٌ حتمٌ فحلّ بها … مكروهُهُ وقضاءٌ مُوشكٌ عجل

فكلُّ عينٍ لها من عبرةٍ دِرَرٌ (٢) … وكلُّ قلبٍ له من حسرةٍ شُغُل

عمّ البكاءُ لها من (٣) المُصاب بها … كما يَعُمُّ سحابُ الدِّيمةِ الهطِل

فالشرقُ والغربُ مغموران من أسفٍ … باقٍ لفقدانها والسهلُ والجبل

مثوبةُ الله مِمّا فارقتْ عِوَضٌ … وجنّةُ الخُلدِ مِمّا خلّفتْ بدَل

قل للإمام الذي آلاؤه جُمَل … وبِشْرُه أمل وسُخْطُه وجَل

لك البقاءُ على الأيام يُقتَبَل (٤) … والعُمْر يمتدُّ بالنُّعمى ويتّصل

والناسُ كلُّهُمُ في كلّ حادثة … فداءُ نعلِك أن يغتالك الزَّلَل

إذا بقيتَ لِدينِ الله تكلؤهُ … فكلُّ رُزءٍ صغيرُ القدرِ مُحتَمَل

---

(١) في النجوم الزاهرة أنّ أمّ المتوكل كانت تدعى السيدة ، كما قدمنا ، وإلى هذا يشير البحتري هنا .

(٢) في أساس البلاغة : سحابة مِدرار ولها دِرّة ودِرَر .

(٣) في الأصل : والمصاب ، ولا يستقيم به الوزن .

(٤) يستأنف ، اقتبل البقاء : استأنفه .

لئن رُزِئتَ التي ما مثلها امرأة (١) … لقد أُتيتَ الذي لم يُؤْتَهُ (٢) رَجُلُ
صبراً ومعرفةً بالله صادقةً … والصبر أجملُ ثوبٍ حين يُبتَذَلُ (٣)
عَزّيتَ نفسكَ (٤) عنها بالنبيِّ وما … في الخُلدِ بعد النبيِّ المصطفى أمَلُ
وكيف نرجو خُلوداً لم يُخَصَّ به … مِن قبلنا أنبيــاءُ اللهِ والرُّسُلُ
عَمَّرَكَ اللهُ في النَّعماء مُبتهجاً … بها وأعطاكَ منها فوق ما تَسَلُ

* * *

(١) كذا في المخطوطة الباريسية ، وفي عبث الوليد (مَرَة) وتعليق المعري يقول فيه : (قد جمع أبو عبادة في قوله « مَرَة » بين شيئين ، تخفيف الهمزة التي في قولك « مرأة » ، وحذف الهمزة الأولى التي هي همزة الوصل ، وهذا جائز على قلته ، ومنه قول بعض اللصوص :
ولستُ أرى مَرْءاً تطول حياتُه … فتُبقي له الأيامُ خالاً ولا عمّـا)
ومنه أيضاً قول دعبل الخزاعي معاصر البحتري وصديقه :
فاحفظ عشيرتك الأدنين إن لهم … حقاً يفرّق بين الزوج والمَرَه
(الكامل للمبرد ، طبعة المبارك وشاكر ١٣٥٥ هـ : ج ١/ ٣٥٤) .
(٢) في الأصل : يأته ، وأثبتنا ما جاء في عبث الوليد ، وقد علّق المعري على قول البحتري (أتيتَ) بمعنى (أوتيت) فهي كلمة لم تُستعمل لذاك ، وخيرٌ للبحتري أن يقول (فقد حُبيتَ) .
(٣) ابتذل الثوب : لبسه .
(٤) يشير البحتري هنا إلى قول المتوكل عند وفاة أمه ، فقد ذكروا أنه قال في موتها بيتاً من الشعر ، وهو :
تذكّرتُ لمّا فرّق الدهرُ بيننا … فعزّيتُ نفسي بالنبي محمد
وقد أجازه له بعض من حضر فقال :
فقلت لها إن المنايا سبيلُنـا … فمن لم يمت في يومه مات في غدِ
(انظر النجوم الزاهرة : ٢/ ٣٢٣) .

ملاحظات ونظرات

١ – لم يَرِد لأمّ المتوكل في شعر البحتري ذكرٌ في غير هذه المرثية التي بكاها بها في حياة ولدها ، فأدّى بذلك واجب الشاعر الرسمي للخليفة ، وإن لم يكن للحدث المحزن صلة بقلبه ووجدانه ، على أن أم المتوكل كانت – فيما يحكيه المؤرخون عنها – سيدةً جليلة صالحة ، تبسط يدها في الإحسان إلى الفقراء من مالها ، وكانت أحزان المتوكل لوفاتها عميقةً ، أنطقته بالشعر الحزين بكاءً عليها ، ولهذا كان المأمول من شاعر الخليفة أن يُعمّق إحساسه بآلام سيّده وأن يتمثلها وأن يجد السبيل الى قول مغموس بدم القلب ، لولا أن البحتري من طبيعة نفسية مرحة ، تنفر من الكآبة ، وتستعصي على المشاركة الوجدانية الصادقة في مآسي الآخرين .

٢ – تاريخ نظم القصيدة سهل التحديد ، فقد توفيت أم المتوكل سنة ٢٤٧ هـ ، ولحق المتوكل بها بعد ستة أشهر من وفاتها ، وفي خلال هذه الفترة دون ريب نظم البحتري هذه المرثية .

٣ – إذا استثنينا من مراثي البحتري قصيدتين هما رائيته في المتوكل وميميته في أبناء حُميد الطوسي (الديوان : الجوائب : ١/٢٨ ، ٢/٥٥) لم نجد للبحتري إبداعاً في الرثاء ، ذلك أن الشاعر كان يبكي في هاتين المرثيتين نفسه ويندب أفول مجده بمصرع المتوكل والقادة الطائيين من آل حميد ، فجاء رثاؤه هنا صادق اللوعة ، يفيض وفاءً ويتدفق إخلاصاً وجدةً وأصالة ؛ أما مراثيه الأخرى فهي قصائد يابسة لا تخرج على النهج التقليدي للمرثية ، والبحتري يستهلها غالباً بتعظيم الرزء ، وذم الدهر الخوّان ، والتوجع من صروفه قبل أن يصل إلى الفقيد فيعدد مناقبه ويصوّر الفراغ الكبير الذي خلّفه بوفاته ويصف الحزن الطاغي لفقده ، ثم ينتقل بعد ذلك إلى أهل الفقيد فيعزيهم ويمدحهم ، وبذلك يصبح الرثاء جسراً إلى المديح ، ويتخلص الشاعر من كآبة جو الموت ، باحثاً بعينيه النهمتين أبداً إلى المال عن ممدوح جديد سخيٍّ ، من أهل الراحل ، يحل محلّه ، ويجزي الحمد بالثمن الربيح .

٤ — ورثاء البحتري لأم المتوكل يجمع هذه الخطوط العامة التقليدية ، ذلك أننا نلاحظ في القصيدة الأقسام الثلاثة التالية :

أ — تصوير الحزن وتعظيم المصاب : ويشغل الأبيات (١ — ٤) فالدمع مسكوب ، والحزن مشتعل الحرقة ، والصبر مفلول عند هذا الحادث الجلل .

ب — تمجيد الفقيدة : ويشغل الأبيات (٥ — ١١) فقد كانت ذات يد كريمة ونفس طيبة ، وكانت سيدة الناس بمآثرها ، فأرداها الموت ، فبكتها العيون والقلوب ، وعمّ الحزن الناس في الشرق والغرب ، والسهل والجبل ، ودعوا أن يثيبها الله الجنة .

ج — تعزية الخليفة ومدحه : ويشغل الأبيات الباقية (١٢ — ٢٠) والبحتري يصف هنا آلاء الخليفة وبشره وهيبته ، ويدعو له بطول العمر ، ذلك أن بقاءه بقاء للدين ، وكل خطب هيّنٌ بعده ، والمتوكل قد أوتي الصبر والإيمان فعزّى نفسه عن أمه بالنبي ، وكيف يرجو لها خلوداً لم ينله قبلها الأنبياء ! ويسأل الشاعر الله أخيراً أن يمد في حياة الخليفة ويزيده نعمة وبهجة ، وأن يعطيه فوق ما يسأل .

٥ — في القسمين الأول والثاني وصف للحزن بلهجة تقريرية جافة ومبالغات بائسة تجعل الحداد شاملاً للشرق والغرب ، والسهل والجبل ! ولم يوفق البحتري إلى أن يخفي بهذا الطلاء فقر انفعاله وقصور عاطفته ونفور وجدانه من الانغماس في الجو الحزين القاتم الذي يرسم خطوطه ؛ أما القسم الأخير فيكاد يكون مديحاً خالصاً للخليفة ، مقطوع الصلة بالإطار الأسود الذي تقدمه ، ذلك أننا نرى الشاعر فيه وقد برقت أساريره ، فذكر البشر والنعماء والبهجة ، وكأنه نسي ما كان يسكبه من (غروب الدمع) وما كان يُشعله من (غليل الحزن) .

٦ — هذه القصيدة لا تقع دون الحسن من شعر البحتري وإن لم تلحق بالجيد المختار منه ، ولو لم تكن مرثية ، والرثاء الحق نبعة تفور من أعماق القلب ، لنجت من أكثر المساوىء التي أشرنا إليها .

(يتبع) الدكتور صالح الأشتر

كـتاب النفس

لابن باجّة الأندلسي

- ٧ -

الفصل السادس

القولُ في الشمّ

والشمّ هو إدراك معنى المشموم كما قلناه قبل ، وهو مرتب في الأنف . وقد يجب أن نسلك ذلك السَنَن فنفحص عن القابل الأول للمشموم ما هو ؟ فبذلك يتبين لنا ماهو الشمّ بالذات ، وما هو له بالعرض ، كما تبين ذلك في البصر . فإن اللون هو المرئي ، والقابل الأول هو البسيط . ويشبه أن تكون الحواس الثلاثة الباقية جنساً آخر من الوجود ، كما تبين ذلك ، وإن هـذه الحاسة (١) أشد ضرورة في سلامة المغتذي من الأولين . ويحق (٢) كان ذلك ، لأنها أحوال من أحوال الممتزج . فإن اللون والقرع يوجبان تغيّر الممتزج لما يوجدان (٣) للممتزج لا بالعرض < و > لا بالذات . وان اللون لا يتبع المزاج كما تبين ذلك في مواضع أخر . وقد لخص ذلك الإسكندر الأفروديسي (٤) .

---

(١) المخطوطة : الحواس .

(٢) المخطوطة : بحو .

(٣) المخطوطة : كما يوجد .

(٤) ترجمة ابو عثمان الدمشقي ، نسخة جيدة لهذا الكتاب موجودة بخزانة اسكوريال ، ميـدرد ، رقم ٧٩٤ (راجع : Casiri : Bibliotheca Arabic—Hispana Escurialensis, vol.. I. p. 242. Foll . 69 b—17 a) . ولقد جهدتُ لحصول نسخته الشمسية ولكنهم رفضوا الطلب وقالوا إن الأب "س" انا يريد ان ينشر هذا الكتاب بتحقيقه . ولكن ابن باجة يشير هنا الى تصنيفه المسمّى « مقالة الاسكندر في اللون وأي شيء هو على رأي أرسطو » ، وكان في محتويات نسخة برلين المفقودة الآن : Ahlwardt : Die Handschriften.., vol IV. No. 5060 .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والمشموم الأوّل هو الرائحة . فلنقل ما الرائحة . فأما أن كل ذي رائحة فهو ممتزج فكذلك تبين عند تصفح الأجسام . فالامتزاج [1] يتقدم الرائحة في الجسم بالطبع . فأما أنه ، مع أنه مقدّم بالطبع ، ذاتيّ فبيّن أيضاً عند تصفح الرائحة وتولدها ، كما عرض ذلك في (ورقة ١٥٨ ب) الألوان ، فإن التصفح انما وقع لبعضها ووقع اليقين في الكل . والأمر في أمثال هذه ، على ما يقوله أبو نصر ، انها إنما تصير يقينية في زمان وهي مباينة للأزمان في الكثرة والقلة ، فإنا نشاهد في الصيف في بعض البلاد تراباً ليس له رائحة فاذا حدث عليه قطر المطر حدثت له الرائحة عند ملاقاة المطر له ، ولا سيما متى كان المطر من سحاب قريب فانه عند ذلك يكون حاراً وربما كان ثلجاً .

وكذلك أيضاً يتقدم بالطبع وجود الطعم في ذي الرائحة الرائحة فتكاد الرائحة أن تكون هي طعماً ، ولذلك تعرف طعوم أشياء كثيرة من روائحها . وأكثر الحيوان غير الناطق إنما يستعمل هذه الحاسة في معاشه [2] كما يوجد ذلك في النسر وفي الكلاب وفي الدواب . فإن الخيل تنصرف عن أغذيتها إذا اقتربت بها [3] رائحة غير رائحتها الطبيعية . ولذلك كانت هذه الحاسة في غير الإنسان قوية وكانت في الإنسان ضعيفة [4] لأن الحيوان إليها أحوج . ومن شأن هذه في كثير من الحيوان أن لا يحس [5] حتى يستنشق [6] وهو

---

(١) هذا الرأي أيّده ابن رشد كما يظهر من تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٣٩ ، حيدر اباد ، ص ٣٤ .

(٢) راجع أرسطو : De Sensu, 5, 443 b 24 sq; 444 b 1 — 14; '30 — 445 a .

(٣) لعل الصواب : اذا اقترنت بها ، او اذا اقتربت منها . (لجنة المجلة)

(٤) راجع أرسطو : De An. ii. 9, 421 a 9 .

(٥) المخطوطة : لا يحس .

(٦) راجع ارسطو : De An. ii. 7, 419 b 1 .

ما كان له رئة[1] . فإنه لو وضع ذا[2] الرائحة على الأنف لما أحس[3] حتى يستنشق . والرائحة قد يتحرك بها الهواء على بُعد من المستنشق بقدر لا تحركه[4] هواء النفس وذلك مشاهد .

وهذه الحاسة عليها حجاب[5] لا ينفتح . فاذا وقع الاستنشاق انفتح ذلك الحجاب فوصل ذو الرائحة إلى الحاسة . ولذلك متى أراد الذي يشم إيصال وجود الرائحة لم يتنفس دفعةً بل يتنفس في زمان طويل أو جعل التنفس متلبثاً .

وما يظهر أن القابل للرائحة هو بالجملة مجانس للهواء وليس هذا فقط بل هو

---

(١) أيضا : De An. ii. 8. 420 b 23; De Sensu. 5. 444 b I sq. .

(٢) المخطوطة : ذي .

(٣) هذه هي حال سائر الحواس فانها لا تدرك كل ما يلاصقها ، راجع ارسطو : De An. ii. 9. 421 b 14 — 19 ، أيضا تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ١٥١ س ١١ . وايضا المخطوطة الفارسية ، بودليانا ، Ous. 95 ورقة ٤٧ الف س ٢٠ : « واين حواس ديگرراكه وصف كرديم نه چنين باشدكه أن حواس تادرهوادرميان نباشد محسوسات خردراتيابد ، چون حس بينائى وشنوائى وبويائىكه اگر مردم جيزديدنى رابر حدقه جشم نهدنه بيد ، واگرچيز آواز دهنده برپوست درون گوش نهد آرازآن نتواند شنيد واگرچيز بويارا ظاهر مجراى بينى نهد بوى ان ليابد .

(٤) بقدر لا يحركه . (لجنة المجلة)

(٥) لم يصرح أرسطو أنه هناك غشاء على المناخر يزول وقت الاستنشاق ، ولكنه زعم ان حاسة الشم لها شيء مثل الغشاء كما ان البصر له غشاء في العين يحفظها . (De An. ii. 9. 421 b 29 — 422 a 4) ، ولكن ابن باجة تيقن به ، لعله أخذه مما كتبه أرسطو في كتاب الحاس والمحسوس (5. 444 b 21 — 25) ان الحيوانات التي تتنفس يزول فيهم شيء شبيه بالغشاء من آلة الشم وقت التنفس ، والحيوانات التي لا تتنفس لا يزال هذا المانع فيها مرتفعا ، وراجع تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ص ١٥٠ . والمخطوطة الفارسية ، ورقة ٤٧ الف : « واما ديگرجانوران كه راه گذربيني دارند بالاى گذرگاه حجابى بود شان كه هوارا بازدارد ازرسيدن بدان منافذ مگرآنكه بركشند وبجنبا نندوهمچنين تواننديد مگركه جشم بكشايد » .

إنما دخان أو بخار ما يعرض للبخورات والكثير من المطبوخات . وقد فصلت هذه كلها في كتاب الحاس والمحسوس [١] . ولذلك يبقى في كثير من الأجسام الصلدة روائح الأجسام بعد ذهابها ، مثل ما يبقى في أواني النحاس رائحة الخمر والعسل بعد غسلها زماناً طويلاً . فتبقى في الأوعية روائح الأجسام المودعة فيها ، ولذلك قد تشتبه على الشم الأجسام التي لها تلك الروائح كما عرض ذلك في السمع [٢] . فإن هاتين الحاستين تفارق محسوساتها [٣] وقوابلها [٤] ما هي منه . وليس كذلك البصر ولا اللمس . فلذلك تدرك [٥] تانك الحاستان الأطوالَ والأشكالَ أكثر من هذه .

وأما الذوق فسنبين أمره كيف هو . ولما كان الممتزج على ما تبين في مواضع أخر ، وقلناه نحن قبل . إما أن يكون بنضج أو دون نضج ، كما يعرض ذلك في الذهب والفضة ، وما هو بنضج . والنضج يقال (ورقة ١٥٩ الف) بعموم وخصوص ، فإذا قيل بعموم كان كالجنس للشيء والطبخ ، وإذا قيل بخصوص كان مرادفاً للطبخ .

وتبين أن النضج إنما يكون في المختلط من رطوبة ويبس . فإذا أنضجته الحرارة نوعاً من النضج حدث عند ذلك في ذلك الجسم المعنى الذي يقال له الطعم . ولذلك كل ذي طعم فهو ذو رطوبة ما . فإذا اتفق لهذا امتزاج آخر من رطوبة ويبوسة اختلطت بهذه ، ونضجت نضجاً ، فما حدث عن ذلك الرائحة ، وقد تلخص أمرها في الحاسّ والمحسوس [٦] .

---

(١) راجع أرسطو : De Sensu. 5. 443 a 21 — 30 .
(٢) راجع النص آخر ورقة ١٥٧ ب .
(٣) المخطوطة : محسوساتها .
(٤) المخطوطة : قوابلها .
(٥) المخطوطة : قابل .
(٦) بيّن ابن باجة غاية الشم في كتاب الحس : De Sensu. 5. 443 a 7 .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتبين أن الرائحة تكون عندما تفسل [١] الرطوبة اليبوسة ذات الكيفية وتنضج بالحرارة نوعاً من النضج ، ولذلك توجد هذه في النباتات أكثر مما توجد في الحيوان وفي الأحجار .

فذلك الحاصل في تلك الرطوبة الممتزجة باليبوسة التي قد أنضجتها الحرارة ـ ما كان منها متبخراً كان ظاهر الرائحة بنفسه . وما لم يكن ظاهر الرائحة بل كان ذا رائحة بالقوة فلذلك يحتاج إلى النار وإلى حرارة . ولذلك متى دُلّك ذو الرائحة أو فرك [٢] وبالجملة إذا استحر ظهرت رائحته [٣] . فان الرائحة تحتاج إلى حرارة منضجة أولاً فقد تكتفي بذلك مثل المسك والأبنى السائلة [٤] ، وقد لا تكتفي فتحتاج الى حرارة أخرى كعود الطيب [٥] والسندروس وما شاكل ذلك .

ولما كان الشم هو إدراك معنى المشموم ، وكان وجود المشموم هو الوجود ، لم يدرك الشم شيئاً من لواحق المشموم من غير الطعم . ولذلك لا [يدرك] الشم إلا بالعرض . وذلك إذا اتفق أن يكون ورود المشموم من جهة واحدة تميزت له جهة الشم [٦] بالعرض . فتميزت له جهة الشم [٧] بالقصد الثاني .

---

(١) راجع أرسطو : De Sensu. 5. 443 a 1; b 3; 445 a 14; 4. 441 b 18 .

(٢) أيضاً : 4. 441 b 18; 5. 443 b 16 .

(٣) وابن رشد تبع ابن باجة في البيان ، تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٤٠ ، حيدر اباد ، ص ٣٤ .

(٤) راجع ابن رشد ، تلخيص ، الاهواني ، ص ٤٠ ، حيدر اباد ٣٤ ، وراجع كتاب النفس ، الاهواني ، ص ١٥٠ ، والمخطوطة الفارسية ورقة ٤٧ ، س ٦ وحس بويائي همان شناسد كه موافق وخوش بود ويا مخالف وناخوش ، ونتواند كه بوى گل‌را ازبوى ميه جدا كندونه بوى صبررا ازبوى سنبل كه همين داينر كدبوبهاى ناخوشت يابويهاى ناخوش .

(٥) مشهور بالعود الهندي ، راجع ابن رشد ، تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ص ٤٠ .

(٦) المخطوطة : المشموم .

(٧) المخطوطة : المشموم .

الفصل السابع

القول في الطعْم

وقد تبين وجود الطعم أيْ وجود وجوده[١]، وإن الطعم لا يمكن أن يكون لا في رطب، ولا في يابس، ولذلك لا يوجد للرماد ولا لماء الصرف ولا للهواء. ولذلك يوجد لماء البحر طعمٌ ولماء الآجام لليبوسة التي تخالط تلك المياه.

فهيولى الطعم الرطوبة[٢]، ولذلك متى يبست آلة الطعم لم تجد طعم الأشياء الغالبُ عليها[٣] اليبس، وتجد لذلك طعم الرطب. فإن الطعم يحرك رطوبة الفم فيقبلها على نحو ما يقبل الهواء اللونَ. وتحرك الرطوبة حاسة الذوق[٤]. ولذلك متى كان رطباً قامت الرطوبة الحاملة مقام الرطوبة الطبيعية. فالرطوبة يفتقر اليها الطعم أما أولاً فهي[٥] أن يكون موجوداً، وثانياً لأن يكون محسوساً.

ولذلك جعلت النغانغ[٦] لتصنع الرطوبة الطبيعية التي بها يكون الذوق.

---

(١) راجع النص نفسه، ورقة ١٥٩ الف، ... فما حدث عن ذلك الرائحة الخ.

(٢) قال ارسطو إن الجسم المشموم والمطعوم يتعلق بشيء سائل: De An. ii. 10, 422 a 10.

(٣) المخطوطة: عليه.

(٤) راجع أرسطو.

(٥) المخطوطة: هي.

(٦) خالف ابن رشد رأي الاسكندر الافروديسي الذي كان يرى « ان هذه القوة ليست تحتاج الى متوسط »، واستدل قائلا « فن هذه الاشياء كلها قد يظهر ايضا ان هذه الحاسة انما تدرك محسوسها بتوسط هو هذه الرطوبة، وقد صرح بذلك ابو بكر بن الصائغ في كتابه في النفس وثامسطيوس »، الاهواني، ص ٤١.

وهي ممتزجة من يبس ورطوبة نحواً من الامتزاج ، ولذلك هي لزجة . وهذه الرطوبة (ورقة ١٥٩ ب) هي غير[١] ذات طعم لئلا يعوّق طعمها قبول طعوم المتضادة لها[٢] . فلذلك يجد المحموم الطعوم كلها مُرّة[٣] ، لأن الرطوبة التي في فمه مُرة لمخالطة الدخان اياها ، وقد تلخص ذلك في غير هذا الموضع .

والطعم ضروري في الحيوان[٤] ، ولذلك لا يوجد منه ما لا يطعم إلا قليل مثل جنس ذوات الأصداف واسفنج البحر . ويشبه أن تكون هذه تكتفي باللمس في اغتذائها لبعدها عن الاعتدال ، ولأنها تجري مجرى النبات .

ولذلك لا يحسّ الذوق بشيء من لواحق ذي الطعم غير الطعم ، ولذلك يصير الطعم ألذّ وأكره بكونه أرطب وأيبس وأحرّ وأبرد ، وذلك بيّن بنفسه .

* * *

الفصل الثامن

القول في اللمس

واللمس هي القوة على إدراك الملموس . والملموس قد يظن به أنه أصناف كثيرة[٥] ، فتكون قوة اللمس أصنافاً كثيرة ، إلا أنها في موضوع واحد .

---

(١) المخطوطة : تكرّر « هي غير » .

(٢) لعل صحيح التعبير : الطعوم المضادة لها . (لجنة المجلة)

(٣) راجع ارسطو : De An. ii. 422 b 8 .

(٤) ايضا : De An. iii. 12. 434 b 10 — 24; De Sensu. I. 436 b 13 .

(٥) وابن باجة اوضح قوله في كتاب الحيوان (ورقة ٩٥ ب) واللمس فقد يظن به انه اصناف كثيرة ، فان اللمس هو الحار والبارد والرطب واليابس والصلب واللين ، وهذه القوة واحدة كانت او اكثر من واحدة نهي اللحم وما جرى (ورقة ٩٦ الف) مجراه . وهذا الحس يحتاج اللحم اكثر مما يحتاج اليه غيره ولذلك كان الانسان احسن لمسا من سائر الحيوان لان اللحم فيه كثير وليس له شعر ولا ريش ولا فلوس ولا خزف بل الجلد » . وقد أشار الى هــذا أرسطو حينا قال (De An. ii. 422 b 18) : « إن لم يكن اللمس حاسة بل كان مجموعا لحواس فلا بد من أن يكون الملموس اكثر من واحد » .

وهذه الحاسة هي شايعة[١] في بدن الإنسان ، وليس لها عضو مخصوص كما لسائر الحواس . بل لها قابل محدود النوع في كل حيوان ، وهو اللحم أو ما يقوم مقامه فيما لا لحم له[٢] . فإن الجلد ليس فيه الحاس الأول[٣] لأنه اذا كشط أحسّ اللحم ليس بأنقص من إحساس الجلد ، بل هو أحرى أن يظن به أنه أشد لمساً .

وهذه الحاسة على ما تقدم ، هي التي لا يخلو[٤] منها حيوان وبها يكون الحيوان حيواناً . ولذلك متى فقدت هذه الحاسة ارتفع معنى الحيوان عن ذلك الشخص . ولا تخلو[٥] <من> أن يكون لها لمسٌ .

ولما كانت الملموسات ، على ما تبين في الثانية من الكون والفساد[٦] ،

---

(١) وبيّن ابن باجة ايضا ، (ورقة ٩٥ الف) . وهذه القوة (أي قوة اللمس) ليس لها موضوع منفرد كالعين للبصر والمنخر للشم وثقب الأذن للسمع بل نجدها شايعة في الجلد كله ومحيطة به .

(٢) راجع ابن باجة : ورقة ٩٦ الف : والحس منه ما هو شامل الأعضاء كاللمس وآلته اللحم او ما يقوم مقامه فيوجد في كل عضو له شركة في الحس لحم . وأمّا ان يكــون منفرداً كالحواس الاربع . وانظــر أرسطو : De An. II. 422 b 20; 423 a 13 .

(٣) استدلّ ابن باجّة قائلا : ورقة ٩٦ الف : فجلد الانسان فقد يظن به أنه الحاسّ الاوّل واما انه ليس الحاسّ الأوّل فذلك بيّن لأن اللحم يحس دون الجلد اكثر مما يحس والجلد عليه .

(٤) المخطوطة : لا يخلوا .

(٥) المخطوطة : ولا تخلوا .

(٦) ايضا ابن باجة ورقة ٨٧ الف : : ان كل واحد من هذه (اجسام اربعة) فهو جسم ملموس وذلك معروف بنفسه ، ولما كانت الأجسام المشاهدة ليست البسائط بل ما كانت اقرب الى البسايط ظن بأن المرئة بما نشاهد ليست مكتفية بنفسها على ان تردف بالقول . فنقول ان الحار والبارد والرطب واليابس امور محسوسة فهي موجودة . وهذا علم اول مكتف بنفسه فظاهر قريباً من ذلك انها في موضوع واحد وان قوام جسم وصورته من حيث هو ما هو است واحدة منها . وانواع الأجسام المشاهدة فكل واحد منها فيه ضرورة اثنان من هذا الاربع لا يخلو جسم منها ؛ ارسطو : 423, 27 .

يرجع كلها إلى الحار والبارد والرطب واليابس ، وكان هذا < ن > التضادّان ليس يرجع أحدهما إلى الآخر فإن كل حس فإنه لمتضادّين [١] . وقد يعرض للمتضادين أن يكونا موضوعين لتضاد آخر . مثال ذلك اللون : أطرافه الأبيض والأسود ، والأبيض موضوع البراق والابراق [٢] ، والضوء طرفاه الثقل والحدة وهذه موضوعة الأملس والخشن والخفي والجهير .

وكما أن تلك حاسة واحدة تتبعها قوى كثيرة كذلك يشبه اللمس [٣] . وبالجملة فإن القوى تتبع الموجودات في ترتيب وجودها . لكن الرطب واليابس والحار والبارد لا تتابع بينها على ذلك الوجه فإنه لا واحد منها [٤] موضوع الآخر لكن بينها تتابع آخر بالذات وتلازم ؛ وقد تلخص ذلك في غير هذا القول . [ورقة ١٦٠ الف] فلما كانت هذه لا تنفصل في وجودها في الموضوع فلذلك كانت القوى اللامسة لا تنفصل وكانت في حاسة واحدة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولما كان كل جسم كاين فاسداً فهو ملموس ، ولا يخلو [٥] الموضوع من هذه المتضادات كما يوجد الموضوع خالياً من سايرها ، فإنه قد يوجد جسم لا لون له [٦] ويوجد جسمٌ لا صوت له وذلك في الرايحة والطعم ، فلذلك اتخذت

---

(١) راجع ارسطو : De An. II. 424 a 7 .

(٢) انظر ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ص ٤٦ ، حيدراباد ص ٤٠ .

(٣) وصف ابن سينا قوة اللمس في الشفا ورقة ١٦٦ الف : ويشبه ان يكون قوى اللمس قوى كثيرة كل واحد منها يختص بمضـــادة فيكون ما يدرك به المضادة التي بين الثقيل والخفيف غير التي يدرك به المضادة التي بين الحار والبارد ، فان هذه افعال اولية لحس يجب ان يكون لكل جنس منها قوة خاصة الا" ان هذه القوى لما انتشرت في جميع الآلات بالسوية ظنت قوة واحدة .

(٤) المخطوطة : فان ما لاواحد منها .

(٥) المخطوطة : لا يخلوا .

(٦) هذا مخالف لما قال ارسطو في De Sensu. 6. 445 b 12 ، وانظر ايضـــاً : De An. II. 7. 418 b 27 — 30 .

آلات تلك من أمثال هذه الأجسام . فأما هذه فلما لم يكن ذلك كانت من المعتدل لأن المعتدل هو بوجه ما ولا واحد من الطرفين بالقوة . فلذلك كانت آلة اللمس معتدلة من الحار والبارد والرطب واليابس . ولذلك لما ظن جالينوس أن اليد هي آلة اللمس حكم بأن جلدة اليد هي المعتدلة بين الأطراف . فنقل ما للجسم الذي فيه القوة اللامسة إلى بعض آلات اللمس . وهذا الجسم هو الحار الغريزي . ولما لم يكن فيه الاعتدال لذلك وصله الأجسام التي يسميها أرسطو سيلا ويسميها جالينوس عصباً لأنها تأتي بالبرودة النفسانية من الدماغ . ولذلك أي عضو لم يتصل به سيل من الدماغ لم يكن فيه لمس ، ولذلك لا يلمس الكبد ولا الكلى ولا العروق الضوارب وهي مملوءة من الروح الغريزي .

فأما كيف تكون برودة نفسانية ؟ وذلك قد تبين خلافه . فإن آلة النفس هي الحار الغريزي . فإن البرودة تقال على الأطراف وعلى الأوساط ، والتي في الدماغ لا يمكن أن تكون طرفاً ، فإنما هي وسط وهو ما بين المعتدل والطرف . وإنما يكون الوسط وسطاً يخالطه الضد ، فتلك البرودة تخالطها حرارة نفسانية . ولذلك تصير الحرارة إلى الدماغ من القلب في الشرائين وتصير عليه الشبكة المشيمية لتسكنه هذه الحرارة المعتدلة لبرودتها ، وبها تكون في تلك الرتبة . فهي نفسانية من جهة ما هي حرارة لا من جهة أنها هي بالرتبة تلقب بالطرف .

وقد يتشكك على حاسة اللمس . منها أن كل حاسة فإنها متحركة عن المحسوس حسب ما تلخص القول المجمل في الحس [١] . والمحرك منه قريب ومنه بعيد ، ومنه بالذات ومنه بالعرض . والبعيد الذي هو المحسوس ، والقريب

(١) راجع ارسطو : De Sensu. VI. 446 a 21

الذي هو الخادم كالهواء للبصر والسمع والشمّ ، والرطوبة للذوق . فقد ينبغي أن نطلب [١] هنا مثل ذلك .

وثامسطيوس يسلم أن الهواء تخدم مثل ذلك كله . فانه شيء لا يمكن أن يتماسّ السمك [٢] في الماء < بغير الماء > ، لأن الرطوبة لا يمكن أن تنسلخ جملة عن الأجسام التي في الماء . فإن الموائي أحس [٣] بذلك .

واللمس قد يكون بتوسط أكثر من واحد وإن كان غير طبيعي ، كما يعرض ذلك إذا غُشي بعينه ، فإنه قد يدرك الصلب واللين (ورقة ١٦٠ ب) والحار والبارد ، وكما يحس بتوسط العكاز [٤] مثلاً ، غير أنه وإن كان يحس بذلك فلسنا نحس كل أنواع الملموس ، فإنا لانحس بتوسط العكاز لا الحار ولا البارد . بل إنما نحس بالصلب واللين . ونلمس الحار والبارد عندما يغشى الجلد ، وليس إنما يكون الغشاء يخدم بل ينفعل من ذلك ويكون هو المحسوس أولاً .

وأما هل حاسة اللمس هو اللحم أو في اللحم ؟ فإن ذلك ليس بتبيين [٥] ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) والتفت ارسطو الى هذه المسألة في : De An. II. 11. 422 b 23.

(٢) راجع كتاب النفس لاسحاق ، الاهواني ، ص ١٥٣ ؛ والمخطوطة الفارسية ، ورقة ٤٧ ب ١٩ : « جواب گفت حاسه لمس ملموس رابيانجى هوادريابد ليكن هوا پوشيده بودودرين مثل زد گفت : اگر كسى دست بآب فروبرد وبيرون آوردبدست سنگى رابر گيرد چارميان سنگ ودست آب بود ليكن پنهان ازغايت لطافتش پس چون آب بتوسط ميتواند بودميان دست وآنچه بدست گيردبى آنكه نتوان ديداز لطافت هواسزوارتر كه‌در توسط پوشيده ماندكه هوا از آب بسى لطيفتراست » . وابن رشد اقرب الى ابن باجة واظهر في البيان ، تلخيص : الاهواني ص ٥٥ ، وحيدر آباد ص ٤٥ .

(٣) المخطوطة : احسى ، وبالهامش : « احرى » .

(٤) المخطوطة : العار ، وبالهامش : « العكاز » .

(٥) راجع ابن باجـة : ورقة ٩٦ الف : على ما نشاهد ان الحس في اللحم ، ولا يبالي ... هل اللحم هو الحاس ام الروح الغريزي ؟ واللحم له آلة » . ايضا ارسطو : Hist. An. I. 489 a 24

لكنه كيف كان فهو متصل باللحم وهو أحد ما به قوام اللحم .

والملموسات ، فقد تلخص أمرها في مواضع كثيرة . فإن لها قوى شايعة في الجسم[١] ، قوامها في الجسم من حيث هو جسم . فلذلك تدرك اللامسةُ الأطوال والأشكال كما يدرك ذلك البصر .

فأما انه لا توجد حاسة غير اللمس ، فذلك قد يبين ما نقوله : وذلك أنه وإن وجدت فسيكون لها محسوس خاص ، وذلك المحسوس يجب ضرورة أن يكون محركاً جسمانياً . ولا محرك جسماني إلا هذه الخمس[٢] ولذلك لا يمكن أن تكون حاسة مفردة للمحسوسات المشتركة تحرك[٣] أشياء . فأما الحاس الذي يدركها فسنبين أمره بعد . وأيضاً فإنه إن كان ها هنا حاسة سادسة[٤] وجب ضرورة أن تكون لحيوان ما ، وذلك الحيوان يكون ضرورة غير الإنسان ، فإنما للإنسان هذه الخمس بالطبع ، فيكون ذلك الحيوان حيواناً ناقصاً[٥] . ومحال أن يوجد للناقص ما لا يوجد للتام . وقد تلخص في أول

---

(١) ايضا ارسطو : DeAn. III. 13. 435 a 20 ; De Part. An.II. 1. 647 a 15 ; Hist An. I. 3. 489 a 18 ابن رشد الاهواني ص ٧٤ وحيدراباد ص ٤١ .

(٢) أيضا ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ص ٥٦ ، حيدر آباد ص ٥١

(٣) المخطوطة : لا تحرّك .

(٤) راجع ارسطو : De An. III. I. 424 b 22 ؛ وابن رشد : تلخيص ، الاهواني ص ٥٨ ، حيدرآباد ص ٥٣ .

(٥) وفي المخطوطة زيادة : « تخريجة كانت في الأصل المنقول منه هذه النسخة ، إن هذا القول زيادة ، مثاله انذكر ها هنا القول الذي التف من الهيولى لأن البصر من ماء والسمع من هواء وكيف يلزم عنه ان لا تكون حاسة سادسة ؟ ، هذا معنى . »

الحيوان[(١)] كيف يشبه ما يوجد للحيوان الناقص ما لا يوجد من نوعه للحيوان الكامل وهو الإنسان كالجحفلة للحمار والخرطوم للفيل ، وسائر الأعضاء التي يختص بها حيوان حيوان ، وإن كان ذلك موجوداً[(٢)] للإنسان بوجه أكمل ، فإن الجحفلة والخرطوم هي يد ناقصة . واذا كانت الأعضاء إنما تحد بغاياتها وبقوّتها استعدادها لحصول تلك الغايات ، وكان ذلك موجوداً للإنسان أو ما يكون أفضل منها ، فيجب أن توجد للإنسان هذه الحاسة ضرورةً لئلاّ[(٣)] يكون هنا ما هو أفضل . وذلك بيّن مما تلخص من كتاب الحيوان .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) راجع ابن باجة : ورقة ١١٠ ب : « والاكمل هو الذي يوجد له جميع الاعضاء الافضل ، فان العظام فيا اعدت افضل من الشوك وكذلك جميع القوى ، والانسان افضل الحيوان لأنه يوجد له جميع أجزاء النفس ولما كانت اجزاء الجسد انما هي آلات نفسانية كالعروق والعضل ، ومنها ما يتم به قوام جميع جسده كالعظام فضرورة يجب حيث كانت اجزاء النفس اكثر ان يكون هناك عدد انواع الاعضاء اكثر ، وحيث كملت اجزاء النفس فهناك يكمل عدد انواع الاجزاء بالجملة ما كان منها عضواً وما كان منها شيا حيوانياً . والانسان ففيه قوى النفس المشتركة ، وفيه قوى يختص بها هو وحده ، فلو كانت نفساً كما يجب ضرورة ان يستعمل آلة فكان يجب ضرورة أن يكون في الانسان نوع من الاعضاء لا يوجد في حيوان اصلاً » .

والنظر ارسطو : Hist. An. I. 2. 488 b 30; 486 b 18 ؛ وابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ص ٥٨ ، حيدر اباد ص ٥٣ .

(٢) المخطوطة : موجود .

(٣) المخطوطة : الا .

الفصل التاسع

في الحسّ المشترك[١]

فأما أن هذه الحواس كلها قوى لحاسّ واحد[٢] هو الأوّل وهو الذي يسمى الحسّ المشترك . فبين ما نقوله : أما وجود هذه القوة فقد تلخص فيما كتبناه في الحسّ مجملاً ، وهو الهيولى الذي تصير به المعاني محسوسة[٣] . (ورقة ١٦١ الف) ولذلك متى التبست باحدى الحواس تحركت مثل حركة هيولى تلك الحاسةُ ، فهي بالموضوع واحدة[٤] وبالقول كثيرة[٥] ، كما يعرض ذلك لمركز الدايرة[٦] فإنه بالموضوع واحد وبالقول كثير .

ولما كانت ها هنا محسوسات مشتركة فهنا ضرورة قوة مشتركة[٧] تقبل تلك[٨]. في اللمس والبصر ضرورة قوة واحدة مشتركة تقبل ذلك المعنى .

وهذه الحاسة التي كان البحث عنها أيّ شيء هي ؟ وأيضاً فإن هنا محسوسات مشتركة للحواس الخمس . فبين أن هناك قوة مشتركة لها . وتلك القوة تقضي

---

(١) عنوان مستقل في نسخة برلن .

(٢) راجع ارسطو : De An. III. 2. 425 b 11—22 ابن رشد تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٥٤ ، حيدر اباد ، ص ٤٨ ، ابن سينا أيضاً يصف الحس المشترك فيقول : (الشفا . ورقة ١٨٢ الف) بل الحس المشترك هو القوة التي تتأدّى اليها المحسوسات كلها .

(٣) المخطوطة : المحسوسة .

(٤) المخطوطة : واحد .

(٥) راجع ايضاً ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٥٥ ، حيدرابادص ٤٩ .

(٦) يقول ابن رشد : هذا المثال كثيراً ما يستعمله الفلاسفة ، خصوصاً ارسطو وشراحه : المصدر السابق .

(٧) ايضا ، الاهواني ، ص ٥٤ .

(٨) المخطوطة ، هنا زيادة : هي اللمس والبصر ضرورة قوة واحدة مشتركة تقبل تلك.

على تغايير أحوال المحسوس [1] وتحسّ له أحوالاً [2] كثيرة . فتدرك الكل جزء من التفاحة [3] مثلاً أن له طعماً ورايحة ولوناً وحرارة أو برودة ، وتقضي أن كل واحد من هذه غير الآخر . فإنه لو كان في قوابل مضادة لها لما كان ممكناً أن تقضي أن هذا غير ذاك [4] . فإنه يجب عندما تؤملت المغايرة ، كيف وجودها .

وفي هذه القوة تبقى الآثار المحسوسات [5] عند انصراف المحسوس ، كما يعرض ذلك في الألوان ، فإن شان هذه القوة الاستمساك بالاحساسات وهي آثار المحسوسات فيها [6] ، فإذا اتفق أن يوثر المحسوس أدرك هذا إدراك الأثر . فالقوى الست التي هي الغاية والخمس التي هي الحواس ، بين من أمرها أنها أنفس ، إذ هي استكمالات للأجسام ، والسابعة هي القوة المحركة وسنبين أمرها فيا بعد .

ARCHIVE

فأما أن وجدت قوة لا تستعمل آلة فتلك ليست نفساً إلا باشتراك . فالحس المشترك لما كان ضرورة صورة للحار الغريزي وجب ضرورة أن يكون نفساً . وليس بهذا النحو من النسبة قيل له نفس بل بكونه استكمالاً لا لجملة الجسد المؤلّف لكن وجوده في الجسد إنما هو بوجوده في هيولاه الخاصة به وبه يصير

(١) قارن ارسطو : De An. III. 2. 426 b 10 ؛ ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٥٤ .

(٢) المخطوطة : أحوال .

(٣) ابن رشد : المصدر نفسه . ويُظن أن أولّ من ذكر المثال المذكور الاسكندر الافروديسي .

(٤) وابن سينا ايضاً ذكر هذا الدليل فقال : (الشفا ، ورقة ١٨٢ ، س ٣) « فانه لو لم تكن قوة واحدة تدرك الملوّن والملموس لمّا كان لنا ان نميّز بينهما قائلين انه ليس هذا ذاك » .

(٥) المخطوطة : المحسوسات القوة .

(٦) ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٦٣ ، حيدر اباد ص ٥٨ .

بالجملة [١] جزءاً من الجسد ، وبوجوده في ذلك أمكن اتصاله بالحواس وتحرّكها عن تحريكها ما ليس بذي جسم • وليس يتصل بما هو خارجٌ عنه •

وإنما يصير الحسّ المشترك صورة للجسم ذي الآلات بالتباسه للآلات • كالتباسه بالعين مثلاً • ولذلك لا يسمع النائم ولا يبصر • وذلك بيّن في الحيوان الذي لا يطبق عينيه عند النوم لأن تلك الصورة ليست في الجسم • لأن تلك الصورة لا تفارق هيولاها ، فاذا لم يوجد ذلك الجسم الذي له تلك الصورة في الحاسة لا تُحس • ووجود ذلك في الحاسة هو كالصورة لها على مثال ما يكون الربّان [٢] ضرورة (ورقة ١٦١ ب) في السفينة • وقد تلخص أمر هذه الصورة في غير هذا الموضع •

وأما اذا انفرد [٣] الحس المشترك فإنما هو نفس بوجه أنه صورة لجسم ما • ولذلك لا يوجد النوم في جميع الحيوان لأن الحار الغريزيّ لها موجود إنما في الحاسة لأن التقدم [٤] والتأخر [٥] فيها واحد أو كالواحد ، وقد تلخص أمر هذا في كتاب الحيوان •

---

(١) المخطوطة : الجلة •

(٢) وانظر ابن باجّة نفسه ، ورقة ٦٠ الف ، « فان النفس في البدن كالربان في السفينة فان الربان في السفينة صورة الا انهـــا مفارقة » ، وراجع ارسطو : . De An. I. 3. 406 a 6; II. I, 413 a 9

(٣) قارن ابن باجة ؛ النص نفسه : ورقة ١٥٥ الف : «ان القوة اذا انفردت عن الحاسة كانت هي الحس المشترك . وقد قال ابن باجة في كتاب الحيوان : ورقة ٩٥ ب : فالحس ينفرد عن الحركة بالقول كما ينفرد الهيولى من الصورة بالقول الذي يلخص به ما هي بالأسباب المقومة لها وهي فيها .

(٤) المخطوطة : المتقدم .

(٥) المخطوطة : المتأخر .

فإن وجد حيوان[١] له قوة أخرى ليست صورة لجسم أصلاً . فتلك ليست نفساً إلا بنحو من اشتراك الاسم . مثل أن تكون قوة لحضوره[٢] للحس المشترك ويكون الحس المشترك كالهيولى فيها فتكون تلك[٣] صورة لهيولى الحس المشترك لكن ليست أولى . فلذلك تكون هذه القوة قوة واسطة بين النفس وبين القوى التي ليست بأنفس بأخذ كل واحد منها بقسط ، وسنبين ذلك فيما بعد . وهذه القوة هي قوة التخيل .

(يتبع) محمد صغير حسن المعصومي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) المخطوطة : الحيوان .

(٢) يعني ان الجسم عندما وجد في الحس المشترك يحتاج الى قوة مادتها الحس المشترك وصارت القوة صورة للحس المشترك . راجع ابن سينا ، (الشفا) ورقة ١٨٠ الف ١٨ : « فان الحس المشترك قابل للصورة لا حافظ ، والقوة الخيالية حافظة لما قبلت تلك ، والسبب في ذلك ان الروح التي فيها الحس المشترك انما تثبت فيها الصورة المأخوذة من خارج منطبعة مادامت النسبة المذكور بينها وبين المبصر محفوظة أو قريبة العهد . فاذا غاب المبصر انمحت الصورة عنها ، ولم تثبت زمانا يعتد به » .

(٣) المخطوطة : ذلك .

التعريف والنقد

قضايا الفكر في الأدب المعاصر

للأستاذ وديع فلسطين

« أصدره المكتب الفني للنشر في القاهرة ، فجاء في ١٣٢ صفحة »

في الأدب العربي الحديث قضايا مهمة كثيراً ما خاض فيها الأدباء والمتأدبون في الجرائد والمجلات ، وكثيراً ما اختلفت فيها آراؤهم ، وتشعبت مذاهبهم . وقد تناول الأستاذ وديع فلسطين هذه القضايا في كتابه ، فمحصها تمحيصاً دقيقاً ؛ ووازن بين السمين والغث من آراء الكتاب فيها ، وذكر لكل قضية رأياً شخصياً هو في نظرنا من أرجح الآراء علمياً ومنطقياً .

ومن القضايا المذكورة قضية الفصحى والعامية ، والشعر الصحيح وما يسمى الشعر الحر ، والمصطلحات العلمية ، وتيسير القواعد والكتابة العربية ، وتقليدنا الغربيين في مدارسهم « مذاهبهم » الأدبية الحديثة ، سواء في ذلك ما كان منها معقولاً « كالمدرسة السلفية والرومنسية والواقعية والطبيعية » ، أو كان غير معقول ولا مفهوم « كمدرسة الرمزية وما فوق الواقعية » .

وقد بحث المؤلف في هذه القضايا ، وفي موضوع الالتزام في الأدب أي ما يسميه بعضهم الأدب الهادف ، ثم بحث في الأسلوب العلمي وأسلوب الإثارة في الأدب ؛ وقايس بين الكتّاب في القديم والكتّاب في أيامنا هذه ؛ وانتقل الى ذكر النقد وانحراف رسالته ، والى المسرحية وضيق مجالها عندنا ، والى الترجمة وشروطها ، والى أزمة الكتاب العربي ، والى محنة الأدب في هذا الزمن . وأنهى كتابه بكلام طلي على الفكر بين الأرستقراطية والغوغائية .

وبعد إن قيمة الكتب لا تقاس بعدد صفحاتها ، بل تقاس بما فيها من فائدة للقارئين . وهذا الكتاب ، على صغره ، قد عالج المواضيع المذكورة بأسلوب علمي متزن ، فأحاط بأطرافها ، وجلاها على المطالعين في أفكار نيرة ، ولغة صحيحة ، وبيان مشرق ، وغيرة على لغة الضاد وعلى الأدب العربي .

مصطفى الشهابي

« وجوب التعاون بين المسلمين ، وموضوع الجهاد الديني وبيان كليات من براهين الدين »

تأليف الأستاذ الشيخ عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي

هذا الأستاذ أشهر من أن يعرَّف ، فهو علاَّمة القصيم من نجد لهذا العهد ، وهو صاحب التآليف الجامعة النافعة ، وأوقاته كلها معمورة بالاشتغال بالعلم تعليماً وتدريساً وتأليفاً ، ورسالته هذه (وجوب التعاون) يدعو فيها هذه الأمة المسلمة في عامة أقطارها وأمصارها الى التضامن والتعاون على ما فيه مصلحتها ، والى دفع عوادي الشر عنها ، فكل عمل تقوم به لمصالح العامة وسعادة المجتمع ابتغاء لمرضاة الله فهو (في سبيل الله) في نظر الإسلام ، وما قيد الشارع « الجهاد » بهذا الشرط (في سبيل الله) ، إلا للدلالة على هذا المعنى . وقد أنشأ فصولاً كثيرة فيه ، بيَّن فيها أقسام (الجهاد) وأنواعه بجمع الكلمة ، ووجوب المشاورة ، والاستعداد للأعداء ، وأخذ الحذر منهم ، وإعداد وسائل الجهاد ، والوقوف التام على أحوال الأمم والشعوب ، والقيام بالقسط والوفاء بالعهود ، وربط الصداقات وعقد المعاهدات بين الحكومات الإسلامية ، وتخير الأكفاء من الرجال في الولايات والأعمال . ثم شذرة من سيرة النبي (ﷺ) وصدقه وصحة دينه ، وما أخبر به من الغيوب المتنوعة ، ومن هذه الفصول : التحدي بالقرآن ،

وما علمه الله للإنسان من أصناف المخترعات ، الكهرباء وأعمالها ونتائجها ودلالتها على البعث ، سنة الله في خليقته جارية على مقتضى حكمته ، هداية البشر بالإسلام ، جمعه بين الأمم المتباينة ، حظ العقلاء منه على قدر عقولهم ، تفسير آيات من القرآن ، أمره بالإيمان بجميع الرسل وما جاءوا به من عند الله ، تفسير شواهد منه ، الشريعة جاءت بالعدل ، وحثت على الإحسان والفضل ، سيرة الرسول من آياته ، وأمته من آياته ، (وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً ، لا مبدل لكلماته) .

وهذه الفصول مملوءة بالأدلة القرآنية ، ومنها يتبين أن الإسلام خير من هذه السياسات العنصرية والحلية والحزبية ، وكلها ضغائن وأحقاد ، وشرور وفساد ، كما تقرؤه عنها في الصحف المنشرة ، وهذا الكتاب من خير ما يهتدي به من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ - توضيح الكافية الشافية

٢ - الحق الواضح المبين ، في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين ، من الكافية الشافية .

كلاهما للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي (المطبعة السلفية)

(الكافية الشافية ، في الانتصار للفرقة الناجية) للإمام الرباني شمس الدين ابن قيم الجوزية المحقق الشهير ، وقصيدته هذه قد بلغت مئات الأبيات من السهل الممتنع ، وموضوعها التوحيد وأصول الدين ، والرد على الجهمية والمعطلة والملحدين ، واثبات ما أثبته تعالى لنفسه من أسمائه الحسنى ، وصفاته العليا ، والرد على الجبرية من الجهمية ، والقدرية من المعتزلة ، واثبات الكسب للعبد والاختيار ، وفوقهما جريان الأقدار ، وكانت طبعت هذه القصيدة منذ سنين ، ولكن بلا شرح

ولا تعليق ، فقام العالم السلفي الشيخ عبد الرحمن آل سعدي بشرحها شرحاً مطوّلاً ، سماه (توضيح الكافية الشافية) ولكنه لم يورد القصيدة ولا استشهد بشيء منها ، فهو شرح مستقل عن الأصل ، وإن كان مبنياً عليه ، وعناوين فصوله تدلّ على المراد منها ، وهذا الشرح يبلغ (١٣٤) صفحة ، وفي آخره فهرس مفصَّل .

في ص ٤٤ س ٦ : و « رحمتي وسعت كل شيء » صوابها : « ورحمتي » .
في ص ٤٦ س ٨ : « هذا مِن » صوابها : « هذا ومن » .

* * *

وأما الكتاب الثاني ، وهو (الحق الواضح المبين) فقد لخّص فيه شرحه الأول ، وطبعه بعده فبلغ نصف حجمه ، مع أنه أورد فيه مائتين وخمسين بيتاً من القصيدة ، وشرحها شرحاً وجيزاً بيّناً ظاهراً ، وبدأه بقول ابن القيم :

فاسمع إذاً توحيد رسـل الله ثم اجعله داخل كفة الميزان
مع هذه الأنواع وانظر أيها أولى لدى الميزان بالرجحان

قال الشارح : « وذلك أنّ الشيء يعرف بضدّه ، والحق يتضح ويظهر نوره بمعرفته ، ومعرفة ما يضادّه من الباطل ، فإنك إذا وزنت ـ بميزان العقل الحقيقي ، والفطر السليمة التي لم تتغيَّر ، والبراهين الدالة على الحقائق ـ توحيدَ الأنبياء والمرسلين وتوحيد المعطّلين ، وجدت بينهما من الفروق ما لا يخفى على مَن له أدنى مسكة من عقل » .

أقول : لا يخفى أن هذه الكتب السلفية تبحث في توحيد الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله ، على الوجه الذي أثبته الله لنفسه في كتابه ، أو ورد عن المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى في بيانه ؛ واذا نظرنا الى كتب التوحيد الدراسية التي تداولتها أيدي الخواصّ والعوام ، في معظم الأمصار الإسلامية ،

وصارت عمدة الدارسين والمدرسين في المدارس الرسمية الحكومية والأهلية نجدها نوعين : (أحدهما) كتب العقائد التي وضعت على طريقة الخلف ، وأولت فيها نصوص الكتاب والسنة تأويلاً صرفها عن مدلولاتها اللغوية والشرعية ، ونفى معانيهـا الوجودية الثابتة بتأويلات جاءت على خلاف الوضع والشرع - (الثاني) كتب الدفاع عن الإسلام وتوحيده ، واثبات أنه دين العقل والفطرة ، وحاجة البشر في كل زمان ومكان ، فهذه الكتب التي تضمنت فلسفة التوحيد وحكمة التشريع هي سلاح علمي يحمله المسلمون في صدورهم لحراسة عقائدهم والدعوة اليها والنضال عنها ، لا لتلقي علم التوحيد وعقائده منها ، فهي على نفاستها وضرورة مدارستها ، ليست كتباً موضوعة في فن التوحيد ، ولا هي قواعد لعقائده المستمدة من نصوصه المبنية هي عليها ، بل هي فلسفة تحوم حول علم التوحيد ، وايضاح لمحاسن الدين ومزاياه .

وهنالك نوع ثالث وهي الكتب التوحيدية السلفية ، التي أثبتت معاني النصوص وحقائقها الشرعية من طريق المعقول ، وردت كلام المؤولة رداً لم يبق حاجة في النفوس ، وهي الطريقة التي جرى عليها شيخا الإسلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية في كتبهما ، ومن حذا حذوهما من أئمة الإسلام وحماته ، ولكن كتب هؤلاء الأعلام الواسعة ، إما كتب مناظرة وحجاج ، وتأييد لمدلولات النصوص ورد لشبهات الخصوم ، وإما كتب علمية غير تعليمية .

فنرى أن تنشر فصول في التوحيد السلفي ، ملخصة مما كتبه الأئمة الثقات فيه ، وتكون تمهيداً لوضع سلسلة توحيدية تعليمية ، مفرغة حلقاتها بأسلوب مدرسي عصري ، يشرب القلوب حب السلف الصالح وآثارهم ، ويطبع النفوس بطابع عقائدهم وأخلاقهم ، ويغذي عقول النشء الإسلامي بلبان التوحيد الخالص ، المطهر من كل ما يخالطه من أدران الشوائب ، فتصح العقائد وتزكو الأخلاق ، وتتوحد المبادئ والغايات ، والله هو الموفق والمعين .

كتاب البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار

تأليف : الإمام المجتهد المهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن المرتضى المتوفى سنة ٨٤٠ هـ

ويليه : كتاب جواهر الأخبار والآثار المستخرجة من لجة البحر الزخار

للعلامة محمد بن يحيى بَهران الصعدي المتوفى سنة ٩٥٧

ولتمام الفائدة ألحقت به تعليقات من مراجع مختلفة ، لمصححه :

القاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي اليماني الصنعاني

تقوم إلى جانب هذه النهضات المباركة في البلدان العربية نهضة دينية اجتماعية تتفجر ينابيعها من سلسبيل الإسلام الصافي ، وتستقي أصولها من معينه الذي لا ينضب ماؤه ، ولا تبلى جدته ، وإن إمام اليمن الراحل يحيى حميد الدين الملقب بأمير المؤمنين تغمده المولى برضوانه ، قد ساهم بقسط كبير في هذه النهضة ، فقد جاء في المقدمة ذكر طائفة من الكتب العربية والدينية النافعة النادرة ، التي أمر بطبعها ، وبعث بأصولها من مكتبته العامرة ، ومنها هذا (البحر الزخّار) .

يقع هذا الكتاب الضخم الذي طبع بمصر - بإشراف الأستاذين عبد الله محمد الصديق ، وعبد الحفيظ أسعد عطية - في خمسة أجزاء ، وهي تبلغ نحو مائة وألفي صفحة بالقطع الكامل ، عدا مقدمته والفهارس ، وهذا المصنف الكبير « الجامع لمذاهب علماء الأمصار » يذكر المسألة وينبه على ما فيها من إجماع أو اختلاف ، ثم يحكي أقوال العلماء من الصحابة والتابعين ، وأئمة أهل البيت وسائر الفقهاء ، ويذكر دليل كل قول وتعليله ، مع الإشارة إلى ترجيح الراجح وتضعيف غيره . وفي أول « البحر » ترجمة لمؤلفه ، وتليها ترجمة لمخرّج أحاديثه ، وقد جرى صاحب البحر على الإشارة لمن يتردد ذكرهم من الفقهاء بحرف أو حرفين ،

وهم طبقات أربع ، الصحابة والتابعون وأهل البيت وسائر الفقهاء ، وهم الأئمة الأربعة ، وإسحاق بن راهويه ، وسفيان الثوري ، والأوزاعي ، والليث بن سعد ، والزهري ، وربيعة ، والحسن بن صالح الكوفي ، وأبو ثور ، وداود ، والمزني ، وأبو يوسف ، ومحمد بن الحسن ، وزفر ، والكرخي من فقهاء الحنفية ، وقد ترجم في المقدمة لكل واحد من أهل الطبقات الثلاث الذين ورد ذكرهم ، ولم يترجم لطبقة الصحابة لشهرتهم .

والعلامة بهران الصعدي مخرّج أحاديث الكتاب . ومورد أدلة أحكامه على كثرتها واختلافها ، قد بذل في هذه السبيل جهداً عظيماً ، وإنما يقدره قدره من غاص في بحر السنة نظراً واستدلالاً ، وأمعن في كتبها بحثاً واستقراءاً ، فعاد كليل البصر ، قليل الظفر بمطلوبه ، وهذا الكتاب هو عمدة المتأخرين من أهل اليمن فيما يحكونه من المذاهب ـ خصوصاً مذهب أهل البيت ـ كالسيد محمد بن اسماعيل الأمير صاحب سبل السلام ، والشوكاني صاحب نيل الأوطار ، وغيرهما .

وجملة القول : ان هذا البحر الزخار دائرة معارف فقهية إسلامية ، كالمغني للموفق القدسي ، مع الشرح الكبير ، وكالمحلى لابن حزم وغيرهما من الأمهات التي لم تتقيد بمذهب واحد ، ومن هذه المراجع الكبرى تتبين سعة الفقه الإسلامي ، وأن اختلاف علمائنا رحمة ، والأخذ من متنوع مذاهبهم نعمة ، وإنما يختار منها في كل عصر ما كان أقوى دليلا ، وأكثر مناسبة لحاجة العصر ، وطبيعة الأمة . وإنك لتجد في الأحاديث الواردة في إقطاع الأراضي ، واستثارة دفائنها ، واستخراج ركازها ومعادنها ، ما يدل دلالة واضحة على أن ما يقوم به علماء طبقات الأرض (الجيولوجيا Geologie) وعلماء الآثار والعاديات من الحفر والتنقيب عن المعادن في بطن الأرض والجبال والتلال ، هو داخل في عموم

ما أرشد الإسلام إليه ، وحث أهله عليه ، ومثله ما ورد في إحياء موات الأرض (من أحيا أرضاً ميتة فهي له) رواه أحمد والترمذي وصححه ، فإنشاء المزارع والمصانع ، وبناء المستشفيات والمدارس ، وتشييد القلاع والحصون ، هو من باب : إحياء الأرض ، وأما ما يستخرج من البحار كالجواهر واليواقيت واللؤلؤ والمرجان ، فتراه وترى معه ما تقدم من الأحاديث وأقوال العلماء ، في الفصول التي عقدها (البحر الزخار) في المعادن ، والركاز ، والكنوز ، وغنائم البحر (٢/٢٠٨ — ٢١٨) وفي كتاب السبق والرمي (ج ٥/١٠١) الترغيب في السبق بالخف أو الحافر (الإبل والخيل) والرمي بالنصل (السهام) أما فقهاء عصرنا فيجب أن يستمدوا من قوى هذا الزمن وحقائقه وعلومه ومعارفه ، وأن يدعوا إلى السبق مثلاً بصنع السيارات والمصفحات والمدرعات والغواصات والمناطيد والطيارات ، وإلى الرمي بالقنابل والقذائف ، وسائر ما أُعد من وسائل الكفاح عملاً بالآية الكريمة «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» وبآية «وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه» واستنباطاً من هذه الأحاديث الشريفة ، واهتداء بهدي السلف الصالح ، ومجاراة للأمم الحديثة .

وقد أحسن الأمير الجليل سيف الإسلام عبد الله كل الإحسان ، فأهدى الكتاب الى والده الإمام الذي كان الباعث على طبعه ، الحريص على نشره ، جزاه الله خير الجزاء .

ومن سهو القلم أو غلط الطبع جاء لفظ : حليسها وعورها ، مكان جَلْسِيِّها وغَوْرِيِّها (بتقديم السين في الأولى على الياء وبالغين المعجمة في الثانية لا بالعين المهملة) .

وعزاه (في ٣/٢٠٩) من «البحر» إلى سنن أبي داود ، قلت : والحديث بروايات في (ج ٣/١٣٨ و ١٣٩) من عون المعبود شرح سنن أبي داود طبع

المنذ ، وفي (ج ٣ / ٤١) من معالم السنن للخطابي طبع حلب ، ففيها أن الرسول (ﷺ) أقطع بلال بن الحارث معادن القَبَلية جلسيها وغوريهما ، وفي رواية « جَلسِيّها وغَورها » وهو ما ارتفع من الأرض وما انخفض منها ، يريد أنه أقطعه وهادها ورُباها ، والقبلية ناحية من ساحل البحر ، بينها وبين المدينة خمسة أيام .

هذا والمجمع العلمي يهدي إلى من تفضل بالإهداء ، أعطر الشكر والثناء .

فتح الغفار ، المشتمل على أحكام سنة نبينا المختار

للقاضي العلاّمة شرف الدين الحسن بن أحمد الرُّباعي اليمني المتوفّى سنة (١٢٧٦)

أمر بطبعه الإمام احمد بن يحيى حميد الدين ملك المملكة المتوكلية اليمنية

أشرف على تصحيحه عند الطبع القاضي عبد الله بن عبد الكريم الجرافي اليمني ، مندوب وزارة المعارف اليمنية

إن كتب السنة الصحيحة ليست إلاّ مفسِّرة للقرآن الكريم ، مبينَة له ، فهي تفصّل مجمله ، وتوضح مشكله ، وهل يستطيع مسلم أن يفهم أركان الإسلام البدنية أو المالية كالصلاة والزكاة والصيام والحج على الوجه الصحيح من دون أن يدرس سنة الرسول (ﷺ) في العبادة وسيرته العملية ؟ وهذا هو موضوع هذا الجزء الأول من كتاب (فتح الغفّار) الذي بلغ ستمائة وستين صفحة بفهرسه المفصّل ، وهو من أجمع الكتب وأنفعها في أبواب العبادات ؛ وقد استمدّ المؤلف هذه الأحاديث في الأحكام من كتاب (منتقى الأخبار) للإمام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن تيمية الحرّاني المتوفى (سنة ٦٥٢) وهو جدّ شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (م ٧٢٨ هـ) وجعل كتاب (المنتقى) أصلاً لكتابه (الفتح) . ولكنه زاد عليه الشيء الكثير من أخبار الأحكام ،

وضمّ إليه الجمّ الغفير من جامع الأصول ، وبلوغ المرام ، ومجمع الزوائد ، والترغيب والترهيب ، ومن الجامع الصغير ، وجامع المسانيد ، والمستدرك للحاكم ، وتلخيص الحافظ ابن حجر ، وفتح الباري وغيرها . وقد طبعت هذه الأصول الجوامع في الأمصار الإسلامية ، وهي مشهورة متداولة ، يقرؤها محبو السنة ويتدارسونها رواية ودراية .

ومن مزايا هذا الكتاب الجامع أنه نسب كل حديث إلى أصله المنقول عنه ، وأتبعه بما عليه من الكلام من تصحيح وتحسين ، أو تضعيف وتوهين ، وعزا كلّ قول الى قائله ، وفسّر ما تضمنته الأحاديث من غريب اللغة ، وضبط بعض أسماء الرجال ، أخذاً من شروح الحديث ، وغريب جامع الأصول ، ومختصر نهاية ابن الأثير ، وصحاح الجوهري ، والقاموس ، ومجمع البحار وغيرها . والمؤلف من أجلّة تلاميذ الإمام محمد بن علي الشوكاني مجدد السنّة في القرن الثاني عشر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولا يستكثر هذا الجزء الضخم على العبادات فقد أورد ما ورد فيها من الأحاديث وذكر مخرّجيها من الكتب الستة وغيرها ، وهذه العبادات عدا ما ورد فيها من الترغيب والترهيب ، فيها مصالح قومية ومنافع اجتماعية ، (فالصلاة) الروحية البدنية التي هي فرض عامّ على كلّ مكلف تنهى عن الفحشاء والمنكر (ما يفعل سرًّا وعلانية) وأشد الفواحش والمنكرات فتكاً وهتكاً هي تلك الجيوش المعنوية التي غزت بلاد الشرق وهنّ المسكر والميسر والخنا والربا والانتحار ، فكثير من المستهترين وقع في هذا التيار الذي أسلمه الى الجنون أو المنون ، فكان ذلك من أشد المصائب القومية . (والصيام) الذي يدعو الى إمساك المعدة عن الطعام ، وسائر الأعضاء عن الآثام ، وصرف جميع القوى والمواهب فيما خلقت له ، يعلم الثبات على خُلق قويم لا محيد عنه . (والزكاة) إعطاء

نصيب من المال للفقراء والمساكين وباقي الأصناف الثانية ، دون الكسالى والمتسولين ؛ فاذا حرمنا الفقراء الأقوياء ، واضطررناهم الى العمل ، كثرت الأيدي العاملة في الصناعة والزراعة والتجارة وهي مواد الثروة الأصلية ، وحفظت الزكوات والمعونات لمستحقيها ، تنفق على إطعامهم وإيوائهم وتعليم بناتهم وأبنائهم . و (الحج) أكبر مؤتمر إسلامي حر يبحث في شؤون المسلمين ومصالحهم ، ويوازن بين ماضيهم وحاضرهم ، ويدافع عن حقوقهم وحرياتهم ، ويؤلف بين شعوبهم وقبائلهم ، فيصبحون بنعمة الله إخوانا .

ومن أفضل خصائص هذا الكتاب أن المؤلف لما رأى ماوقع من الخلاف بين الأئمة ، وأخذ كل طائفة بجانب من السنة ، جمع أحاديث الأحكام القاطعة للخلاف ، والداعية الى الائتلاف ، فأحسن بذلك كل الإحسان . فندعو الأمة الى العمل بما اتفق عليه الأئمة ، والى ترك الخلاف جانباً ، فان الوقت والعمر يضيقان عن استيعابه .

ARCHIVE http://Archive.Sakhrit.com

وقد وقع في هذا الجزء هنات مطبعية لم ننقصها لندرتها ، فمنها في (ص ٥ س ٣) وتهوين ، صوابها : وتوهين . ومنها (ص ٤٢ س ١٨) الجند ، صوابها : الجنة .

جزى الله المؤلف ، والآمر بالطبع ، والمشرف على التصحيح خير الجزاء ، وإنا لبقية أجزاء الكتاب لمنتظرون .

محمد بهجة البيطار

نظرة في أعماق الإنسان

(الجزء الأول)

للدكتور محمد صبحي أبو غنيمة

قلَّ من العلماء الأدباء في بلادنا العربية من يقدم على التأليف والنشر في الموضوعات العلمية لكساد سوق هذه البضاعة بين القراء ورغبة سواد الناس في مطالعة ما عداها من كتب والاكتفاء في الغالب بقراءة المجلات والصحف التي تعنى بما يروي غليل جمهرة القراء ويسرّي عن أنفسهم ، أما الخوض في البحوث العلمية المحضة فليس لها غير المضطر إما في إبان سني الدراسة وإما في ما يليها من متابعة في بعض الأحيان .

وموضوع تعريفي في هذا الباب يتناول كتاباً ولا كالكتب التي جرت العادة على التعريف بها ، إذ ليس لمن يقع بين يديه من عامة الناس (ولا أستثني إلا بعض خاصتهم) إلا الاكتفاء بتقليب صفحاته والتحديق في عناوين بحوثه الجذابة متجاوزاً عن الاسترسال في قراءة ما يحويه من آراء تسمو على مستوى فهمه وإدراكه ، بالرغم عن البساطة البالغة التي صيغت بها لغة الكتاب وما بذله المؤلف من جهد لتذليل العقبات في سبيل حبك موضوعاته ليستسيغها غير الأطباء ، وجعلها في متناول الكثيرين ، إلا بعض الشذرات الأدبية والشعرية التي تخللتها فكانت بمثابة الأفاويه والمشهيات التي تضاف الى الطعام لا من أجل تحسين طعمه فحسب بل لكي تزيد من الشهوة اليه أيضاً . وذلك لأن ما حواه الكتاب قد صهر في بوتقة واحدة الطب وعلوم الأحياء والفلسفة صهراً كان نتاجه ما يستغلق فهمه إلا على الراسخين في تلك العلوم .

وطبيعي أن لا يخوض غمار هذا النوع الخاص من التأليف إلا ذو بسطة في

علوم الطب والأحياء والفلسفة والأدب ، وهذا لعمر الحق ما تحلى به زميلنا الفاضل الدكتور محمد صبحي أبو غنيمة مؤلف (نظرة في أعماق الإنسان) .
وإني لأكبر عمله هذا أعظم الإكبار لتجشمه الكثير من الصعاب في سبيل تأليف هذا الكتاب الذي يُعد حقاً نسيج وحده ، وقد خلت من أمثاله المكتبات العربية ونضب معين مصادر ما كان على شاكلته من المؤلفات ، بين أبناء لغة الضاد . وعلى ذلك رأينا المؤلف الفاضل مضطراً في جمع شتات مباحثه الى أن يولي وجهه شطر المؤلفات الأجنبية وقد أربى عددها على المائة والعشرين معظمها من الألمانية وبعضها من الانكليزية والفرنسية في جانب النزر اليسير من المراجع العربية ، فضلاً عما وعته ذاكرته من آراء ومساجلات لأساتيذه في جامعة برلين إبان دراسته الطب فيها . والى جانب هذا الجهد الأدبي الذي لا يقوّم ، فقد بذل الزميل جهداً آخر مادياً ليس بالقليل لإلباس مؤلفه ما يستحقه من حلة قشيبة بدا فيها بجودة طبعه وكثرة الأشكال والرواسم التي زين بها ناهيك بحسن تبويب بحوثه وتنسيقها وعنايته البادية في اللغة العربية وانتقاء الألفاظ والمصطلحات فيها .

وعندما طلب إلي أن أعرف بهذا الكتاب خلتني في بادئ الأمر أستطيع أن أفيه حقه من التعريف بأهون سبيل ، بأن أكتفي بتصفحه وسرد ما فيه من عناوين ، وما إن حاولت ذلك حتى رأيتني ملزماً بقراءة الكتاب لا قراءة مُعرِّف وناقد بل قراءة مستطلع ومستعلم ومستزيد من ألفه إلى يائه حبنا أجد الى ذلك سبيلا ، مما أدى الى التأخر في التعريف في الوقت المضروب لحقت المعذرة وأفدت من مطالعة الكتاب فتمت الفائدة .

يقدم المؤلف كتابه بقوله (يحاول أن يستعرض أمامك قصة الإنسان ، وقصة الإنسان كانت ولم تزل وستظل أعجب وأغرب قصة في هذا الوجود)

ويفتتح بحوث الكتاب بسرد مشاكل الطب في العصر الحاضر، وإخفاق العلاج في كثير من الأدواء سارداً أقوال أساطين الطب المعاصرين في ما لا يزال إدراك حقيقته من العلل مستغلقاً، باحثاً بحثاً مستفيضاً في خوارق الطب وأعاجيبه التي يصعب تعليلها تعليلاً علمياً مقنعاً موليا وجهه شطر أثر العوامل النفسية في الإمراض والشفاء ثم البحث في أسباب الأمراض من داخلية وخارجية، واضطراب تطور مواد الغذاء الرئيسية (الآحينات وماءات الكربون والأدهان وأشباهها والمعدنيات) ويلي ذلك البحث في التنفس وما قيل عنها في القديم وما يقال في العصر الحالي مع البحث المدقق في آلية ظهور الأمراض والعلل، والتعمق في جهاز الإثارة أو جهاز الطاقة الحيانية وقبول الإثارة وتطوراتها وأهدافها ثم المينوزة (النوم المجلوب) منتهياً الى ذكر النكتة وعملها الطبي. ويختتم المؤلف هذا الجزء الأول من هذه التحفة الفريدة بكلمة يقول فيها: بهذه النظرة أردت أن أؤدي قسطاً من واجبي العلمي والإنساني فأنقل إلى قراء العربية أقوال العلماء المجددين في الطب عما يرونه في أعماق الإنسان من غرائب و «الفكر» التي تخطر لهم فيها كما سجلت ما أوحته هذه الفكر من مفاهيم تصح في رأيي أن تتخذ كقواعد علمية فتعرف بها أسرار تلك الغرائب في أعماق الانسان. أما أقوال العلماء فقد أشرت الى مصادرها بالتفصيل وأما ما أستوحي منها فمعروض للبحث والتمحيص ورحم الله امرءاً أهدى إلي عيوبي. ومن الحق أن أؤكد بأن كل ما جاء في هذه النظرة سيظل جزءاً صغيراً من الكون الذي هو الانسان ويكفيني ويكفي القارئ في مثل هذه الحالة أن نمثل بصادق قول حكيمنا العربي:

دواؤك فيك وما تبصر ... وداؤك منك وما تشعر
وتزعم أنك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الأكبر

هذا ولا بد من الاشارة الى لغة الكتاب التي قلت عنها في مطلع هذه الكلمة إنها سهلة وهي صحيحة درج المؤلف في اختيار المصطلحات والألفاظ على ما هو مألوف في كلية الطب من جامعة دمشق ، وجنح في بعضها الى التعريب ولكن عن طريق اللفظ في الالمانية حيث يغلب التعقيد والخروج عما هو شائع في اللغات الأجنبية الأخرى بينا المستحسن في هذا المضمار اختيار اللفظ الأهون من احدى اللغات ، كما ان بعض الألفاظ جاءت غير موحدة في بحوث الكتاب فتراه يستعمل تارة الرثية وأخرى الروماتيزما ورويماتيزما عن العلة الواحدة مما يوجب الالتباس على القارئ ، وكذلك لفظة التتاني فجاءت في بعض المواضع (الكزاز) وأخرى التكزز وترجم كلمة (Stress) تارة بحادث نفسي وأخرى بانفعال وقد جاءت هذه الكلمة بـ (Effect) في موضع آخر ، وذكر الأزمة الصدرية (وقد يكون لهذه الكلمة دلالة خاصة في اللغة) عن الحالة المعروفة بالربو ، واستعمل الصَّرعة عوضاً عن الصرع ، وغير ذلك من الهنات الطفيفة التي لا تؤثر في جوهر الكتاب مع الأمل أن تصحح في طبعة ثانية .

وصفوة القول اني أهنئ الزميل الكريم على هذه التحفة الفريدة التي أتحف بها المكتبة العربية مع التطلع الى صدور الجزء الثاني لتتم الفائدة .

الدكتور حسني سبح

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

أعـــلام

قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين

تأليف : خير الدين الزركلي

وهو في تسعة أجزاء ومستدرك يشتمل كل مجلد على نحو (٣٨٠) صفحة من القطع الوسط . طبع الجزء الأول في مطبعة كوستاتسوماس وشركاه بالقاهرة سنة ١٩٥٤ وانتهى الجزء العاشر عام ١٩٥٩

أدت الطبعة الأولى من قاموس (الأعلام) التي صدرت بأجزائها الثلاثة قبل نيف وثلاثين سنة خدمات جليلة للباحثين والمطالعين ، وأجمع العاملون على أنه قد ملأ يومئذ فراغاً كبيراً ونقصاً شديداً في المكتبة العربية التي هي بحاجة الى معجم في سير الأفراد سهل المنال . وقد استقبلته الأوساط العلمية بلهفة ، وهللت له ، وقرظته بما يستحقه الكتاب ومؤلفه الأستاذ الزركلي من تقدير وإعجاب .

ولو كان غير الأستاذ الزركلي لارتضى بما أحرزه من شهرة علمية ، ولطلب الراحة بعد العناء ، وقنع بالقدر الذي أداه لأمته ، وكفى نفسه نصب البحث والاستقراء ، وانصرف الى عالم الخيال ، ميدانه المفضل ، ميدان النظم والقريض ، وهو من فرسانه المجلين . ولكن أبت عليه همته إلا أن يتم شوطه ، ويدرك غايته ، فأضاف الى حسنته الأولى مأثرة جديدة خالدة ، يقصر عنها كل ثناء . فقد عاهد نفسه منذ أن اطلع على عورات طبعة الأعلام الأولى ونواقصها على أن يصلحها في طبعة ثانية ، وها هو بفي بعهده ويخرج لدنيا العرب الطبعة الثانية من قاموسه (الأعلام) ؛ وهي بالحقيقة تأليف جديد ، ارتقى من ثلاثة مجلدات الى عشرة مجلدات .

ومثل هذا السفر لا يحتاج الى تعريف وتقريظ ، فقد سبقته في الطبعة الأولى شهرته وعمت فائدته .

وأبرز ما في الطبعة الجديدة غزارة المادة ووفرة مصادرها ورسوم الرجالات وخطوط المؤلفين ، فالكتاب من المصادر الخالدة التي كتب لها أن لا تبلى مع الزمن ، ودعامة راسخة في بنيان تاريخ العرب ، لا رملة ولا حصاة كما نعته مؤلفه حفظه الله وأمد بحياته .

الوطن العربي

الاتجاه السياسي والملامح الاقتصادية

تأليف الدكتور عزة النص

عدد صفحاته (٢٩٦) صفحة من قطع الوسط ، نشرته دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بسورية ، وطبعته في مطبعة الجمهورية بدمشق عام ١٩٥٩

صدر حديثاً هذا الكتاب ، في أيام تتأجج في صدور العرب جذوة القومية العربية ، وتثور دنيا العرب لنصرتها وبعثها . قدم فيه مؤلفه الدكتور عزة النص للمكتبة العربية مادة دسمة عن أقطار شقيقة ، يجهل أخبارها عامتنا ، ولا تلم الخاصة إلا بالنذر اليسير من أوضاعها . مع أنه لا تتم الألفة والمودة بين الأفراد ، ولا يجتمع شمل ذوي القربى والأخوة ، إلا بالتعارف واللقاء ، وما ينطبق حكمه على الأفراد في بلد واحد ، يشمل أيضاً الجماعات في أقطار متعددة ، وان اختلفت وسائلها . إن الفرد يملك أسبابها وهي طوع ارادته ، ولكنها تتعذر على الجماعات ولا بد لها من وسيط بينها يمهد لها السبيل ، إن الكتاب في هذه الحالة هو أفضل أداة للتعارف ، وله أبلغ الأثر في محادثة الجماهير ، وسيكون لهذا الكتاب رسالته ، وأثره الطيب في هذا التوجيه ، وهو خير وسيط . وقد أصاب المؤلف هدف غايته ، وأحسن فيه بسط قصة الأقطار العربية ، وسرد موجز تاريخها ، وعرض قضاياها السياسية والاقتصادية عرضاً موفقاً ، تلقفها من أصدق المصادر ، ليقدمها للقارئ العربي جرعة سائغة بأمل أن تثير في نفسه نشوة ذكريات تالدة ، وتوقظ فيه عواطف حنانه الراقد ، فيصبو الى يوم التداني ، وحث الخطى لجمع شمل أبناء الأمة الواحدة .

وحبذا لو ضمن الدكتور كتابه هذا بحثاً عن جمهوريتنا العربية المتحدة ينتفع به بقية الأقطار العربية إنه لو فعل ذلك لتم البحث وانتظم العقد .

نشكر للمؤلف جهده ونكبر فيه عمله ودقة بحثه ، ونرجو لهذه الدراسات النتائج المتوخاة من نشرها ، وأن تقرب يوم جمع شمل العرب بما يعيد اليهم عهدهم الزاهر ويحيي مجدهم الباهر .

العرب والإسلام
في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط
تأليف الدكتور عمر فروخ

في (٢٠٦) صفحة من قطع الوسط ، نشره المكتب التجاري
وطبعه بمطبعة دار الكتب بيروت سنة ١٩٥٩

يتجلى الوعي القومي عند الأمم في مبلغ اتجاها الثقافي والمادي ، فعا مقياس نهضتها وسلامة وعيها ، وتبشر في البلاد العربية هاتان الناحيتان بمستقبل زاهر، يثلج الصدور ، وتطمئن له القلوب ، فقد تجارت النهضتان في سيرهما قدماً ، دون أن تطغى الواحدة على الأخرى ، مما جعلنا نؤمن أن وعينا القومي أصبح حقيقة ملموسة ، وأنه سالك السبيل القويم ، على أسس راسخة قوية ، وإن عربي اليوم يتطلع الى مستقبله مستلهماً ماضيه في بناء حاضره ، وما أكثر الشواهد على صحة قولنا ، فإنه في كل يوم يظهر كتاب مفيد ونسمع بمباشرة مشاريع اقتصادية وتطورات اجتماعية ، وما هذا الكتاب الا من هذه الشواهد .

وقد شاء زميلنا الدكتور المؤلف أن يوصل في كتابه ما انفصم بين السلف والخلف ، مذكراً بني قومه بأمجادهم الغابرة ، وما حققوه من إبداع في بناء الحضارة الإنسانية ، لعلهم يدركون ما فات ويلحقون بركب هذا العصر الذي تخلفوا عنه ، أو كما قال في مقدمة كتابه : «وتظل الأمة حية ما دام أبناؤها يشعرون أنهم متصلون بأسلافهم اتصالاً واضحاً ، وما داموا يؤدون رسالة أمتهم تأدية توافق حاجاتهم المتطورة مع الزمن ، وتحفظ عليهم مثلهم العليا سليمة بارزة ويجعل من تراثهم الروحي نطاقاً يحمي وحدتهم ويسدد خطواتهم .» ويحذرهم من مغبة التهاون خوفاً عليهم من : « أن ينتهي بهم الأمر إلى أن يذوبوا في من حولهم ، فتنقرض دولتهم ، وتزول حضارتهم ، ويخلو موكب التاريخ من أمتهم ، ومن اسم أمتهم . »

ويدل على موضوع الكتاب عنوانه ، فقد بحث فيه المؤلف فتوحات العرب

والإسلام في القرن الأول من الهجرة ونصف الثاني لبلاد المغرب والأندلس ، وزحف جيوشهم إلى أواسط حتى بلغوا أبواب مدينتي ليون وباريس ، فخلد المؤلف فيه أروع صفحات التاريخ العربي ، ولخص للقارئ في مجلد واحد ما جمعته المجلدات عن هذه المعجزات .

وأستميح الزميل الكريم الاذن بابداء ملاحظات بسيطة على ما جاء في الصفحة (١٢) عند قوله : (جاء الأتراك العثمانيون الى الشرق الأدنى في القرن الرابع ه) صوابه حذف كلمة (العثمانيون) لأن نسبة الأتراك لبني عثمان بدأت في القرن الثامن من الهجرة . وجاء في الصفحة (٢٣) : « ومن أعجب الآثار بها الصنم المنسوب الى هذه الجزيرة » وقد علق المؤلف في الحاشية : « ويقصد جزيرة الاندلس » والأصح انه قصد جزيرة رودس التي اشتهرت بصنمها أحد عجائب الدنيا السبع ، وورد خطأً في ص (١١٠) عام ٨١٧ وصوابه ٧١٨ .

فنشكر للدكتور المؤلف جهده وحسن صنيعه ، ونرجو له دوام التوفيق في خدمة الثقافة العربية .

جعفر الحسني

ديوان ابن الخياط

« من مطبوعات المجمع العلمي العربي وتحقيق رئيسه العلامة خليل مردم بك »

صنّف رئيس المجمع الجليل مجموعة من سِيَر الأدباء ، وحقّق طائفة من دواوين شعراء الشام المشاهير ، عدا عن آثاره الأدبية ، ومقالاته القيّمة ، ودراساته الممتعة ، وتتبعاته الفاضلة .

وقد أخرج في هذا الصيف رابع تلكم المجموعة النفيسة وهي ديوان ابن الخياط أبي عبد الله ، أحمد بن محمد بن علي بن يحيى بن صدقة التغلبي ، الشاعر ، المتوفى سنة ٥١٧ ه .

وقد قدّم بين يدي الديوان تصديراً فاخراً قوامه ٤٨ صفحة ، استودعه دراسة

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

عصر الشاعر وترجمته ، وفصَّل القول في أسرته وسيرته وعمله وأدبه وأخلاقه وصفته .

ثم ألحق بها دراسة انتقادية ثمينة لشعره ، أحاطت بأطراف النقد ، واستوعبت أنواع الدقة ، وجمعت فنون التحقيق .

وقد اتخذ في تلك الدراسة الرائعة نهجاً محكماً ، أرجو أن يوفق الأدباء إلى سلوك جَدّده ، واتباع سَنَنه ، والاقتداء بهداه . ولعلَّ مباحثه المحتمة في شعره (ص ٢٢ — ٣٠) [١] من أحاسن فصول النقد في تأريخ الآداب العربية اليوم ، بَلْه فصل لغته (ص ٣١ — ٣٩) [٢] ، فأنه دراسة لغوية سديدة ، ومبحث اشتقاقي أصيل ، ومادة علمية مذخورة ، يعتزّ بها مؤرخو اللغة ، وكتّاب المعجم العربيّ التأريخيّ [٣] .

والديوان ١٥٧ قصيدة ومقطّعة ، عدّتها ٣٣٠٠ بيت . وقد عارضه بثماني نسخ خطيّة عتيقة (زد عليها طبعة النجف) وفسَّر ألفاظه ، وترجم أعلامه ، معتمداً على ٣٨ مرجعاً ، من أصول التأريخ والأدب واللغة الخطيّة والمطبوعة . وذيَّله بأربعة فهارس : للمراجع والأعلام والبلدان والأمكنة والقوافي .

أهنئ الأدب العربي بهذه الطبعة الجديدة ، وذلك المجهود المنفِّس ، وأبارك للمجمع العلمي العربيّ في آثاره الباقية ، ورئيسه العلاّمة المحقق .

الدكتور حسين علي محفوظ

(١) درس فيها خصائص شعره ، وأثر أبي تمام والبحتري والمتنبي وابن حيُّوس فيه . وذكر قوة طبعه ، وكثرة ارتجاله ، وعذوبة ألفاظه ، وصحة معانيه ، مع الإشارة إلى فنون شعره ، وأنّه أوّل من قال الشعر في الحروب الصليبية ، ثم وازن بينه وبين شعراء عصره ، وعيَّن منزلته منهم .

(٢) درس فيها الألفاظ التي أغري الشاعر باستعمالها ، وبيَّن أخذه بالرخص ، وتساهله في تعدي الحدود اللغوية ، وتجوّزه في الاشتقاق ، وصوغ المشتقات ، والتوسع في القياس . وقد حاسب الشاعر في مواطن كثيرة مجال القول فيها ذو سعة . وكل الظن أنه أراد تنزيه صاحبه من كل ما يخالف المعروف .

(٣) فقد استخرج بعض ألفاظه مثل : روّض ، الهتاه ، أغل / جمع أغلة ، الخراد / جمع خريدة ، المُسْتَنْدَل ، الأخمس ، الأقْمُس / جمع قبس ، النضاج ، فتوك ، سحور ، نشير / أي منشور ، عطير ، فُراد ، استفرس ، استخوس ، استرغس ، استزنر ، استفزع ، استشاد . وأشار إلى شواهد ذلك كله .

المنظمات الاقتصادية الدولية

محاضرات في ٢٠٤ صفحات ألقاها الدكتور جابر جاد عبد الرحمن على قسم من طلبة معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة

مما لا ريب فيه أن محاضرات الدكتور جابر التي لخص فيها المعاهدات والاتفاقات الاقتصادية الدولية قد جاءت جامعة ومفيدة ، كيف لا وقد استعان بأكثر من ٢٤ كتاباً قيماً في هذا الموضوع لتكون مرضية .

وقد قدم الدكتور محاضراته ببحث عن التنظيم الاقتصادي ، وعما ينبغي أن تكون عليه حصيلة الانتاج . وأي نوع من السلع التي يجب انتاجها ، وكيفية التوفيق بين عوامل الانتاج وعماله ، وفي توزيع السلع بين الأفراد ، وتحديد الأثمان ، واعطاء كل شخص حاجته ، وبين أن الغربيين قد قالوا بضرورة التنظيم الاقتصادي الدولي ، لأن القيم المشتركة التي تعتنقها الشعوب هناك ، جعلها تقوم في ايجاد أنظمة للتعاون في العمل ، ومنظمات اقتصادية دولية ، في شتى المجالات الاقتصادية .

وقد استعرض الدكتور في محاضراته : التعاون الدولي بين المصارف المركزية ، وبين المنتجين وبين المستهلكين ، والاتحادات العامة الدولية ، وذلك في القرنين : التاسع عشر والعشرين ، وبين الأعمال الضرورية عند ظهور حالة العجز في الميزان التجاري ، ومركز انكلترا المالي الدائنة آنئذ ، وأهمية البنك الاحتياطي الأمريكي ، واتحاد النقد اللاتيني والاسكندينافي ، وزوال ذلك الاتحاد ، ثم بحث مؤتمر بروكسل (عام ١٩٢٠) بتأسيس البنوك المركزية وأغراضها ، والتعاون بين المنتجين ، والترست والكارتل التجاري ، مع العلم ان ذلك الكارتل الذي ساهم في الاستقرار الاقتصادي ، وكان لصالح المنتجين الأمر الذي جعل التكتلات بين المستهلكين والجمعيات التعاونية تظهر لعالم الوجود ، وذلك بين ١٨٩٥ — ١٩٤٦ .

وبين أيضاً اتحاد المواصلات الدولية ، وظهور اتفاقات تنظيم الاتحاد العام للبريد (١٨٧٥) واتحاد النقد الدولي (١٨٧٨) والنقل الجوي والسيارات والقياس المتري ، والتعريفات الدولية ، (١٨٩٠) .

ومما بحثه : بنك التسويات الدولية (١٩٢٩) ومشروع كينز ، وغرفة التجارة الدولية (١٩٣٠) والتدخل الحكومي في الحقل الاقتصادي فيما بين الحربين العالميتين ، والمقاصة الدولية .

وبحث أيضاً مشروع هايت (٥/٤/١٩٤٣) بانشاء صندوق نقد دولي لتثبيت النقد العالمي وهذا الصندوق كان ضرورياً ولا ريب ، رغم أنه ترك الحرية للدول بتحديد أسعار نقدها .

وبحث اتفاقية بريتون وودز (١٩٤٤) التي تقول بايجاد صندوق دولي برأسمال ٨،٨ مليارات دولار على أن تدفع كل دولة حصتها ، وما هي أهداف ذلك الصندوق .

وبحث مشروع بنك الانشاء والتعمير الذي بدأ أعماله عام ١٩٤٦ برأسمال ١٠ مليارات دولار دفعتها الدول المشتركة فيه ، بنسبة قوتها ، وأوضح أهداف ذلك البنك ، ولكن الدكتور المحاضر لم يبين أن هذا البنك الذي ساهم فيه جل البلاد العربية ، من هي الدول التي استفادت منه ، وما هي حصة الدول العربية منه ؟ ان هذا البنك قد أقرض حتى اليوم ٣٤٠٠ مليون دولار ، لم ينل منها من الحكومات العربية سوى العراق إذ اقترض ستة ملايين و ٢٩٤ ألف دولار ، ولبنان الذي اقترض ٢٧ مليون دولار ، وهذا دليل كبير على أن هذا البنك كان مسيراً من قبل الدول الكبيرة الاستعمارية ، لذلك لم يكن لصالح العرب .

وبحث أيضاً ميثاق هافانا (١٩٤٨) وأغراضه في تنظيم التجارة ، والاتفاق على التعرفات (وكانت حكومتا سورية ولبنان من الأعضاء ، ثم انسحبتا منه (١٩٥١) ان هذا الاتفاق لم يحقق للجماعة الدولية ما ترجوه من المثل العليا .

وبحث مشروع مارشال الذي وضعه وزير الخارجية الأمريكية الجنرال مارشال في خطابه يوم ٥/٦/١٩٤٧ للانعاش الأوروبي .

وبحث مشروع شومان وزير خارجية فرنسا، الذي ظهر في معاهدة ١٩ / ٣ / ١٩٥١ والذي يهدف إلى إيجاد سوق واحدة للحديد والصلب والفحم، ومشروع المجلس الأوروبي الذي وقع عليه في أيار سنة ١٩٤٩ ، كما بحث المجلس الاقتصادي والاجتماعي (من قبل الأمم المتحدة) ومنظمة الأمم المتحدة للغذاء والزراعة ، ومنظمة الطيران المدني الدولية ، والمنظمة البحرية ، ومنظمة الصحة العالمية ، ومنظمة الأمم المتحدة للتعليم والثقافة (اليونسكو) .

وقد وفق الدكتور في عرضه لتلك الاتفاقات والمعاهدات ، التي ينبغي للمرء الاطلاع عليها ، لأنها جديرة بذلك ، بيد أني كنت أتمنى من حضرة الدكتور المحاضر ، أن يبين رأيه بوضوح عن الغاية من تلك الاتفاقات والمعاهدات الغربية ، لأن جلها كان لصلحة الدول الكبيرة ، وخاصة الولايات المتحدة التي تريد تقوية اقتصادياتها ، وإيجاد عمال وأصدقاء وأسواق لها في العالم ، ومقاومة الشيوعية كي تبتعد عن العالم الأوروبي والآسيوي ، وكان معظم هذه الاتفاقات يرمي الى تقوية المستعمر ، دون النظر الى الحكومات والشعوب الضعيفة ، والأمة العربية ، حتى ان منظمة الأمم المتحدة (اليونسكو) التي من أهدافها احترام العدل والقانون وحقوق الأفراد والحريات الأساسية ، كانت رأت ولا تزال ترى بعض الحكومات الغربية تهاجم أقطاراً من البلاد العربية ، وتدفع بعض أفراد في البلاد العربية للعبث بحقوق وحريات الأمة العربية ، وبلبلة السياسة الوطنية هناك ، كما ان منظمة الصحة العالمية ، لم تعمل عملاً يذكر لحماية الأمة العربية من نكبات الأمراض والأوبئة السارية ، التي حملها الحكم الشعوبي والغربي الاستعماري الى بلادها.

وكم كان جميلاً لو أن الدكتور المحاضر نوه في ختام محاضراته عن ضرورة تعاون الحكومات العربية اقتصادياً وسياسياً ، بعد أن استعرض تلك الاتفاقات الدولية التي ولدت السوق الأوروبية الاقتصادية تلك السوق التي هي ضربة على اقتصاديات وسياسة العرب ، على أن ذلك لا ينقص من قيمة محاضراته الهامة وجهوده في وضعها.

منبر الشريف

آراء وأنباء

المرحوم الدكتور منصور فهمي
(١٨٨٦ - ١٩٥٩)

وفاة الدكتور منصور فهمي

في السادس والعشرين من آذار «مارس» سنة ١٩٥٩ فقدت مصر ، بل فقد الوطن العربي ، علماً من أعلام الفكر ، ورائداً من رواد النهضة الحديثة ، وهو الدكتور منصور فهمي . لقد كان رحمه الله فيلسوفاً عميق التفكير ، وأديباً مرهف الحس والشعور ، وباحثاً واسع الاطلاع على تراث السلف الأدبي والفلسفي ، وعلى وسائل النهضة الأوربية الحديثة ، وداعياً من دعاة الإيمان بالله ، وحب الوطن ، وطلب العلم ، والإصلاح الاجتماعي ، والتحلي بالأخلاق الفاضلة .

ولا يجهل أحد من أدباء الجيل الحاضر تلك الشخصية الفذة التي مثلت أجمل تمثيل جانب النبل والمروءة والصلاح والخير في جيلها .

كان الفقيد ينتسب الى آل البقلي وهي أسرة مصرية قديمة تنتمي الى أسرة نصر الدين بأسيوط . والمعروف أن أصولها مغربية من تلمسان والساقية الحمراء ، ووالد الفقيد علي فهمي البقلي ، وجده عبد العال فهمي البقلي .

ولد الفقيد سنة ١٨٨٦ م في بلدة طلخا التابعة لمديرية المنصورة من أعمال مصر ، ودرس الدراسة الثانوية في المنصورة وفي مدرسة فرنسية في القاهرة . وفي سنة ١٩٠٦ حصل على شهادة الدراسة الثانوية ودخل مدرسة الحقوق في مصر . وعندما أنشئت الجامعة المصرية الأهلية أوفدته سنة ١٩٠٨ ، هو ورفاقاً له ، في أول بعثة مدرسية الى فرنسة ، ليتلقوا دروساً عالية في مختلف العلوم ، وليكونوا مدرسين في الجامعة بعد عودتهم الى وطنهم .

وكان نصيب الفقيد الفلسفة فانكب على دراستها . ولم يكتف بها ، بل درس أيضاً علوم الفسيولوجية والأجنة والجغرافية الطبيعية ، فحصل في سنة ١٩١٣ من جامعة باريس على الليسانس في العلوم ، فضلاً عن الدكتوراه في الفلسفة .

ومنذ ذلك الزمن برز ميله الى الإصلاح الاجتماعي في وطنه ، فكان موضوع رسالته الفرنسية للحصول على لقب دكتور في الفلسفة « المرأة في تاريخ الإسلام » . وقد ُعد ما اشتملت عليه الرسالة تطرفاً في الرأي في تلك الأيام، فحيل بينه وبين التدريس في الجامعة مدةً من الزمن .

ولكن سرعان ما تجلت مزاياه وآراؤه الإصلاحية النيرة في مقالاته الأدبية والاجتماعية التي كان ينشرها في الصحف ، فدُعي الى التدريس في مدرسة المعلمين العليا ، ثم ُعين سنة ١٩٢٧ أستاذاً للفلسفة في كلية الآداب بالجامعة ، وتدرج من الأستاذية فكان وكيلاً الكلية سنة ١٩٣٣، ثم كان عميداً لها .

وفي سنة ١٩٣٦ ُعين مديراً لدار الكتب المصرية . وفي أواخر سنة ١٩٤٤ كان مديراً لجامعة الإسكندرية .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أما مجمع اللغة العربية فقد ُعين فيه عضواً منذ تأسيسه سنة ١٩٣٣ . ولما أوجد في المجمع المذكور منصب كاتب السر « الأمين العام » انتخبه المجمعيون لهذا المنصب ، فظل يضطلع بأعماله الى حين وفاته ، وكلما انتهت مدة عمله فيه جددوا انتخابه مرةً بعد مرة .

ولم يؤلف الفقيد كثيراً من الكتب . ولكن سيرته في الإصلاح طيلة حياته كانت كلها سفراً كبيرا . ولو ُجمعت مقالاته في مختلف الجرائد والمجلات العربية ، وخطبه في النوادي العامة ، وبحوثه التي ألقاها في مجمع اللغة العربية لتألف منها كتب ثمينة .

ومما ُطبع له ترجمة رواية « هرمان ودوروتيا » وهي للشاعر الألماني غوته ، وبضع رسائل اجتماعية منها « الضعف الخلقي وأثره في حياتنا الاجتماعية » ، ومنها « أوقات الفراغ كيف نستثمرها » الخ .

وكتاباه المطبوعان اللذان اشتهرا لدى الأدباء هما «خطرات نفس»، و «مي زيادة، مع رائدات النهضة النسائية الحديثة» وهن عائشة التيمورية ووردة اليازجي وملك حفني ناصف الملقبة بباحثة البادية.

فالكتاب الأول مجموعة من المقالات في أخلاقنا، وتأملات في نواحي حياتنا الاجتماعية. وقد تميز فيها الفقيد بسلاسة التعبير، ودقة التصوير، وضبط دلالة الألفاظ على معانيها، وتركيز تلك المعاني، وبذلك عُد في جملة الرواد من الكتّاب الذين أحلوا المقالة مكانها المرموق في عصرنا الحاضر.

أما الكتاب الثاني فما من أديب قرأه إلا وقال فيه إنه يحتوي على بيان رائع، وتصوير جميل، وتحليل فلسفي دقيق لحياة رائدات النهضة النسوية الحديثة، ولمجتمع الزمن الذي عشن فيه.

وسيرة الفقيد – على ما ذكرتُ – هي التي كانت للجيل الحاضر أجمل كتاب. فقد قضى عمره داعياً الى الاستمساك بما عندنا من عادات وتقاليد حسنة، وبما في الدين من وصايا خلقية ثمينة، حتى عده بعضهم من المتزمتين أو الجامدين، على حين أنه لم يكن عدواً للتجديد، بل كان عدواً لترك الصالح من مقوماتنا القومية، ولفكرة اقتباس الصالح والطالح من المدنية الغربية من غير تمييز.

أقام فلسفته على مبدأ الخير والشر، ونفذ الى نواحي المجتمع، فتجلت دعوته الدينية القوية في جمعية الشبان المسلمين، ودعوته الإنسانية في جمعية الهلال الأحمر وغيرها من الجمعيات الخيرية؛ وبرز نشاطه الاجتماعي في جمعيه الإصلاح الاجتماعي، ونشاطه العلمي والأدبي والفلسفي في جامعة القاهرة وجامعة الإسكندرية ودار الكتب المصرية ومعهد الدراسات العربية العالية. أما في مجمع اللغة العربية فأعضاء ذلك المجمع يعرفون أن الدكتور منصور فهمي، وإن لم يكن لغوياً، قد خلف الشيخ أحمد السكندري رحمه الله في كرهه للإكثار من تعريب

المصطلحات الأعجمية ، وأنه كان يرى عدم اللجوء الى تعريب ألفاظ المعاني خاصة إلا بعد اليأس من العثور على ألفاظ عربية تقابلها في معجماتنا القديمة وفي كتب السلف العلمية والأدبية ، أو بعد العجز التام عن إيجاد ألفاظ عربية لأدنى ملابسة بوسائل الاشتقاق أو المجاز أو التضمين أو النحت .

ولطالما سمعته في جلسات مجلس المجمع أو مؤتمره يجادل أنصار الإكثار من تعريب المصطلحات العلمية ، ويقول لهم إن اللفظ العربي له جاذبيته الخاصة عند أبناء العروبة لأسباب وراثية ، ولأنه يثير في نفوسهم معاني وصوراً يعجز اللفظ الأعجمي المعرّب عن إثارتها .

ولا يعرف إلا قلة من أبناء الوطن العربي أن الفقيد كان يؤمن مثلنا بعقيدة القومية العربية ، وأنه من المصريين الأوائل الذين كانوا يتجاوبون هم والعاملون في شؤون تلك القومية ، فيفتحون لهم صدورهم ودورهم في الأزمات السياسية . والعرب الذين كانوا يلجأون الى مصر فراراً من ظلم الدول الاستعمارية في بلادهم كانوا يعرفون حدب الدكتور منصور فهمي على قضيتهم ، وتردده على جمعياتهم ، ومشاركته لهم في مسرائهم وفي ضرائهم .

رحم الله الفقيد وجزاه عن العرب وثقافتهم ولغتهم وقوميتهم جزاء العاملين المخلصين .

مصطفى الشهابي

الدراسات العربية في الاتحاد السوفياتي (١)

موضوع الدراسات العربية في الاتحاد السوفياتي موضوع كبير لا يمكن استيعابه في حديث واحد ، وذلك لأن الدراسات العربية تؤلف جزءاً من علم واسع معروف بعلم الاستشراق ؛ والشرق العربي كان منذ قرون ممتداً من البحر الأطلنطي غرباً إلى الصين شرقاً .

وإذا أردنا التحدث عن الدراسات العربية بالتفصيل كان لا بد من أن نشرح تاريخ فرع كامل من فروع العلم في بلادنا ، وأنا عاجز عن أداء هذه الوظيفة .

أما نشوء الدراسات العربية بمعناها العلمي في روسيا فهو يرجع إلى بداية القرن التاسع عشر ، عندما أصبحت اللغة العربية تُدرَّس في جامعات خاركوف وقازان وموسكو وبطرسبورغ . ومن بين أبرز العلماء الذين بدأوا الأبحاث العربية العلمية في روسيا في ذلك الحين نذكر المجمعي فرين (١٧٨٢ — ١٨٥١) أستاذ اللغة العربية في جامعة قزان أولاً ، ثم بجامعة بطرسبورغ ، وهو مؤسس المتحف الآسيوي المشهور في بطرسبورغ ، حيث قام بصورة منظمة وعلى أساس علمي بدراسة المخطوطات العربية . ونذكر أيضاً الأستاذ بولديروف ، كان أستاذ اللغات الشرقية بجامعة موسكو من سنة ١٨١١ إلى سنة ١٨٤٢ . وقد أصدر بولديروف أول كتاب علمي لدراسة النحو العربي باللغة الروسية ، وأول كتاب منتخبات من الأدب العربي مصحوب بمعجم عربي روسي .

وقد كان المستشرقون ، منذ نشوء الدراسات العربية في روسيا ، لا يقتصرون على البحث العلمي أو التعليم في الجامعات ، بل كانوا أيضاً يعملون على إطلاع

---

(١) حديث للمستشرق الروسي الأستاذ عبد الرحمن سلطانوف مدير القسم العربي في معهد الدراسات الشرقية في موسكو . ألقاه في جمعية تعزيز التبادل الثقافي بين سورية والاتحاد السوفياتي .

المجمع الروسي على الثقافة العربية . فقد قام بولديريف وتلاميذه بترجمة بعض القصائد والأقاصيص العربية الى اللغة الروسية ، واشتهر بهذا النشاط بوجه خاص أستاذ اللغات الشرقية في «بطرسبورغ» الصحفي الروسي المعروف يوسف سينكوفسكي . وقد كان ينشر مقالات في الأدب العربي ، منها مقال رائع في الشعر الجاهلي لم يفقد قيمته العلمية حتى الآن . كما كان ينشر بعض الأقاصيص فيستقي موضوعاتها من الأقاصيص العربية .

وفي أواخر القرن التاسع عشر بلغت الدراسات العربية ، كسائر الدراسات الشرقية في روسيا ، مستوى مرتفعاً جداً . وكان يتقدم العلماء المستعربين في ذلك العهد الأستاذ غيرغاس والمجمعي روزين . أما غيرغاس فقد تخرج من جامعة « بطرسبورغ » ، وقضى ثلاث سنوات في سورية ولبنان وفلسطين ومصر . وبعد رجوعه إلى روسيا تولى تدريس اللغة العربية ، ووضع عدداً من الأبحاث العلمية ، ومعجماً عربياً روسياً ، وكتاباً في تاريخ الأدب العربي ، وكتاباً آخر في تاريخ الدراسات النحوية عند العرب . وفي هذا الكتاب انتقد غيرغاس بعض النواقص الموجودة في الطريقة المعقدة التي اتبعها العرب في شرح قواعد اللغة ، تلك النواقص التي يشكو منها اللغويون العرب المعاصرون حتى اليوم ؛ وذلك إلى جانب تقدير كل ما يوجد في كتب اللغويين العرب القدماء من محاسن .

وأما المجمعي روزين فقد برّز في مضمار دراسة المخطوطات العربية . وله يد بيضاء في تربية جيل من المستشرقين وبينهم تلميذه المجمعي كراتشكوفسكي .

وفي بداية القرن العشرين كانت الثقافة العربية تُدرس في عدة مراكز علمية في روسيا . وكان بين كبار العلماء الذين اشتغلوا بالدراسات العربية الأستاذ قريمسكي والأستاذ كراتشكوفسكي .

وفي العهد السوفياتي اتسعت الدراسات الشرقية في بلادنا إلى حدّ كبير . ونشأت في لينغراد مدرسة استشراق فيلولوجية مشهورة كان يشرف على الدراسات العربية فيها الأستاذ العلامة اغناطيوس كراتشكوفسكي المشهور .

لقد وضع الأستاذ كراتشكوفسكي حوالي (٥٠٠) بحث علمي في الأدب العربي القديم والحديث ، وفي العلم العربي والفكر العربي . وكان من أهم خدماته في قضية دراسة الثقافة العربية أنه كان أول من جعل الأدب العربي الحديث موضع الدراسات العلمية ، بينما كان المستشرقون في أوربة الغربية لا يعترفون إلا بالأدب العربي القديم .

وبعد وفاة كراتشكوفسكي (في كانون الثاني سنة ١٩٥١) ، قرر المجمع العلمي السوفياتي إصدار مجموعة مؤلفاته . وقد جاء هذ القرار دليلاً على مبلغ احترام الشعب السوفياتي لثقافة العرب التي وقف الأستاذ كراتشكوفسكي حياته على دراستها وإطلاع الشعب عليها . وتتألف هذه المجموعة من ستة مجلدات صدر منها حتى الآن ثلاثة ، يحتوي الأول منها ذكريات كراتشكوفسكي عن خطواته الأولى في طريق دراسة الثقافة العربية ، وعن زيارته لسورية ومصر ، كما يحتوي مقالاته عن اللغة العربية . ويتضمن المجلد الثاني أبحاث هذا العالم في الأدب العربي القديم ، ويتضمن المجلد الثالث أبحاثه في الأدب العربي الحديث .

وسيصدر عما قريب المجلد الرابع وفيه جمعت أبحاث الأستاذ كراتشكوفسكي في الأدب العربي الجغرافي ، كما سيحتوي المجلد الخامس على مقالاته في تاريخ الدراسات العربية في روسيا ، والسادس على ترجمة كتاب ابن المعتز (في الشعر العربي) ؟ وعلى وصف كراتشكوفسكي للمخطوطات العربية في مكتبات الاتحاد السوفياتي .

وممن يجدر ذكره بين العلماء الذين عملوا في لينغراد الأستاذ يوشمانوف المتخصص في اللغات السامية والافريقية ؛ وقد وضع عدة أبحاث في اللغة العربية

قيمة للغاية ، وكذلك الأستاذ ڤيلينتشك الذي عمل على وضع معجم عربي روسي خاص باللهجة السورية . وقد بذل في هذا السبيل جهوداً تستحق الإعجاب ، ولا سيا إذا علمنا أنه كان مصاباً بالصمم . وقد توفي كلا هذين الأستاذين بُعيد الحرب العالمية الثانية .

وفي أثناء الحرب الأخيرة توفي مستشرق روسي كبير آخر عاش في السنوات الأخيرة من حياته في أكرانيا ، ونعني به المجمعي قريمسكي ، الذي زار سورية خلال السنوات ١٨٩١ — ١٨٩٨ ، وفي المرحلة الأولى من نشاطه العلمي أصدر سلسلة من الكتب للطلبة والمستشرقين ، منها (تاريخ الإسلام) وكتاب (اللغات السامية) و (تاريخ العرب) و (تاريخ الأدب الجاهلي) كما نشر عدداً كبيراً من المقالات عن الشرق في الموسوعات الروسية ، وتجدر الإشارة إلى أن قريمسكي قد أخذ قبيل الحرب العالمية الثانية بوضع كتاب ضخم في عدة مجلدات في تاريخ الأدب العربي الحديث . ولو أتم قريمسكي بحثه هذا لكان أول كتاب من نوعه في الاستشراق العالمي ، ولكن الحرب حالت دون ذلك فلم ينجز إلا المجلد الأول من كتابه . وتتخذ الآن التدابير اللازمة لإصدار جميع مؤلفات هذا العالم .

وأما في وقتنا الحاضر فإنه توجد مراكز كثيرة للدراسات الشرقية والعربية في الاتحاد السوفياتي . فهناك معهد للدراسات الشرقية في موسكو وله فروعه المستقلة في طاشقند وباكو وقزان وتبليسي (تفليس) ولينغراد حيث يتخصص العلماء بوجه خاص في دراسة اللغة والآداب والمخطوطات العربية . وقد قُدِّم في هذه المراكز في المدة الأخيرة ما يقرب من ثلاثين أطروحة علمية في شتى موضوعات الأدب والتاريخ العربيين .

وقد نشر الأستاذ بيليايف فصلاً كاملاً عن تاريخ العرب في كتاب « تاريخ الشرق في القرون الوسطى وفي العهد الجديد » ، كما ترجم الأستاذ نفسه إلى

اللغة الروسية القسم المتعلق بتاريخ شعوب آسيا الوسطى من تاريخ الطبري · وقدم لهذه الترجمة بشرح مفصل لحياة الطبري ومؤلفاته العلمية ·

وقد أعدّ الآن للنشر كتاب وضعه فريق من المستشرقين في معهد الدراسات الشرقية عن تاريخ الحركة الوطنية التحررية في البلاد العربية بعد الحرب العالمية الثانية ·

ومنذ سنة صدر في موسكو كتـاب « تاريخ الشرق الحديث » ، يحوي فصولاً عن تاريخ مصر وسورية ولبنان والعراق وسواها من الأقطار العربية من سنة ١٩١٧ إلى اليوم ·

ونشر في طاشقند ترجمة (قانون الطب) لابن سينا · كما صدر في خاركوف بحث في كتاب رحلة ابن فضلان إلى روسيا في القرن التاسع · وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الروسية الأستاذ كوفاليفسكي مع دراسة ضافية ·

وفي هذه السنة ستصدر في موسكو الطبعة الثانية من المعجم العربي الروسي للأستاذ بارانوف من أساتذة جامعة موسكو · ويتميز هذا المعجم بدقة نقل المفردات والمصطلحات العربية إلى اللغة الروسية · وهو يعدّ حقاً خير مساعد في ترجمة النصوص الأدبية والاجتماعية والاقتصادية إلى الروسية ·

وقد هيأ القسم العربي لمعهد الدراسات الشرقية (دليل سورية) · وهو كتاب ضخم في خمس وعشرين ملزمة ، يتضمن معلومات مفصلة عن تاريخ سورية وثقافتها في العهد الجديد · وسينشر هذا الكتاب في هذا العام إن شاء الله ·

ويشترك المستشرقون عندنا في ترجمة نماذج من الأدب العربي الحديث إلى اللغة الروسية · وقد نشر باللغة الروسية حتى الآن بعض الروايات والقصص لأدباء العرب في مصر وسورية ولبنان والعراق ، بينها كتـاب (الأيام) لطه حسين الذي نقله إلى الروسية العلامة كراتشكوفسكي ، ورواية (عودة الروح) لتوفيق الحكيم ·

وفي عام ١٩٥٥ صدرت مجموعة قصص لكتاب العرب تحوي نماذج من قصص محمود تيمور ، وعبد الرحمن الخميس ، ويوسف إدريس ، ومحمد صدقي ، وعبد الرحمن الشرقاوي ، ووصفي البني ، ومحمد إبراهيم دكروب ، واميل يوسف عواد ، وعبد المسيح حداد ، ومواهب الكيالي ، وأحمد السيّد ، وذو النون أيوب .

ونشرت كذلك مجموعة قصص للأدباء المصريين كمحمود تيمور ، وعيسى عبيد ، وبنت الشاطئ ، والشرقاوي ، ويوسف جوهر ، وادريس وسواهم ...

وفي سنة ١٩٥٦ نشر كتاب يتضمن مؤلفات ولي الدين يكن وجبران خليل جبران وأمين الريحاني ومحمود تيمور وشحاتة عبيد وسلمى صائغ وذو النون أيوب .

وأعدت للنشر ترجمات بعض مؤلفات مواهب الكيالي وشوقي بغدادي وميخائيل نعيمة ومارون عبّود وحنا مينة وفاتح المدرس وسواهم .

وكذلك نشر في العام الماضي في موسكو مجموعة تتضمن منتخبات من آثار الشعراء المصريين .

وفي معهد الدراسات الشرقية تصدر شهرياً عدة مجلات علمية ، منها (مجلة الاستشراق السوفياتي) ، و (الرسائل العلمية) ، و (أخبار معهد الدراسات الشرقية) . وعما قريب ستظهر مجلة جديدة اسمها (الشرق الحديث) .

ويوجه القسم العربي في المعهد في الوقت الحاضر اهتمامه الخاص إلى بحث عميق . ألا وهو (قضية الوحدة العربية) ، ويحاول دراسة العوامل التاريخية ، الاجتماعية والاقتصادية والثقافية واللغوية التي تنطوي عليها هذه القضية العظمى .

عبد الرحمن سلطانوف

ديوان الحافظ محمد النجار

الشامي

دعاني الأديب المؤرخ الشيخ محمد باقر ألفت الاصفهاني إلى زيارة بلدة اصفهان ، مدينة العجائب العامرة بالمدارس والمساجد والخزائن ؛ وقد لبثت في بيته عدة أيام تصفحت في أثنائها خزانته الحافلة بالكتب الخطية والأعلاق العربية النفيسة . وقد عملت لنفسي فهرست ما يهم من نوادر خزانته ، فأتاحت لي فهرست مخطوطاته الاطلاع على طائفة كثيرة من المجموعات الأدبية المحفوظة بخزانته التي تعد - والحق أقول - من الذخائر .

ومن تلك الكتب القيمة نسخة من ديوان الحافظ محمد الشهير بالنجار ؛ كما عبر هو عن نفسه في الأرجوزة التي أثبتها في أواخر الديوان ، المسماة (لؤلؤة التنزيه للرب النزيه عن التعطيل والتشبيه = نظم كتاب مقامات الأولياء للشيخ عبد الوهاب الشعراني) قال :

قال الفقير حامل الأوزار محمد الشهير بالنجار

وقال - في نظم رموز كتاب الحصن الحصين التي اختارها ابن الجزري :

قال الفقير الحافظ النجار محمد من مضه الأوزار

طول أوراق النسخة ٢١و٥ سنتيمتر في عرض ١٦و٧ ، وجميع أوراقها ٢٤٣ وفي كل صفحة ٢٣ سطراً وهي مكتوبة في عصر الشاعر وربما كانت نسخة الأصل (ظ) فقد أرخ الشاعر الحوادث الى سنة ١١٧٣ هـ وفي أولها : (دخل في ملك أفقر الورى اليه سبحانه وتعالى السيد مصطفى بن السيد أحمد خادم أبي الدرداء - رضي الله تعالى عنه - سنة ١١٧٥) . والصفحة الأولة

من الديوان [الورقة ١ ب] بيضاء فارغة لعل الشاعر انتوى كتابة خطبة الديوان فيها ثم أدركه الموت ، وفي أواخر هذه الصفحة :

لما جحـدت مودتي وتعرفي

وضللت في قصد السبيل المقرف

وغددتني ناديت بعـد تلهفي

وتتمته في [الورقة ٢ أ] :

لله في عنقي يمين المصحف وعليّ كل ذنوب أهل الموقف

٠٠٠ الخ

وهذا الديوان حافل بفوائد وحوادث كثيرة مستطرفة ؛ منها :

سنة ١١٥٤ وفاة الشيخ مصطفى المصري الحافظ شيخ القراء بدمشق

١١٥٥ وفاة موسى آغا بن الاوردك

١١٥٦ تولية أسعد بشه (كذا ـ باشا) بن العظم على دمشق وأعمالها

١١٥٩ وفاة السيد محمد فتحي الدفتردار بأمر السلطان عصر نهار الأحد منتصف جمادى الآخرة .

١١٦٧ تاريخ بناء خان الوزير أسعد باشا بن العظم

أواخر ١١٦٧ وفاة المجذوب الشالح الشيخ خليل الملقب بالبياض

١١٦٨ وفاة الشيخ محمد الداودي

« سنة ١١٧٠ لعشر خلون من شهر رمضان ، وقع شر بين طائفة الينكشارية وطائفة القول . واستمر في دمشق الى آخر ربيع الثاني سنة ١١٧١ »

١١٧١ ولي المولى السيد علي افندي المرادي وظيفة الإفتاء بدمشق

١١٧٣ « في أوائل شهر ربيع الأول ، ليلة الثلاثاء منه ، قبل ليلة المولد الشريف بثلاث ليال ، أو ما يقرب من ذلك ، في منتصف تلك الليلة

المذكورة ، جاء في دمشق ونواحيها زلزال هدم البنيان ، وأيتم ، وخرب المنارات ، وغادر المساجد ، والنواحي ، خرابا ٠٠٠ سقطت أعالي منارة العروس ، وساوت منارة عيسى الأرض ، وسقطت قبة النسر ، وتهدم أعالي الجانب الشمالي من الجامع ٠٠ فأمر القاضي بالصيام ثلاثة أيام » ٠

وفي الديوان مدّح لحامد افندي العمادي شيخ الإسلام ، والوزير سليمان باشا بن العظم ، ويحيى آغا بن طالوا ، وأسعد باشا بن العظم ٠ ،

ومن طرائفه أبيات « طلبها بعض الأصدقاء لتقرأ يوم ختم درس الحديث ، تحت قبة النسر ، في الجامع الأموي ، والمدرس إذ ذاك - شيخ مشايخنا ؛ علامة القطر الشامي ٠٠ الشيخ اسمعيل العجلوني » ، وأبيات قالها لما أكمل نسخ كتاب انسان العيون في سيرة الأمين والمأمون ٠ واخر نظمها « اجابة لمطلب محمد جربجى القباني بشكر هدية نقيب أفندي السيد علي العجلاني - كتاب الكشكول » ٠ وقد نظم بعض قواعد الرسم والنحو ٠ وله مراسلات مع الشيخ عبد الله الحلبي ٠

الدكتور حسين علي محفوظ

أغلاط مطبعية

وقعت في هذا الجزء أغلاط مطبعية تصحح كما يلي :

الصفحة	الخطأ	الصواب
٤٢٥	أسامجع	أسامع
٤٢٦	من كل فج	في كل فج
٤٢٧	لم يفتهم	لم يفتهم
٤٢٧	لو كاد	لو كان

فهرس الجزء الثالث من المجلد الرابع والثلاثين

صفحة

٣٨٥ ثلاث رحلات . . . . . . للأستاذ شفيق جبري .
٣٩٠ ثقافة الأطباء عند العرب (١) . . . للدكتور عبد الرحمن الكيالي .
٤٠٩ العلاقات الجوهرية بين اللغتين العربية والآرامية «السريانية» (٤) . . . . . . للمطران غريغوريوس بولس بهنام
٤٢٥ بطولات العرب (قصيدة) . . . للأستاذ شفيق جبري . .
٤٣١ الزجاجي: حياته وآثاره (٢) . . . للأستاذ مازن المبارك . .
٤٤٧ كتاب شرح الألفات (٢) . . . . للأستاذ أبو محفوظ الكريم معصومي
٤٦٢ نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات (٣) للدكتور حسني سبح . .
٤٧٩ مختارات مما لم ينشر من شعر البحتري (٣) للدكتور صالح الأشتر . .
٤٩٠ كتاب النفس لابن باجة الأندلسي (٧) . للدكتور محمد صغير حسن المعصومي

التعريف والنقد

٥٠٧ قضايا الفكر في الأدب المعاصر . . . للأمير مصطفى الشهابي . .
٥٠٨ وجوب التعاون بين المسلمين
٥٠٩ ١ ـ توضيح المكانة الشافية ٢ ـ الحق الواضح المبين
٥١٢ كتاب البحر الزخار . . . . .
٥١٥ فتح الغفار . . . . . .
(٥٠٨–٥١٥) للأستاذ محمد بهجة البيطار .
٥١٨ نظرة في أعماق الإنسان . . . . للدكتور حسني سبح . . .
٥٢٢ أعلام (للزركلي) . . . .
٥٢٣ الوطن العربي . . . .
٥٢٤ العرب والإسلام . . . . .
(٥٢٢–٥٢٤) للأمير جعفر الحسني . .
٥٢٥ ديوان ابن الخياط . . . . للدكتور حسين علي محفوظ .
٥٢٧ المنظمات الاقتصادية الدولية . . . . للأستاذ منير الشريف .

آراء وأنباء

٥٣٠ المرحوم الدكتور منصور فهمي . . . للأمير مصطفى الشهابي . .
٥٣٥ الدراسات العربية في الاتحاد السوفياتي . للأستاذ عبد الرحمن سلطانوف .
٥٤١ ديوان الحافظ محمد النجار الشامي . . للدكتور حسين علي محفوظ .
٥٤٣ أغلاط مطبعية . . . .